**الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية**

**وزراة التعليم العالي والبحث العلمي**

**جامعة الجزائر 2**

**كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية**

**قسم اللغة العربية وآدابها**

# منهج كارل بروكلمان في كتابة تاريخ للأدب العربي

***دراسة تحليلية نقدية لكتابه "تاريخ الأدب العربي"***

**أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب العربي**

**تخصص: أدب عربي**

**إعداد الطالب:**
**مكيد مسعود**

**إشراف الدكتور:**
**مشري بشير**

**السنة الجامعية: 2016/2015**

# محتويات البحث

**شكر وعرفان**

**موجز عن البحث**

**ملخص باللغة الإنجليزية**

**الفصل الأول:** مقدمة الرسالة ودواعي البحث وخططه ..... ص 4

**الفصل الثاني:** كارل بروكلمان والمدرسة الألمانية الفيلولوجية ..... ص 25

المبحث الأول: نبذة عن تاريخ الدراسات العربية في ألمانيا قبل وبعد بروكلمان ص 26

المبحث الثاني: حياة كارل بروكلمان ودراسته .....ص 62

المبحث الثالث: أعمال بروكلمان ومنهجه النقدي فيها ..... ص 67

**الفصل الثالث:** تاريخ الأدب العربي في ظل الإسهامات السابقة ودوافع تأليفه ..... ص83

**الفصل الرابع:** التصور المنهجي لكتاب "تاريخ الأدب العربي" .....ص94

المبحث الأول: التصور التاريخي العام ..... ص 97

المبحث الثاني: معايير كتابة "تاريخ الأدب العربي" عند بروكلمان ..... ص 114

المبحث الثالث: خطة بروكلمان ..... ص 151

المبحث الرابع: عرض تفصيلي لكتاب بروكلمان ..... ص 156

المبحث الخامس: مصادر بروكلمان في كتابة "تاريخ الأدب العربي" .....ص 163

**الفصل الخامس:** النزعة الاستشراقية في عمل بروكلمان: قراءة في أهم آرائه .... ص 167

**الفصل السادس:** الترجمة وطريقة عمل المترجمين ..... ص 194

**الفصل السابع:** الأدب الجزائري في عمل بروكلمان ..... ص 207

**الخاتمة** ..... ص 225

**مصادر الدراسة** ..... ص 219

**ملاحق** ..... ص 218

# شكر وعرفان

لم تكن مهمة إنجاز هذا البحث يسيرة علي لولا فضل الله وعونه وهو جل جلاله أول من يستحق شكري وعرفاني وتقديري، فالحمد له في الأولى والآخرة والحمد له ما بقي هذا العمل ونفع.

في البداية أود أن أسجل شكري الخاص والجزيل للدكتور الفاضل أحمد منور الذي شرفني بإشرافه الأولي لسنوات وكان له الفضل في صقل قدراتي البحثية، كما أنه كان دوما معينا ومتفهما وموجها وناصحا غير أن مهمة البحث لم تكتمل تحت إشرافه فوجهني إلى الأستاذ الفاضل بشير مشري الذي أعترف بدماثته وتقديره الشديد لشخصي وتشجيعه الدائم لي، فكان نعم الأستاذ ونعم الموجه الذي عملت معه في هدوء شديد وسلاسة حتى أنجزت بحثي بالشكل الذي ارتضيته.

كما أود في هذا المقام أن أشكر السيد الدكتور المحترم محافظ مكتبة الجامعة المركزية بالجزائر العاصمة عبد الله عبدي لما قدمه لي من عون كبير وخدمات لا تنسى خاصة من حيث الاطلاع على النسخة الألمانية الوحيدة في الجزائر لعمل بروكلمان "تاريخ الأدب العربي"، حيث تسنى لي المقابلة بين العملين الأصلي الألماني والعمل المترجم، كما قدم لي الكثير من المعلومات النادرة والنسخ عن أقدم الأعمال الجزائرية المطبوعة منذ الاستعمار الفرنسي.

في الأخير أود أن أقدم شكري العاطفي والمعنوي لأقرب شخصيتين قدمتا لي كل العون النفسي والهدوء إلى جانب تقديرهما الشديد لعملي وحرصهما الدائم على انجازه والانتهاء منه حتى كأنه عملهما، فأشكر والدتي الفاضلة "أسماء" وأتمنى أن يطول عمرها لترى ثمار جهدي أكثر وأكثر، كما أشكر زوجتى المحترمة الأستاذة "فاطمة" لتقديرها الدائم لطبيعة بحثي وتشجيعها الكبير وحنوها العارم الذي تعجز الكلمات عن وصفه وتقديره.

# الفصل الأول

## مقدمة الرسالة ودواعي البحث وخططه

# مـــقـــدمـــة

يعتبر "كتاب *تاريخ الأدب العربي*" لكارل بروكلمان Carl Brockelamnn (1868-1956) الصادر تِباعًا منذ بدايات القرن العشرين حتى منتصفه، أحد أشهر الأعمال الموسوعية التي عرفها العصر الحديث، والتي تمثل بشكلها الأساسي خلاصة جهود المستعربين الألمان الذين استطاعوا على مدار ثلاثة قرون ونيف تقديم حصيلة معتبرة من الدراسات المحققة والمترجمة عن التراث العربي الإسلامي.

ورغم أن البدايات الفعلية للدراسات الألمانية حول هذا التراث كانت متواضعة ومحدودة إلا أنها تطورت لاحقا بشكل ملحوظ، قياسا على ما قدمته بعض المدارس الاستشراقية الأخرى التي لم تخرج عن طور البحث الديني المكرس لغايات طالما كانت مشبوهة، حيث تميزت الدراسات الألمانية عن غيرها من الدراسات الاستشراقية بانتقاء وذوق أدبي رفيع ينم في غالبه عن دوافع بحتة للمعرفة المجردة والاستكشاف، بخلاف غيرها من الاهتمامات العلمية لبعض المدارس الاستشراقية المغرضة والتي تكرست منذ بداياتها كأداة للتشكيك والتهوين والنيل عموما من تراث العرب والمسلمين بكل مشاربهم ولغاتهم، كما هو الحال مع التوجهات الفرنسية والانجليزية والهولندية إلى حد ما.

من هنا نجد أن الدراسات الألمانية عن العرب وآدابهم والإسلام والحضارة الإسلامية عموما تبدو أقل عدائية، حيث تتميز كثير من أعمال المستعربين الألمان بالموضوعية والنزاهة إلى حد كبير، بل إن دراساتهم تظهر فيها روح الإعجاب والتقدير والإنصاف لآداب العرب بشكل ملحوظ، حتى عند كبار الباحثين والأدباء الألمان مثل الشاعر الكبير غوته و الباحث اللغوي هاردر(1744–1830) و عالم المخطوطات الشهير رايسكه (1716–1774) الذي كان يسمى نفسه «شهيد الأدب العربي» لتفانيه العلمي في دراسة الأدب العربي دراسة جادة

ومحاولاته الحثيثة لتحرير هذا الأدب منهجيا، وهذا ما جعله يتعرض إلى إضطهاد وتهميش كبير من طرف بعض الهيئات العلمية النافذة آنذاك والتي كان يسيطر عليها إلى حد كبير علماء يهود وغيرهم ممن كرسوا أنفسهم لخدمة التراث العبري.

أيضا لا نزال نلمس هذه الروح الجادة والمنصفة لدى بعض العلماء الألمان المعاصرين على غرار آنا ماري شبل وزيغريد هونكه صاحبة الكتاب المشهور «*شمس الله تسطع على الغرب*»[1]، وقبلهما العالم جورج جاكلوب في كتابه «*أثر الشرق في العصر الوسيط*».

فالمنهج العلمي الدقيق واضح في كثير من أعمالهم والذي يعتبر عند بعضهم مثالاً نادراً يحتذي به، فهم كما يبدو من أعمالهم يعملون بجدية وأمانة بقدر ما أسعفتهم المعرفة والمصادر، ويتقبلون النقد والتصحيح بروح علمية نادرة. رغم أن بعضا منهم لم يستطيعوا أن يحافظوا على حيادهم التام عندما عالجوا قضايا شائكة جدا كتلك التي تتعلق بالشعر العربي القديم (الجاهلي) أو قضية الوحي ونبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)، وأبرز مثال على ذلك، المستشرق الكبير تيودور نولدكه Theodor Noldeke (1836-1930)، أحد أشهر المستشرقين الألمان، وصاحب أخطر مؤلف عن القرآن بعنوان "تاريخ القرآن"، والذي يعتبر لدى المستشرقين عامة مرجعا أساسيا وإن كان يشهد له بعض المتأخرين الألمان أنه تبرأ قبيل وفاته من مؤلفه هذا ورفض طبعه مرة ثانية، وهذه سابقة قلما توفرت في مستشرق عموما[2].

لقد توجهت الجهود الألمانية أكثر ما توجهت نحو الجانب الفيلولوجي، أي الدراسات اللغوية البحتة لأنها تمثل مفتاحا أساسيا للتعامل مع تراث غني وشامل مثل التراث العربي الإسلامي، لهذا تركزت أعمالهم على ترجمة النصوص القديمة ثم أخذت تتوالى اهتماماتهم بحسب ما كان

---

[1] Siegrid Hunke, Allahs Sinne über Abendsland, Harrasowitz, 1945.

[2] بدوي، عبد الرحمن، ***دفاع عن القرآن ضد منتقديه***، ترجمة كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب والنشر، ص 8.

يواجههم من صعوبات في التعامل مع هذا التراث الذي كان في معظمه حبيس وطي المخطوطات التي تعرضت عبر قرون وقرون للتلف والسرقة فضلا عن صعوبة قراءتها أو وضوحها، وهذا أيضا أحد الجهود المقدرة التي قام بها علماء الغرب ككل لحفظ هذه الثروة من المخطوطات وتبويبها وتحقيق ما أمكن منها والاستفادة بها.

لسنا هنا في معرض الحديث عن هذا الجانب، لكن كان لا بد من الإشارة إلى أن هذه الثروة الفكرية كانت في حاجة باستمرار إلى تعريف وضبط وتصنيف وتبويب، وهذا هو ما قام به على صعوبته أحد علماء الألمان النابهين، كارل بروكلمان، الذي سخر نفسه وفكره القادح عبر سنوات طويلة ليقدم للمكتبة الإنسانية عصارة تعريفية عن جملة من المعارف الأدبية والعلمية التي زخر بها الفكر العربي الإسلامي على مدار قرون ممتدة لجمهور واسع من المؤلفين والشُراح والمحققين والمترجمين، فجاء عمله آنذاك كضرورة علمية صنعت للباحث المتخصص في هذا المجال خريطة أساسية يهتدي بها في عالم المؤلفات. كما أنه كان فتحا علميا غير مسبوق لما اتصف به من التجديد في التصنيف والرؤية التاريخية العميقة إلى حد كبير رغم بعض الاعتوار الذي يلتبسه كطبيعة أي عمل، إلا أن ذلك لا يقدح حقا في جسامة وأصالة هذا السفر المعرفي الكبير الذي لا يزال أحد أهم مصادر الأدب العربي التي لا يمكن لأي باحث الاستغناء عنه، خاصة لدى الغربيين الذين لا يزالون يتحمسون كثيرا لعمل بروكلمان رغم التطور الهائل الحاصل في مجال الأرشفة والفهرسة[1].

---

[1] *بالنسبة للدارسين في الجامعات الغربية فإن كل بحث يتعلق بالتراث العربي ككل لا يعتمد في فهرسته على كتاب بروكلمان فهو بعيد عن أهم مرجع علمي لا يمكن بحال تجاوزه، فهم يعتبرون أن من يعرف كيف يتعامل مع بروكلمان هو عالم مكتمل.*

**GAL**: Carl Brockelmann, **Geschichte der arabischen Litteratur**, ("History of Arabic Literature"), 5 volumes, Leiden E.J. Brill 1937-42.; it is in fact an encyclopedia of writers and writings throughout Arabic history. In principle, every book ever written in Arabic (before 1937) should be listed by Brockelmann. In

إن عمل بروكلمان ليس مما يحتاجه العامة من القراء والدارسين للأدب العربي ممن يهتمون بالجانب التثقيفي المعلوماتي، فهؤلاء لا شك لديهم مصادر ومراجع أسهل وأيسر، ولكنه عمل يحتاجه الباحث الحصيف المدقق ليقف به على رؤية أعمق وأشمل للتراث العربي الإسلامي ككل، رغم أن صاحبه وسمه بعنوان متخصص إلى حد ما وهو "تاريخ الأدب العربي" مما قد يلتبس على القارئ عندما يجد بين يديه مادة واسعة وهائلة، ليس فقط عن الأدب المتعلق باللغة العربية أو بجانب منها، ولكن عن شتى الفنون كالطب والرياضيات والفلك والهندسة وغيرها من العلوم الأخرى.

إلا أننا مع التدقيق نجد أن أغلب الموضوعات التي استغرقت فكر المؤلف واستأثرت جانبه النقدي والتحليلي تتميز بطابع أدبي، كما أن الأدب يمثل الجانب الأساسي لأغلب أعمال المؤلفين، خاصة القدامى منهم، وهذا أمر طبيعي، ذلك أن كل عمل علمي يعتمد في الأساس على لمسة أدبية وهذا معيار توافق عليه كتاب بروكلمان "تاريخ الأدب العربي" مع كتاب "الفهرست" لابن النديم الذي انطلق من نفس المعيار في ترتيب مادة كتابه، فكان من المنطقي أن يجعل ابن النديم مؤلفات النحويين واللغويين على رأس قائمة الترتيب بعد "علوم القرآن"، فهؤلاء يعتبرون الأساس الضروري لجميع الجهود الأدبية[1].

---

practice, most are, with short biographies of the authors. As EI, Brockelmann is an authority, a reference to which is often sufficient. Unfortunately, in addition to being in German, it has one of the most arcane reference systems known to man. If you know your way around Brockelmann, you are an accomplished scholar. (via Alan Godlas, University of Georgia (USA), and updated by B.R. von Schlegell, University of Pennsylvania (USA) Centre for Middle Eastern and Arabic Studies, University of Bergen, (Norway).

[1] فرانز روزنتال، ***تراث الإسلام***، ج 2، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.1978. ص 7.

وهو يكاد يكون التوجه نفسه عند بروكلمان الذي يملك نفس النظرة العامة والمفهوم الواسع عن الأدب، فهو يعتبر "أن كل ما صاغه الإنسان في قالب لغوي ليوصله إلى الذاكرة يمثل نوعا أدبيا"[1].

من هنا كانت دراسة الأدب العربي ضمن أي إطار تاريخي هي المقدمة الفعلية لأي دراسة تتعلق بالتراث العلمي للعرب والمسلمين عامة، لكن الكم الهائل والثراء الموجود في المادة الأدبية يجعل من مهمة دراسة هذا الأدب مهمة شاقة وصعبة، فمثل هذا الأدب يقدم تحديات كبيرة وصعوبات معتبرة حتى بالنسبة لباحثين متخصصين ومحترفين، فضلا عن المبتدئين ممن يجدون دوما صعوبة في التعامل مع رصيد هائل ومتشعب وغني جدا لمثل هذا الأدب[2].

فأي دارس له مثلا، لا يمكنه استيعاب هذا المجال ككل لتداخل شبكته الزمانية والمكانية بالإضافة إلى ثراء المصادر فيه والتي مهما احترف معها الباحث فإنه لن يتمكن بأي حال من تقديم رؤية كاملة وممنهجة له.

وليس غريبا أن يصدر مثل هذا العمل النوعي عن بروكلمان صاحب الخلفية العلمية المتخصصة فهو يعتبر أحد رواد الفيلولوجيا في العصر الحديث، وقد كان متخصصا بالدرجة الأولى في الفقه المقارن للغات السامية وله إسهامات علمية مقدرة ومعتبرة في هذا المجال مما يجعل رأيه جدير بالدراسة والاحترام.

---

[1] كارل، بروكلمان، ***تاريخ الأدب العربي***، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1993، ج 1، ص 61.

[2] Humphreys, R. Stephen, ***Islamic History: A Framework for Inquiry***, London, 1995. pp x.

## تلقي كتاب بروكلمان "تاريخ الأدب العربي":

منذ أن صدر كتاب بروكلمان في أجزائه الأولى بالنسخة الألمانية سنة 1902 وحتى اكتماله على يد المؤلف نفسه سنة 1949، لم يتمكن الباحث العربي حتى وقت قريب من الاستفادة من هذا العمل الكبير لعائق اللغة لكونه كتب باللغة الألمانية باستثناء عدد قليل جدا من العلماء العرب الذين كان لهم احتكاك بالغرب وبلغاتهم.

كما أن مشروع الترجمة لم ينطلق فعليا إلا مع بداية الستينات بعد مناقشات وتقديم وتأخير بسبب ضخامة العمل إلى جانب تفرقه بين أصول وملاحق، وقد وضع بروكلمان "خارطة عمل" لترجمة هذا الكتاب بدأها بنفسه حتى كاد يكمل الجزء الأول لولا أن وافاه الأجل. ورغم أن عملية الترجمة، تمت بانتقاء ومزج للأصول مع الملاحق، إلا أن هذا لم يضمن حتى اليوم في حدود ما نعلم ترجمة كاملة ودقيقة للعمل، خاصة مع موت المترجمين الواحد تلو الآخر وتبعثر مسار الترجمة.

وعليه فإن المجال العلمي الأدبي العربي لم يتملك حتى الآن تصورا حقيقيا وكاملا لهذا العمل الضخم وهو ما ساهم في قلة الدراسات حوله، بالإضافة إلى أنه ظهر بصورة جعلت الباحثين يعرضون عن تناوله بالبحث والدراسة، فهو يبدو في إطاره العام عملا إحصائيا بيبليوغرافيا مُغرقاً في العناوين وأسماء الأعلام مع عدد هائل من الأرقام المتعلقة بتواريخ الميلاد والوفيات ورموز المخطوطات المذكورة في هذا العمل، مما يجعل عملية الترجمة مهمة شاقة جدا وصعبة إلى جانب العامل اللغوي نفسه وندرة المترجمين.

لا شك أن الكثير من الدارسين والمستعربين قد تناولوا عمل بروكلمان ولو بشكل جزئي بالنقد والتحليل، إلا أن أولويات البحث لم تتجه فعليا نحو إفراد دراسات كاملة أو متعددة عنه سواء بالنقد والدراسة أو التصحيح والمراجعة، وهذا ربما لاعتقاد الكثير من الباحثين بعدم جدوى

البحث حول كتاب يبدو في إطاره العام عملا فهرسيا لا يختلف عن عمل ككتاب "كشف الظنون" أو "الفهرست" مثلا، كما أن الباحث العربي لم يتسن له التعامل مع كتاب بروكلمان بصورته الحالية بسبب تعثر ترجمته عبر عقود.

من هنا لم يحظ هذا الكتاب على وجه الخصوص بدراسة كاملة له، فأغلب ما هو متاح من مادة نقدية أو تحليلية عنه موجودة فقط ضمن إطار عام، سواء ما تعلق منها بمناقشة أعمال بروكلمان ككل لاستشفاف أفكاره وميوله كما هو الحال مثلا مع كتابه "تاريخ الشعوب الإسلامية" الذي حظي باهتمام بالغ من الباحثين والمؤرخين أو عندما يتناول الباحثون مسألة الاستشراق الألماني ككل فيتعرضون لبروكلمان بالدراسة والتحليل لبعض ما جاء في كتابه "تاريخ الأدب العربي".

الملاحظ أن هذا الكتاب صدر مع بداية القرن العشرين تحديدا حيث كان العالم العربي يعيش أوضاعا سياسية مزرية جدا على جميع المستويات وفي كل أقطاره مما جعله في قطيعة حقيقية مع مجريات العلم الحديث ومفرداته الجديدة التي تفجرت بقوة في العالم الغربي الذي بدأ يشهد ثورة علمية وتغييرات حاسمة في مناهج البحث انعكست حتى على دراسة التراث الإنساني ومنها التراث العربي الذي عرف حضورا قويا جدا على مستوى العقل الأوروبي بالذات، حيث بدأ النهم الغربي في دراسة كل شيء وتناوله بالتحليل والنقد خاصة بعد أن توفرت للمكتبات الغربية مادة علمية مهولة وكثيفة من تراث العرب القديم رغم كل الانتقائية الشديدة التي عرفتها بحوثهم ودراساتهم عنه، لكنها في الأخير مثلت حصيلة علمية هائلة وجديدة عن هذا التراث على علاتها وهناتها وعيوبها، في وقت كان العقل العربي في حالة جهالة شديدة على جميع المستويات، بل لم يكن لديه القدرة حتى على معرفة حجم الاهتمام الغربي بتراثه فضلا عن تقييمه أو الدفاع عنه، بل إن روحا من العداء الشديد تملكت المطلعين

العرب على ذلك التوجه الغربي الاستشراقي نحو تراثهم حتى لم يميزوا بين ما هو جدي وعملي وبين ما هو انتقائي ومغرض، بالإضافة طبعا إلى مشكلة اللغة الحقيقية التي كانت تحول دون عملية التقييم الصحيح أو الدفاع المتزن والقوى رغم أن الكثير من هذه الدراسات كانت بلغات دول استعمرت أغلب بلاد العرب منذ أزيد من قرن ونصف، حتى تمكنت ألسنتها من هذه الشعوب ولكن كل ذلك لم يفد في الإطلاع الواسع على هذا المنتج الغربي الاستعماري والتصدي له.

في ظل هذه الظروف كانت تظهر الأعمال الغربية عن تراث العرب القديم دون أن يكون لها صدى حقيقي، سوى من رفض مطلق لها أو تلقي وانبهار بها بلا حدود. والشواهد التاريخية على مدى القطيعة التي حدثت بين العرب المعاصرين وبين تراثهم القديم وتلك الحرب العلمية التي خاضوها ضد المستشرقين عن غير علم، كثيرة وكثيرة، والتي للأسف جاءت كما يقول مالك بن نبي نتيجة صدمة ثقافية أحدثت شللا في جهاز الحصانة الثقافية العربية[1]. رغم أن هذا الاستشراق جاء في ظروف تاريخية ومنطقية، بل وانطلق كمحور أساسي في حركة النهضة الأوروبية من أجل إثراء الحياة الثقافية الجديدة التي بدأت تزخر بها أوروبا منذ بدايات القرن السادس عشر، فكان التنقيب في الفكر العربي الإسلامي من أجل تعديل ثقافي أوروبي بالدرجة الأولى ومن ثم تعديله في بلاد العرب لأغراض سياسية استغلها الاستعمار الذي كان يبحث عن كل شيء وأي شيء في بقايا الشرق الذي لطالما كان عالما مبهرا وساحرا، فكان ينبغي علينا أن نعرف هذا الملابسات التاريخية التي تم فيها هذا اللقاء الجديد بين العقل الأوروبي والواقع العربي الذي كان جهولا بامتياز.

---

[1] بن نبي، مالك، ***إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث***، دار الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1969. ص 42.

ولعل خير دليل على الأوهام العربية الكثيرة المتعلقة بشرور المستشرقين، قضية الشعر العربي وأصالته وكيل الاتهامات التي وجهت لمؤلفات المستشرقين وحتى المؤلفين العرب وعلى رأسهم طه حسين، فكانت هذه الأعمال هي الفيصل الذي بنى به العقل العربي الجدار العازل مع أي عمل غربي وهذا يدل على مدى حالة الجهل الفاحش الذي كان ولا يزال يضرب أطناب البلاد العربية كما يقول المفكر والفيلسوف العظيم عبد الرحمن بدوي[1]. ولو أن العرب المعاصرين عادوا إلى التراث العربي كما عاد إليه المستشرقون بأساليب علمية جديدة، لوجدوا أن طه حسين وشيوخ الاستشراق قبله هم آخر من بحث في صحة الشعر الجاهلي الذي سبق إلى البحث فيه علماء العرب في اللغة والأدب منذ القرن الثاني الهجري واشتد أوج النقاش فيه في القرن 4 و5 الهجري وكتب فيه العلماء العرب القدامى كلاما أوقع مما قاله المستشرقون أو طه حسين.

ولم يستطع العقل العربي حتى وقت متأخر أن يدرك طبيعة عمل الآخر (المستشرق) ورؤيته التي تختلف حتما عن رؤية المنتسب لذلك التراث الضخم الذي خلفه الأجداد، فكان من الطبيعي أن تكون لهم غايات وتوجهات ومنهج غير الذي يمكن أن يصدر عن الباحث العربي أو المسلم عموما، وكان علينا أن نتعامل مع أعمالهم بموضوعية عالية وتقدير علمي بما يتناسب مع ميولهم أو قدراتهم الحقيقية وهم يتعاملون مع تراث قديم كان لهم الدور الأكبر في نقله وحفظه ومن ثمة التعريف به من جديد أو حتى مجرد الكشف عنه.

عندما صدر عمل بروكلمان في أواخر القرن التاسع عشر والذي لم يكن في حقيقته موجها إلى القارئ العربي بالدرجة الأولى لأنه كتب باللغة الألمانية، بالإضافة إلا كونه عملا غير

---

[1] بدوي، عبد الرحمن، ***دراسة المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي***، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1، 1979، ص 13.

مسبوق من حيث الجمع والترتيب، كما أنه لا يمثل رؤية أو دراسة أو تحليل بالمعنى الكامل من طرف المؤلف، لكن للأسف لم يتلقاه العقل العربي سوى بالتجاهل وفي الغالب حتى الجهل به، وحتى الذين اطلعوا على هذا الجهد الجبار لم يسعوا إلى إنزاله مكانته العلمية، بل إن بعض الكتاب العرب، وضعوه في خانة الأعمال الاستشراقية المشبوهة وانبروا للتقليل منه لمجرد أنه صدر من جهة غربية وظنا منهم أن من ليس بعربي غير قادر أو جدير بالبحث في مجال العربية وهذا توهم كبير، فعالم كبروكلمان كان من أقدر علماء الغرب في مجال العربية وله بحوث عالية الكعب في اللسان العربي كما أن له تحقيقات ودراسات ومقارنات تاريخية معتبرة باعتباره عالم لغة وفيلولوجيا قدير، وهذا ما جعله يقدم مساهمات علمية دقيقة عن تاريخ وأصالة اللغة العربية قياسا على غيرها من اللغات خاصة داخل إطار اللغات السامية.

وكان الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي أكبر المتحاملين وربما الرافضين لمثل هذه الأعمال الغربية عن الأدب العربي، رغم أنه لم يتسن له حتى الإطلاع عليها أو الإلمام بها، وظهور هذه الأعمال حفز واحدا مثل الرافعي لأن يفكر هو الآخر بوضع عمل مشابه، حيث أنه بعد مرور سنوات من صدور عمل بروكلمان قرر أن يكتب عن تاريخ الأدب العربي بطريقة مختلفة وهذا بعد أن أعلنت الجامعة المصرية عن جائزة أدبية لمن يصنف كتابا مميزا عن تاريخ الأدب العربي، فبدأ الرافعي في تأليف عمل ضخم عن هذا التاريخ بمنهج وطريقة ورؤية مختلفة، حيث انتهى منه سنة 1911م.

وقد استهل الرافعي مقدمة كتابه الموسوم بعنوان مشابه للآخرين"تاريخ آداب العرب" متحاملا فيه قليلا على الدراسات التي سبقته في هذا المجال ورغم أنه لم يشر إلى بروكلمان إسما أو مؤلفا إلا أن مقدمته كانت هجومية من الطراز القديم الطنان والتي استعمل فيها لغة لاذعة مستهجنة ومنتقصة لمن سعوا إلى التأليف في تاريخ الأدب العربي من العرب وغير العرب،

رغم أن عمل بروكلمان جاء نتيجة توفر مادة هائلة عن تراث العرب في معاقل الغرب كما أنه انطلق من رؤية مغايرة كلية لرؤية أولئك الذين أصروا على تكرار الأساليب العربية القديمة في التأليف وحتى الـــتأريخ مثل الرافعي[1].

ولو لم يكن هناك فضل لبروكلمان وغيره من المستشرقين ممن اشتغلوا وألفوا حول تراث العرب غير شحذ همم علماء العرب في مجاراة أعمالهم أو التأليف للدفاع عن تراثهم بأنفسهم لكفاهم ذلك فضلا وسبقا.

فمنذ بدايات القرن العشرين والمؤلفون العرب يصدرون مؤلفاتهم تحت نفس مسمى بروكلمان "تاريخ الأدب العربي"، بدءً من جورجي زيدان والرافعي والزيات والفاخوري وعمر فروخ ولويس شيخو وفيليب حتى وانتهاء بتاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف.

ورغم أن بروكلمان قدم خدمة كبيرة للتراث العربي إلا أن ذلك لم يشفع له عند الباحثين العرب، فقد جعلته أفكاره النقدية موضع اتهام وشك كما هو واضح في الدراسة التي قام بها المؤرخ شوقي أبو خليل في كتابه "بروكلمان في الميزان"، الذي تناول فيه بالدراسة والتحليل كتاب "تاريخ الشعوب الإسلامية"، ورغم أنه تعرض لحياة بروكلمان وأعماله إلا أنه لم يتعرض لكتاب "تاريخ الأدب العربي"، حيث اقتصر نقده لبروكلمان حول بعض الأخطاء والمغالطات التاريخية في كتابه "تاريخ الشعوب الإسلامية"، ولم تكن دراسة شاملة عن فكر بروكلمان أو حتى دقيقة عن أهم عمل من أعماله وهو "تاريخ الشعوب الإسلامية"، فهي لا تعدو أن تكون مجرد هوامش أو ملاحظات على كتاب بروكلمان التاريخي.

أما الناقد الأدبي رضوان السيد المتخصص في الاستشراق الألماني فيعتبر أن كتاب بروكلمان قد سحر كلَّ دارسي الكلاسيكيات بالمعلومات الهائلة التي أَوردها عَبْر عمل دءوب لأكثر من

---

[1] الرافعي، مصطفى صادق، ***تاريخ آداب العرب***، ج 1، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، 1997، ص 11.

أربعين عاماً عن المخطوطات العربية في شتى المجالات، وشتى العصور، وفي ترتيبٍ لما يشبه أن يكونَ تاريخاً ثقافياً للإسلام العربي خلال اثني عشر قرناً، كما أن تصنيفه الزمني والمكاني لعصور الآداب والدول والثقافات ما يزالُ محلَّ اقتباسٍ من أكثر الدارسين والعاملين في مجال الثقافة العربية الكلاسيكية[1].

ولعل ورقة البحث التي قدمها الباحث المغربي حسن الأمراني عن بروكلمان قد تكون من أهم البحوث التي عالجت جوانبا من مسائل سيمياء الأدب الإسلامي في كتاب "تاريخ الأدب العربي"، حيث ناقش الأمراني في هذا المبحث قضية مهمة تتعلق بتقسيم مراحل الأدب العربي عند بروكلمان الذي أفرد في كتابه للأدب الإسلامي تقسيما زمنيا وجغرافيا لم يسبقه إليه أحد، وجعل له مفصلا زمنيا مهما لم يلتفت إليه الكثير حتى يومنا هذا مع أن هذا المفصل يقوم على وجهة نظر معتبرة وسليمة إلى حد كبير.

يقول الأمراني :"لقد أطلق بروكلمان هذا المصطلح مراعيا أمرين اثنين: فأما الأمر الأول فهو إسهام الشعوب الإسلامية في هذا الأدب، وأما الأمر الثاني فهو تخلص هذا الأدب من الروح الجاهلية وبقاياها التي كانت ما تزال قائمة على عهد بني أمية، كالعصبية القبلية. وهذا يعني أن بروكلمان نظر إلى المصطلح من جانبين اثنين وهما: الامتداد الجغرافي المتصل بالأمم المفتوحة وانتشار الشعوب الإسلامية في أقطار من الأرض شتى من جهة، حيث لم يعد ذلك الأدب محصورا في جزيرة العرب وأطرافها فحسب، ثم جانب النظر إلى ذلك الأدب في بعده العميق المتصل بالقيم المستجيبة لروح الإسلام. وهذا يثير قضية أساسية تتعلق بعلاقة الأدب باللغة، فبالرغم من أن هؤلاء الأدباء المنتمين إلى شعوب إسلامية مختلفة قد اتخذوا العربية لسانا في آدابهم، إلا أن ذلك غير كاف لجعل هذا الأدب عربيا خالصا، عند بروكلمان،

---

[1] السيد، رضوان، "المستشرقون الألمان"، بيروت، لبنان. ص36.

فالأصح عنده أن يقال إنه أدب إسلامي مكتوب بالعربية. وهذا يفتح أفقا آخر له أهميته، وهو أن صفة الإسلامية التي اكتسبها هذا الأدب ليست نابعة من اللغة بقدر ما هي نابعة من الدين الذي اعتنقه هؤلاء، فانعكست روحه في آدابهم. وهذا يعني أننا نستطيع أن نتحدث أيضا عن أدب إسلامي غير عربي، كالأدب الفارسي، والأدب التركي...إلخ ".[1]

قد يكون هذا أحد أهم المباحث التي لها علاقة بوجهة نظر بروكلمان الذي اعتبره الأمراني واضع الأساس التاريخي والتقسيم الزمني لمثل هذا الأدب. وهذا الجانب يمثل واحدا من أهم الموضوعات التي طرقها بروكلمان في كتابه "تاريخ الأدب العربي"، حيث أن هناك مواضيع شتى وحساسة أشار إليها المؤلف لا تزال في حاجة ماسة إلى دراسة و تحليل.

أما في ما يتعلق بالمنطلق التاريخي لعمل المؤرخ التركي فوت سزكين "تاريخ التراث العربي" فهو يمثل ملحقا حقيقيا لعمل بروكلمان كما اعترف سزكين بنفسه في مقدمة كتابه "تاريخ التراث العربي" الذي وضعه بالأساس كتتمة وتصحيح لكتاب بروكلمان لكنه عدل عن ذلك فيما بعد، بتقديم عمل أكثر دقة وتحديدا عن تراث العرب بدأه من أولياته وتوقف عند القرن الخامس الهجري. يقول سيزكين: " ويجد القارئ في المقدمة الأولى أنني كنت في بادئ الأمر أعتزم تأليف ملحق لكتاب "تاريخ الأدب العربي" للمستشرق الألماني كارل بروكلمان بالاستناد إلى المخطوطات المحفوظة في مكتبة اسطنبول، ثم تغيرت نيتي بمرور الزمن فأصبح هدفي أن يكون مؤلفي تجديدا لكتاب بروكلمان، وهكذا أنجزت المجلد الأول فعلا لتجديد لعمل بروكلمان، وإن اتبعت فيه إلى حد ما نفس منهاجه"[2].

---

[1] حسن الأمراني، سيمياء الأدب الإسلامي، مقال منشور في مجلة إلكترونية.www.qantara.org

[2] سزكين، فوت (فؤاد)، ***تاريخ التراث العربي***، ترجمة محمود فهمي حجازي، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية، 1991. ج 1، ص 7.

وقد أشار سزكين إلى الكثير من المعلومات التي فاتت أستاذه بروكلمان، ولذلك ألف كتابه الجديد وبعنوان أكثر دقة سماه "تاريخ التراث العربي" عوضا عن الأدب العربي كتصحيح منه لما فعله بروكلمان[1].

لقد اعتمد سزكين على كتاب بروكلمان بشكل واضح، فوضع في كتابه المعلومات التي أوردها بروكلمان كاملة مع تعديلاته واستدراكاته وتمحيصه القائم على فهارس جديدة للتراث المخطوط في كل أنحاء العالم، ولاسيما في تركيا، وقَصَرَ سزكين كتابه على المخطوطات التي أُلِّفَتْ قبل سنة 430 هـ/ 1039م. خاصة وأن بروكلمان أهمل كثيرا من المخطوطات المتعلقة بهذه الحقبة وهذا ما قام به سزكين بعد أن توفرت له مادة جديدة.

ولكن رغم هذه المحاولة الجادة والدقيقة من سزكين إلا أن عمل بروكلمان يبدو أكثر شمولا واتساعا، خاصة وأنه تناول كل العصور الإسلامية بما فيها العصر الحديث، وإذا تمت معالجته على المنوال الدقيق الذي قام به سزكين، فسيكون هذا أعظم جهد علمي حول تراث العرب والمسلمين.

---

[1] نفس المرجع، سزكين، ج 1، ص 12.

## دواعي البحث:

إن قراءة عابرة لكتاب "تاريخ الأدب العربي" تكشف للباحث أن هذا الكتاب ليس عملا فهرسيا بحتا، فهو يشتمل على تبويبات جديدة من نوعها وربما غير مسبوقة إلى جانب مقدمات قيمة عن كل فن من الفنون المعرفية والتي تتميز في غالبها بالدقة والإيجاز والإحكام، كما أنها تكشف عن ذوق أدبي رفيع للمؤلف وتنطوي إلى حد كبير عن الميول الفكرية والتوجهات العلمية للمؤلف، وهذا هو ما يجعل هذا العمل في حاجة إلى بحث ومراجعة أكثر له، خاصة وأن بروكلمان لم يستطع هو الآخر كمستشرق التخلص من أيديولوجيته الفكرية ونزعاته الدينية رغم أنه حاول الحياد ما استطاع، لكنه لم يأنف بين الحين والآخر أن يصرح بنزعاته الذاتية وهو يتناول قضايا شائكة مثل أوليات الشعر العربي وروايته أو مسألة الانتحال في الشعر القديم التي لم يستطع أن يحدد موقفه النهائي منها والتي أشار إليها في أكثر من باب، مرة بالنفي ومرة بالتأكيد، فكتب مرة يقول: "هناك عدد كبير من شعراء الجاهلية الذين رويت لهم أشعار صحيحة أو منحولة كثيرا أو قليلا...."[1] في حين نجده يقدم استنتاجات ذكية ومنطقية إلي حد كبير عن المعلقات والقصائد العربية القديمة التي حسب رأيه لم يتم نظمها دفعة واحدة كما أنها نتيجة حول كامل، إلى جانب عدم وحدة موضوعاتها والترتيب فيها، وهذه قد تكون كلها مؤشرات عن مدى أصالة الشعر العربي.[2] وهذا الدفاع الضمني منه عن هذه المسألة العويصة، إلى جانب عدم نفيه لمسألة الانتحال يجعلنا في حاجة إلى بحث وتدقيق وتقصي للوقوف على الرأي الحقيقي للمؤلف.

---

[1] بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج 1، ص 160.

[2] نفس المرجع، ج 1، ص 120.

هناك أيضا قضية خطيرة لامسها بروكلمان في كتابه تستدعي البحث وهو موقفه من قضية الوحي والقرآن بشكل عام، فهو متخبط بين كثير من الآراء حتى أنه يصعب تكوين رأي واحد حول حقيقة موقفه ككل، فهو من جهة يعترف للرسول (صلى الله عليه وسلم) بأن الضرورة الدينية هي التي دفعته إلى دعوة قومه لعبادة الله وحده وهذه مقاربة تاريخية جيدة من مستشرق، ثم يصفه في المقابل ..."واستخدم محمد في دعوته أساليب الكاهن ..."،[1] وهذه جملة عابرة في مقدمة عمله، جعلته موضع إتهام وتجني عند القراء العرب والمسلمين ربما أثرت على تلقيهم لعمل بروكلمان ككل، رغم أن الدلالات اللغوية لمثل هذه الألفاظ تختلف من لغة إلى أخرى، لأن هذا المصطلح الديني في الألمانية مثلا أو الإنجليزية لا يحمل نفس الدلالة العربية التي ارتبطت في ذهن العربي، فكلمة الكاهن في السياق الألماني لا تحتمل نفس الوقع في السياق العربي، كما أنها قد تكون جملة عادية لكاتب مسيحي تعكس موقفه الديني ونظرته إلى شخصية الرسول التي بلا شك لن تكون بنفس نظرة المسلم.

أيضا نجد في هذا العمل الكبير تداخلات أدبية كثيرة ما بين التأريخ الأدبي والنقد الأدبي الذي يمتزج فيه معالجة الوقائع والتأكد من صحتها أو عدمها وبين إصدار الأحكام النقدية وإبداء الرأي في بعض المسائل الحساسة. ورغم أن عمل بروكلمان يمثل رصيدا ضخما وحصيلة هائلة من المعارف المتصلة أغلبها بالأدب إلا أنه يحمل رؤية خاصة للمؤلف عن هذا الأدب وهذا ما يظهر جليا في التقسيم الجديد الذي وضعه لمراحل الأدب عند العرب[2].

إن حجم العملية النقدية والرؤى الفكرية المتناثرة في طيات هذا العمل وأبوابه الواسعة تفتح دوما مجالا للنقاش والبحث حولها ومهما أجريت من دراسات وأبحاث فإن ذلك مما يساهم بلا

---

[1] نفس المرجع، ج1، ص 162.

[2] لقد قسم بروكلمان تاريخ الأدب العربي إلى مراحل كالآتي: أ – أدب اللغة العربية، من أوليته إلى سقوط الأمويين. ب– الأدب العربي الإسلامي (ابتداء من العصر العباسي حتى العصر الحديث).

شك في تقديم فكرة جديدة أو تصور أفضل لمثل هذا النوع من الأعمال الكبرى التي يصعب عادة إنجازها فرديا، وبذلك تكون أكثر عرضة للخطأ والتداخل.

كل هذه التصورات والدواعي المنهجية جعلتني أفكر بضرورة تقديم دراسة متكاملة عن بروكلمان كمؤلف وعن كتابه "تاريخ الأدب العربي" الذي سوف أتناوله بالتقييم المنهجي وبالمراجعة العامة له ولمجموع أفكاره. فمثل هذا العمل الضخم يحتاج، حسب رأي، إلى مراجعات نقدية مستمرة، خاصة وأنه حافل بمعلومات واسعة ومتنوعة ومتداخلة مما يجعله بلا شك أيضا حافلا بالأخطاء، هذا فضلا عن لفيف الآراء والتعليقات والمداخلات الخاصة بالمؤلف التي تحتاج كلها إلى دراسة وبحث. فهذا كله يحفز الباحث ويدفعه إلى النقاش والبحث المستمر في هذا السفر العلمي الكبير الذي تفرد بالعمل فيه بروكلمان وهو من هو دون أي دافع مادي أو نفعي سوى تقديم خدمة للمعرفة والعلم الإنساني، وهذا يحفزنا كباحثين إلى ضرورة البحث من جديد في هذا العمل والنظر إلى ما فيه من إيجابيات وثغرات حتى نساعد في استكماله، ليصبح لدينا عملا أكثر دقة وتطورا وفعالية.

## خطة البحث:

إن الهدف الأساسي من هذه الدراسة هو إعادة تكوين تصور علمي ومنهجي عن كرونولوجيا الأدب العربي منذ بداياته المتواضعة وحتى عصرنا الحالي من خلال تقييم أحد أهم الأعمـــال التي عرفها الأدب العربي في العصر الحديث فيما يتعلق بعملية التأريخ والتعريف به وبـــأهم موضوعاته التي أفنى العلامة كارل بروكلمان فيها أكثر من خمسين عاما في الجمع والدراسة ضمن كتابه "تاريخ الأدب العربي" الذي حرص على أن يكون عمله أكثر دقة وشمولا. والتي تخرج عن إطار الفهرسة البحتة أو الجمع التسلسلي ولكن بحكم أنها تمثل عملا غير مســبوق من حيث الترتيب ومن حيث المعالجة العلمية لأهم موضوعات التراث العربي ككل وليس فقط الأدب العربي الذي يمثل عمود هذا العمل الجاد الذي قام به كارل بروكلمان بوصفه واحدا من أهم علماء اللغة والفيلولوجيا في العصر الحديث.

فما لدينا من آراء وأفكار نقدية لهذا العالم ضمن كتابه "تاريخ الأدب العربي" هي ليست مـــن قبيل الاقتضاب أو التعريج المتكلف، بل هي تشكل مادة علمية نقدية وافية وحصيلة فكرية لا يستهان بها تستحق أن تفرد لها دراسة مثل دراستنا هذه.

إن عالما متخصصا مثل بروكلمان لم يكن لينذر وقته وجل حياته لمثل هذا العمل الضخم لو لم يكن يريد أن يقدم من خلال جهده رؤية جديدة ومختلفة للأدب العربي ضمن ســياق تــاريخي واسع ومتسلسل رغم صعوبة القيام بأمر كهذا في ضل أدب عالمي لم تحكمه الجغرافيا ولكنه امتد ما بين نقطتين واسعتين ومتشعبتين جدا امتدادا من الهند ووصولا حتى الأندلس.

تقوم خطة البحث الأساسية على عدة فصول يندرج تحتها مجوعة من المباحث حسب أهمية كل موضوع من موضوعات هذا البحث، حيث سيتناول الفصل الأول مقدمات منهجية تتعلق بداوعي البحث وأسبابه. أما الفصل الثاني فهو يقدم رؤية تاريخية للاستشراق الألماني والدور

الفيلولوجي لهذه المدرسة، إلى جانب عرض محدد عن أهم رموز الفيلولوجيا العربية داخل المدرسة الألمانية مع التعرض المفصل للمؤلف (كارل بروكلمان) بالدراسة الشاملة عن حياته ودراسته ومساره الأكاديمي وأهم أعماله وما يمكن أن نستشفه منها عن ميوله ونزعاته الفكرية وأيديولوجيته ككل. وهذه تندرج تحت مباحث عديدة منها التكوين الفيلولوجي لبروكلمان وتأثيرات المدارس الاستشراقية ونزعاتها على فكره.

أما باقي الفصول فتتعلق بدراسة مؤلف بروكلمان "تاريخ الأدب العربي" من حيث المنهجية التي اعتمدها والتقنية التي عمل بها في ترتيب وتبويب كتابه إلى جانب دراسة عن مصادره الأساسية (الفصل السادس) التي استقى منها معلوماته والدوافع البحثية التي جعلته يفكر في مثل هذا العمل رغم بعض المحاولات التي سبقته في هذا المجال والتي أشار إليها هو نفسه في بداية كتابه. كما ستعالج بعض هذه الفصول طبيعة التبويب التي جاء بها بروكلمان، ومدى جديتها وأهميتها، إلى جانب استقصاء مجموع آراءه في قضايا عدة كقضية الشعر القديم مثلا وظاهرة الوحي وطبقات الشعراء وظهور ما سماه هو الأدب الإسلامي وحقيقة هذه التسمية قبله وبعده .... إلخ. وهذا هو الجانب النقدي في هذا البحث الذي سوف يدرس آراء وتوجهات بروكلمان الفكرية والأيديولوجية خاصة وأنه يعتبر أحد رواد علم الفيلولوجيا في ألمانيا وله من الرسوخ العلمي الفريد في فقه اللغات عامة وفي العربية على وجه الخصوص وهذا ما يجعل آراءه في هذا الكتاب على قدر كبير من الأهمية وتستحق البحث والكشف عنها.

هناك أيضا شق أساسي ومهم في هذا البحث وهو تقييم عمل الترجمة ككل (الفصل السابع) من حيث بدأ بروكلمان هو نفسه وانتهاء بلجنة المترجمين العرب الذين اعتمدتهم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التي باشرت ترجمة هذا العمل بموافقة وتوجيهات بروكلمان نفسه، الذي سبق هذه المنظمة بسنوات في ترجمة الأجزاء الأولى لكتابه من الألمانية إلى

العربية لولا أن المنية وافته. لكن صدور هذا العمل بصورته الحالية في بدايات التسعينات أراح الجميع وأغنى المكتبة العربية أيما إغناء. فعمل الترجمة ليس بالأمر الهين، خاصة ونحن أمام عمل ضخم ومتنوع، مما يجعل مهمة التحقيق والتصحيح والمراجعة والمقابلة مهمة قائمة ومطلوبة حول هذا العمل.

سنحاول في الفصل المتعلق بعمل الترجمة الرجوع ما أمكن إلى العمل الأصلي للمؤلف ومعاينة طبيعة أبوابه وفصوله ومقارنتها بالنص المترجم للوقوف على أوجه التباين أو التقارب بين النسختين، كما نحاول أن نفهم تقنية ولغة المترجم ومدى السهولة أو الصعوبة التي واجهت ظهور هذا الكتاب بشقه العربي الكامل، خاصة وأن هذا العمل لم يتم ترجمته بشكل فردي حيث تناوب على ترجمته عدد كبير من المتخصصين العرب.

أيضا سنتعرض في هذا البحث إلى حقيقة الأدب والتراث الجزائري في عمل بروكلمان ولماذا لاحظنا غياب الكثير من الأعمال في هذه الموسوعة خاصة في العصر الحديث وما هي دواعي التقصير في ذكرها.

# الفصل الثاني

## كارل بروكلمان والمدرسة الفيلولوجية

## المبحث الأول: نبذة عن تاريخ الدراسات العربية في ألمانيا قبل وبعد بروكلمان

**مقدمة:**

قبل الحديث عن تاريخ الدراسات العربية في ألمانيا ينبغي أن نشير إلى أن ألمانيا تعتبر واحدة من أهم قلاع الاستشتراق في العالم إلى جانب فرنسا وهولندا وإنجلترا الذين كانوا أول من طرقوا باب التراث العربي الإسلامي ونقبوا في مكنوناته ومن ثمة باشروا في عملية ترجمة بعض من عيون هذا التراث إلى لغاتهم الأم، مشكلين بذلك انطلاق أول نواة استشراقية توسعت عبر قرون بإسهامات شملت باقي أجزاء الغرب الأوروبي كإيطاليا وإسبانيا وروسيا لاحقا.

لكن الذي لا جدال فيه وهو أن الاستشراق الألماني والفرنسي يمثلان قطبا هذا التيار العلمي الذي تأثر بداية بالفكر العربي الإسلامي وأثر هو بدوره في هذا الفكر، فكان الفرنسيون والألمان بلا شك هم أكثر رواد هذه الحركة العلمية النقلية التي جددت تراث العرب والمسلمين وأغنته أيما إغناء بدراسات لا حصر لها، رغم الكثير من التشوهات والمغالطات التي صاحبت هذا الاشتغال والاهتمام الواسع بهذا التراث. فقد كانت فرنسا مثلا من السباقين إلى تأسيس أول كرسي للغة العربية في أوروبا كلها سنة 1539 في الكوليج دو فرانس[1]، ثم بدأت دور العلم والجامعات الأوروبية تحذو حذو فرنسا، فانتشرت المعاهد الشرقية في أغلب البلاد الأوروبية، خاصة ألمانيا التي قوى فيها انتشار المعاهد والمدارس الخاصة باللغات والدراسات الشرقية.

---

[1] شاخت، جوزيف، ***تراث الإسلام***، ترجمة حسين مؤنس. ج 1، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.1978. ص 77.

كما أن أول طبعة للنص الكامل للقرآن وبحروف عربية، والتي انتشرت بقوة ولا يزال يوجد منها نسخ إلى الآن في بعض مكتبات أوروبا، هي تلك التي قام بها القس الألماني أبراهام هنكلمان (Abraham hinckelmann 1695/1652م) في مدينة هامبورج بألمانيا سنة 1694 في مطبعة Schultzio Schilleriana .

ويذكر ألبرت ديتريش أن أول محاولة في ألمانيا لتدريس اللغة العربية كانت من قبل كريستمان المتوفى سنة 1613 والذي ألّف كتاباً لتعليم كتابة الحروف العربية. أما الرائد الأول الذي وقف حياته كلها لدراسة اللغة العربية والحضارة الإسلامية، فهو يوهان رايسكة المتوفى سنة 1774م، الذي يعود الفضل إليه في تحرير اللغة العربية من طوق اللاهوت والخروج بها إلى الذوق الألماني العام.

وقد بدأت الدراسات العربية في ألمانيا مع بداية ظهور المخطوطات العربية والاهتمام بها في بلاط وقصور الأمراء والقياصرة الألمان كما هو معروف عن القيصر الألماني فريدريش الثاني، الذي ولد في صقلية وكان على معرفة تامة باللغة العربية، كما عرف عنه اهتمامه بالإسلام، ويقال أن بابا روما انستانتس الثالث قد قام بقتله بالسم وهذا ربما مما جعل البعض يعتقد بأنه قتل لكونه اعتنق الديانة الإسلامية.

ولكن المؤكد أن الكثير من قياصرة وأمراء ألمانيا قد حرصوا على جلب المخطوطات العربية خاصة ما تعلق منها بعلوم الطب والفلك بالإضافة إلى ما تعلق منها أيضا بالديانة المسيحية، كما حرصوا على ترجمة القرآن الكريم إلى اللغتين اللاتينية والألمانية. وقد أحضر ايماوئيل تريميليوس من دمشق مخطوطات نادرة للقرآن الكريم إلى جانب أول مخطوطة للعهد الجديد مترجمة من السريانية إلى اللاتينية، وقد عمل على ترجمتها إلى اللغة الألمانية عند أمراء ولاية فالتس ثم قام بإهداء مجهوده هذه إلى جامعة مدينة هايديلبيرج، كما قام فرديناند يونيوس

سنة 1587م بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغتين اللاتينية والألمانية وأهداها بدوره إلى الجامعة الآنفة الذكر.

أما جاكوب كريستمان الذي تعلم اللغة العربية بدمشق فقد وضع فهرسا لجميع المخطوطات العربية الموجودة في جامعة هايديلبيرج مع ملاحظات عليها بين سنوات 1585 و 1630م.

ولكن مع توقف المد العثماني على مشارف أوروبا واحتكاكه بالأوربيين بدأت معرفة الألمان بالإسلام تتعمق من خلال الترجمات العديدة للقرآن إلى اللاتينية والألمانية، فقد أصبحت ترجمة القرآن الكريم متداولة بعد أن سمح البابا الكسندر السابع الذي استلم منصب البابوية عام 1655م بنشر وطباعة القرآن الكريم إلى اللغتين اللاتينية والألمانية وقام العلماء الألمان بتصحيحات على أول ترجمة لمعاني للقرآن الكريم التي قام بها شفايغر عام 1535 بتوجيه من صاحب مذهب البروتسانت مارتين لوثر الذي نصح الكنيسة بدراسة القرآن الكريم.

ولحبه وشغفه بالشرق قام ملك الدانمرك والقيصر البروسي فريدريش فيلهلم السادس (1838م) بتأسيس أول معهد للشرقيات في جامعة برلين وقام بتعيين عالم اللغة العربية الشاعر فريدريش ريكرت (1788–1866م) رئيسا لهذا المعهد كما قام بتكليف الأمير الألماني كريستان كارل فون بونسين (1860م) بشراء مخطوطات عربية كانت بحوزة الرحالة البريطاني روبرت شامبرز في لندن (1803) وكان من بينها مخطوط للقرآن الكريم يعود إلى حدود 450 هجرية.

ويعتبر الرحالة والمستشرق الألماني والدبلوماسي الأمير ماكس فرايهير فون اوبنهايم (1860–1945م) أحد عمالقة الاستشراق الألمان فقد عاش في الشرق العربي حوالي 50

عاما ما بين دمشق وبغداد والمدينة المنورة أتقن خلالها اللغة العربية ولهجاتها، كما قام هذا الأمير بوضع كتب عن الإسلام والعرب تعتبر من نفائس الكتب العلمية الحديثة .

ولكن الدراسات الشرقية لم تتطور وتعرف الجدية إلا بعد أن قام العالم الكبير أوجست سخاو بتأسيس معهد اللغات الشرقية سنة 1888م في برلين، الذي يعتبر النواة الأولى لعدد من المعاهد والمدارس الشرقية التي تأسست فيما بعد في عديد من الأماكن داخل ألمانيا. وقد أصدر سخاو سلسلة من الكتب التعليمية لتبسيط قواعد اللغة العربية ساهمت فيما بعد في تكوين الكثير من فطاحل المستشرقين الألمان العظام، من أمثال المستشرق الألماني كارل هاينريش الذي أصبح وزيرا للثقافة في عهد القيصرية الألمانية قبل أن يطيح بها الزعيم النازي أدولف هتلر. ولقد قام سخاو بتحقيق أقوى عمل عرفه تاريخ الإستشراق وهو ما للهند من مقولة للبيروني، والذي جعل الغرب يتعرف على أكبر علماء العصور الوسطى، والذي اعتبره سخاو بأنه أعظم عقلية عرفها التاريخ.[1]

وقد كان لمعهد اللغات الشرقية في برلين أهميته الخاصة إذ أصبح له علاقات واسعة مع جميع مجامع اللغة العربية في دمشق والقاهرة وبغداد وهذا الفضل يعود كله للمستشرق الألماني أوجست سخاو الذي سبق له أن انتقل بين سوريا والعراق وعاش في دمشق وبيروت لمدة وصلت إلى حوالي 20 عاما وقد وضع مقالة في معهد الاستشراق يصف فيها اللقاء الذي تم بينه وبين الشريف حسين بن علي الهاشمي والملك عبد العزيز آل سعود.

أما المستشرق الألماني جوستاف ليبريخت فلوجيل (1802–1870م) فقد كان صاحب فكرة وضع أول قاموس مفهرس لألفاظ القرآن الكريم والحديث النبوي لتسهيل البحث عن آيات القرآن الكريم والأحاديث بشكل سهل، وقد قام فيشر بتصحيح المعجمين وإعادة طبعهما في

---

[1] العقيقي، نجيب، ***المستشرقون***، دار المعارف، مصر، ص 742.

مدينة لايبتسيغ التي كانت مدينة ثقافة العلوم الإسلامية والعربية في ألمانيا وأوروبا قاطبة. كما أنه كان أول من حقق ذلك السفر العظيم "كشف الظنون" لحاجي خليفة اعتمادا على عدد كبير من نسخ المخطوطات في فينا وباريس وبرلين، حيث قضى أكثر من أحد عشر عاما في تحقيقه وترجمته إلى اللاتينية في أسفل النص وهو جهد رائع وجبار رغم الأخطاء الواردة فيه، ويكفي هذا المستشرق الكبير شرفا أن قدم إلى المكتبة العربية منذ أكثر من قرن ونصف هذين العملين المهمين، معجم ألفاظ القرآن وتحقيق كشف الظنون.

ويعود الفضل للمستشرق الألماني أوجست فيشر(1865-1949م) في تطوير معاهد الاستشراق في الجامعات الألمانية إذ ساهم إلى حد كبير بأن تصبح هذه المعاهد معاهد علمية التي كان للعديد منها شرف العضوية في بعض مجامع اللغة العربية في البلاد العربية، كما بدأت بعض معاهد الاستشراق الألمانية بإرسال طلبتها إلى البلاد العربية لتعلم اللغة العربية، وكان معهد الاستشراق في جامعة مدينة لايبتسيغ أول من بادر في هذه السياسة العلمية عندما كان فيشر مديرا له الذي حرص على تقوية علاقاته مع علماء الشرق مثل الشيخ طاهر الجزائري مؤسس مجمع اللغة العربية ودار الكتب الظاهرية، وقد استطاع فيشر من خلال بحوثه القيمة عن الإسلام تصحيح أفكار الكثير من الألمان عن هذا الدين وتمحيص بعض افتراءات المستشرقين من الألمان وغيرهم عن الإسلام والمسلمين كما ساهم بتقديم خدمات علمية جليلة حول علوم القرآن الكريم والحديث النبوي.

## فيلولوجيا اللغة العربية في ألمانيا:

لقد كان الألمان هم أول من وضع اللغة العربية على خط الفيلولوجيا الصحيح بالمعنى المعاصر وتحريرها من نطاق البحث التاريخي اللاهوتي الصرف الذي كرسها لعهود طويلة في خدمة النصوص الدينية القديمة مما جعلها صنوا فقط للغة العبرية ولم تكن الدراسات

المتعلقة بالنص العربي تخرج عن هذا الإطار حتى جاء بعض العلماء الألمان الـذي تحـدوا بشجاعة هذا الطوق العلمي المنيع وبدءوا بتقديم نصوص عربية جديدة على العقل الأوروبـي كانت تبدو ساعتها نصوصا خلاقة وغير مسبوقة. فكانت مثل تلك المسـاهمات هـي الـركن الأول للدراسات الاستشراقية الألمانية التي بلغت ذروة ازدهارها لدى المسـتعربين الألمـان الكبار مثل رانكه ومومسن أواسط القرن التاسع عشر والتي اعتبـرت معرفـة فقـه اللغـات السامية هي الأساس الموضوعي للمعرفة التاريخية لأي أمة من الأمم[1].

يعود اهتمام اللغويون الألمان باللغة العربية وآدابها الشاملة إلى تلك اللحظـة المبهـرة التـي اكتشف فيها الأوروبيون عامة مدى عمق هذه اللغة ورسوخ قواعدها وأصالة فنونها قياسا مع لغاتهم التي لم تعرف تقعيدا لغويا لها إلا في عصور تاريخية تبدو نسيبا جد متأخرة مقارنة مع كل ذلك التراث الفكري والديني والإنجازات الحضارية التي عرفتها أوربا عبر التاريخ.

فاللغات الأوروبية لم تشهد حتى داخل الإطار اللاتيني ثراء لسانيا لغويا يضاهي لغة العـرب، خاصة وأن وضع القواعد لهذه اللغات لم يبدأ إلا مع عصر النهضة. فكان ظهور أول قواعـد معروفة خاصة باللغة الإسبانية والإيطالية مع بداية القرن 15م، أما أول قواعد للغة الفرنسـية فقد ظهرت في القرن 16م، وعرفت اللغة الإنجليزية أول قواعد مطبوعـة لهـا فـي عـام 1586م[2]. كما أن اختراع المطبعة قد ساعد على نشر المعرفة بين الجمهور وساهم في ترويج النصوص الأدبية والدينية بحيث أصبحت في حاجة أكثر إلى ميزان لغوي يضبط هذه المعرفة أكثر، ونتيجة للتأثيرات التي أحدثها التوسع الإنساني (الأوروبي) على الدراسات اللغوية ومـا صاحبها من إقبال على القراءة والكتابة، فكثرت المطبوعات حول دراسة النصـوص وكتـب

---

[1] السيد، رضوان، ***المستشرقون الألمان***، بيروت. 1999. ص 22.

[22] روبنز روبرت هنري. ***موجز تاريخ علم اللغة في الغرب***، ترجمة أحمد عوض، منشورات عالم المعرفة، الكويت، ص 153.

القواعد والمعاجم، وأدى كل ذلك إلى انتعاش اللغات الأجنبية التي كانت اللغة العربية والعبرية أكثرهما اهتماما من طرف الدارسين.

وهذا ما أحدث عنصر المفاجأة لدى الأوربيين عندما وجدوا أن اللغة العربية تفوق لغاتهم بمراحل متطورة، فهي قد سبقت كل اللغات إلى وضع أول قواعد لها منذ أكثر من 1000عام، حتى بلغت اللغة العربية ذروتها في نهاية القرن الثامن الميلادي بقواعد متينة ضبطها العالم اللغوي الكبير سبويه الذي كان تلميذا للخليل بن أحمد الفراهيدي، والذي أنجز بدوره للغة العربية وصفا صوتيا مستقلا عن كل اللغات، كان أكثر سلامة في الوصف من إنجاز اليونان والرومان[1].

لقد كانت اللغة العربية والعبرية هما أول لغتين غير أوربيتين أصبحت أوربا على اطلاع كبير عليهما في عصر النهضة. حيث استمدت اللغة العربية واللغة العبرية تأثيرهما على الغرب للبعد الروحي لهما، خاصة اللغة العربية التي تتميز بعمق ديني كبير بسبب القرآن (الكتاب المقدس) الذي أسس للعرب تراثا فكريا روحيا كبيرا وواسعا نتيجة التفاسير العديدة له والشروح اللغوية الكثيرة حوله وحول ما يتعلق به من علوم[2].

ونحن عندما نتحدث عن أهم الانجازات التي قام بها غير العرب أو من غير المسلمين عموما حول التراث العربي برمته، فنحن أمام أحد أعظم المدارس الأوروبية الإستشراقية التي ساهمت بقليل أو بكثير في خدمة هذا التراث وفتحت مجالا واسعا من الفرضيات والنظريات والجدليات حوله، رغم الاعتوار المنهجي الذي طبع بعض الدراسات الصادرة عن هذه المدرسة.

---

[1] موجز تاريخ اللغة، ص 151.

[2] موجز تاريخ اللغة، ص 157.

ربما يكون من التميز العلمي الذي يحسب للمدرسة الألمانية كونها أول مدرسة علمية معاصرة اقتحمت وأقحمت اللغة العربية ضمن مجال الدراسات اللسانية واللغوية ككل، وكان لها الفضل في توجيه مسار الدراسات العربية نحو خط علماني متحرر من أي قيود، خاصة وأن اللغة العربية كانت تمثل الشق الملاصق للغة العبرية واللتين خضعتا معا للدراسات اللاهوتية طويلا.

## الفيلولوجيون الألمان ودورهم في دراسة الأدب العربي

سنحاول في هذا (العرض[1]) أن نقدم صورة عامة عن بعض رموز الفيلولوجيا من المدرسة الألمانية المستعربة وأهم أعمالهم المتعلقة بدراسة اللغة العربية. خاصة وأن هذه المدرسة قدمت كل أنوع الدراسات العلمية الموضوعية أو المتناقضة داخل هذا المجال من البحث سواء ما ساهم منها في طرح بعض النظريات الجدلية حول قضايا مهمة في الأدب العربي لا تزال تأثيراتها قائمة في الذهنية العربية إلى يومنا هذا (كقضية انتحال الشعر العربي)، أو بما قدمته هذه المدرسة من بعض النماذج والأعمال الفريدة التي هي غاية في الدقة والموضوعية عن تراث العرب مما ساهمت بالكشف عن مدى دورهم الإنساني والفكري في هذا العالم.

## أهم الأعمال

---

* **نقاط منهجية:**

– فيما يتعلق بالعناوين الفرعية التي أدرج تحتها العلماء الألمان وإنجازاتهم العلمية فهي موضوعة بما بتناسب مع عمل مشابه فأكثر.

– تعمدت وضع مسميات المراجع الألمانية كاملة أسفل النص للأمانة العلمية وتيسير الرجوع إليها للاستزادة أو البحث.

# تحرير الدراسات العربية والخروج من دائرة المقدس

**يعقوب جوليوس، (Jacob Golius / 1596–1667)**

أقدم مستعرب ألماني عرفته الدراسات العربية، انتقل إلى مدينة ليدن (هولندا) لدراسة الرياضيات، ثم أعاد التسجيل لدراسة اللغة العربية وغيرها من اللغات الشرقية التي كان بارعا فيها بين أبناء جيله.

عمل ضمن البعثة الدبلوماسية المتجه من بلده إلى المملكة المغربية، حيث جمع خلال رحلته كثيرا من المخطوطات العربية، كما فعل ذلك أيضا في رحلته إلى سوريا وبعض البلاد العربية الأخرى. وعمل على تحقيق بعض من هذه المخطوطات التي جمعها بنفسه والتي تضمنت عيون الشعر العربي.

كتب دراسة عن ديوان الشنفرى، تتضمن ترجمة ألمانية للامية العرب ولقصيدة في النسيب توجد في المفضليات([1]). له العديد من الدراسات عن الشنفرى، تضمن القسم الأساسي منها عمله عن لامية العرب، أما القسم الآخر منها فتضمن شواهد مناظرة، وقائمة بيبليوجرافية عن الشنفرى([2]). كما كتب ترجمة جديدة للامية العرب على أساس الدراسات الحديثة([3]). وهو من الأوائل الذين بادروا إلى تأليف كتب مبسطة في علم العربية لم يكن للأوروبي المستعرب غنى عنها، مثل كتب القواعد والمعاجم وشروح النصوص. وله منزلة معتبرة عند العلماء الألمان باعتباره أحد رواد الفيلولوجيا في عصر النهضة.

---

[1] G. Jacob, *Aus Schanfaras Diwan*, Berlin 1914.

[2] G. Jacob, *Schanfara – Studein*, I. Teil: Der Wortschatz der Lamija nebst Ubers. und Beigefugtem Text, II.

[3] G. Jacob, *Schanfaras lamijat al,'Arab im Auszug*, Kiel 1913–12.

**رايسكه يوهان جاكوب، (Johann Jacob Reiske / 1716–1774م)**

عالم ألماني ولد في قرية تابعة لمدينة هالة المعروفة، عاش طفولة مزرية بأحد دور الأيتام، وقد ظهر نبوغه المبكر في تعلم اللغات كاليونانية واللاتينية ثم اللغة العربية التي لم يكد يبلغ العشرين حتى أصبح يترجم منها بكفاءة نصوصا إلى الألمانية واللاتينية، وهذا ما جعله يفكر بالذهاب إلى ليدن للإطلاع أكثر على المخطوطات العربية التي كانت تعج بها المكتبة هناك. ورغم أنه عمل كثيرا في دراسة هذه المخطوطات وترتيبها أحيانا كما حقق وترجم عددا من القصائد العربية، إلا أن ذلك كله لم يشفع له باللحاق بالدراسات العربية في الجامعة لأسباب كثيرة، مما جعله يلتحق بكلية الطب وقد حصل فعلا على الدكتوراه في الطب سنة 1746م، ثم عاد إلى ألمانيا ولكنه لم يعمل بمهنة الطب، واتجه إلى الدراسات الشرقية من جديد، فثقف نفسه بنفسه حتى أصبح رائدا في مجال الدراسات اللغوية العربية والبيزنطية، وأصبح رايسكه الخبير الأوحد بين أبناء جيله في دراسة العملات الإسلامية وقراءتها[1].

كان يسمي نفسه "شهيد الأدب العربي"، فقد نذر حياته لدارسة التاريخ والأدب العربي من خلال المخطوطات التي أغرته دراستها كثيرا حتى أنفق معظم أمواله من أجلها رغم فقره وسنوات الشدة التي عانى منها أثناء وجوده في جامعة ليدن التي كانت تحتوى على كم هائل من المخطوطات.

تعرض رايسكه إلى كثير من الاضطهاد من قبل بعض الأساتذة الألمان خاصة وأنه لم يكن أكاديميا بالدرجة المطلوبة، وهذا لأن بعض هؤلاء الأساتذة كانوا يريدون إبقاء الدراسات العربية ضمن نطاق "الفيلولوجيا الدينية العبرية" التي كرست لتفسير العهد القديم (الكتاب المقدس/التوراة)، فقد كانت الجامعات الأوروبية ما تزال تحت سيطرة علماء اللاهوت. لهذا

---

[1] Wikipedia, the free encyclopedia

بدأ رايسكه في ممارسة الاستشراق العلماني الحر كهاو، وهذا ما حرمه من أي دعم أو مساعدة، فلم يحصل على وظيفة تناسب مقامه في هامبرغ[1].

كان رايسكه ممن يمجدون الشرق الإسلامي بما أثار حفيظة الكثير من اللاهوتيين عليه[2]. وقد كان يرى "أن من يريد أن ينهض بالعربية فعليه أن لا يتناولها تناول اللاهوتي". كما أنه اعتبر العالم الإسلامي لا يقل مجدا وعظمة عن العالم الأوروبي، ولقد كان يرفض التقليل من شخصية النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، بل كان يعتبر ظهوره وانتصار دينه وانتشاره في العالم شيء لا يمكن أن يرفضه العقل الإنساني، وكان ينظر إلى هذا الحدث التاريخي الكبير على أنه يدل على قوة إلهية عالية التدبير.[3]

يعتبره بعض المتخصصين العرب أكبر عالم أنجبته ألمانيا في اللغة العربية وأحد عباقرتها الكبار في زمانه[4]. وقد كان العالم الألماني الكبير يوهان هاردر يناديه "عربينا"، فوصفه في أحد مقالاته بأنه "ربما كان المستعرب الذي فاق بعلمه ومعارفه كل الآخرين الذين أنجبتهم أمتنا"([5]). كان رايسكه أقدر أهل زمانه على التعامل مع المخطوطات العربية قراءة وتحقيقا وترجمة[6].

---

[1] مومزن، كاتارينا، *جوتة والعالم والعربي*، ترجمة عدنان علي، عالم المعرفة، الكويت، 1995، ص 256.

[2] أنظر تراث الإسلام، ج 1، ص 56، 63.

[3] بدوي، موسوعة المستشرقين، ص 300.

[4] محمود حمدي، زقزوق، ***الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري***. دار المعارف، القاهرة. 1997. ص37.

[5] Herder, S W III, 32.

[6] نفس المرجع، ص 32.

وقد نشر معلقة طرفة بن العبد بشرح ابن النحاس([1]). كما ترجم في سنة 1765 بعض قصائد المتنبي إلي الألمانية بعنوان "نماذج من الشعر العربي في الغزل والرثاء (من شعر المتنبي)". ظهرت ترجمته الألمانية للامية الطغرائي عام 1756م.

## إنصاف العرب

**هاردر يوهان جوتفريد، (Johann Gottfried Herder /1744–1803م)**

أديب ولغوي وفيلسوف ألماني شديد الحماسة، ساهم بأدبه ونقده في ظهور مدرسة فكرية في ألمانيا تعرف بمدرسة "العاصفة والاندفاع" (Sturm und Drang)، وهو رجل واسع الإطلاع، له معرفة دقيقة بالأدب العالمي وبالأدب العربي أيضا، يعتبر واحدا من أهم فلاسفة وعلماء اللغة في ألمانيا. نشأ هاردر في بيئة فقيرة لأسرة متدينة فتعلم بمجهوده الخاص حتى التحق بجامعة كونينجسبرغ وهناك أصبح واحدا من تلاميذ إيمانيول كانت.

وبعد رحلات عديدة بين فرنسا وألمانيا عاد هاردر إلى مدينة سترسبورغ وهناك إلتقي بشاعر ألمانيا العظيم غوتة الذي أثر فيه أيما تأثير.

تعتبر رسالته "أصول اللغة" التي أصدرها عام 1772م واحدة من أهم الدراسات اللغوية التي ساهمت في تأسيس أصول علم الفيلولوجيا والأدب المقارن عموما.

أشاد هاردر باللغة العربية وبشعرها كثيرا في كتابيه "شذرات" و"الغابة النقدية الصغيرة"، وكان العرب في نظره "***معلمي أوروبا***"[2]. وهو الذي دعا إلى إعادة النظر في الصور الشعرية الموجودة في أشعار العرب الذين أنصفهم هاردر في كثير من آرائه وكان من المدافعين

---

[1] J. J. Reiske, *Tharaphae Moallakah cum scholus Nahas*, arabice edidit, vertil, illustravit, Leiden 1742.

[2] تراث الإسلام، ج 1، ص 60.

الأقوياء عن أقدمية الشعر الجاهلي وأصالته، وهذا من خلال بحثه حـــول "تـــأثير الأدب فـــي عادات الشعوب في العصور القديمة والحديثة"([1]).

كتب هاردر عن العرب كلاما جميلا ورائعا يستحق الإشادة به في مواجهة بعض الانتقـــاص والتزييف الذي اعتمده الكثير من المستشرقين في دراساتهم، ولكن هذا الطابع لم يكن سمة كل العلماء الألمان. فقد كتب هاردر يقول:" ألا ما أروع أشعار العرب، إنها حقا مرآة لطـــريقتهم في التفكير وفي الحياة، إنهم يتنفسون الحرية والإباء، وتملأ صدورهم روح المغامرة وشـــرف الطموح، والفروسية والشجاعة التي طالما استنفرها الأخذ بالثأر من الأعـــداء، وفـــاء مـــنهم للأصدقاء وحفاظا على العهد للحلفاء.... لقد كانوا شعراء قبل محمد بكثير.... ولعـــل تـــأثير فنونهم الشعرية لم يكن أقل من تأثير علومهم، التي كنا قد أخذناها بأكملها تقريبا من أيديهم..." .[2]

**<u>فون هامر بورجشتال، (J. von Hammer-Purgstall /1774-1856م)</u>**

مستعرب ألماني ذو أصول نمساوية، درس في فيينا، وهو عالم غزيـــر الإنتـــاج وإن كانـــت تنقصه الدقة الفيلولوجية قليلا لضعفه باللغة العربية[3]. له إنجاز مهم تمثل بإصدار أول مجلـــة محكمة متخصصة في الدراسات الإستشراقية بعنوان: "كنوز الشرق" صدرت في فيينا بدايـــة

---

[1] J.G. Herder, *On the Effect of Poetic Art on the Ethics of Peoples in Ancient and Modern Times*, 1778.

J. G. Herder, *Ideen zur Philosophie einer Geschichte der Menschheit* (1791) Buch 19: Reiche der Araber (SWXIX, S425-438). [*Ideas for the Philosophy of History of Humanity*]

[2] مومزن، كاتارينا، *جوتة والعالم والعربي*، ترجمة عدنان علي، عالم المعرفة، الكويت، 1995، ص 32

[3] كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج 1، ص 32.

من سنة 1809، وقد جعل شعار هذه المجلة الآية القرآنية " قل لله المشـــرق والمغـــرب"([1]). وكان يوزع اهتماماته بين ما هو قديم وحاضر، ألف في تاريخ التراث العربي([2]). نشر بحثا موسعا عن المتنبي([3]). ولأنه كان يتقن الفارسية فقد ترجم ديوان الشـــاعر الفارســـي حـــافظ الشيرازي، ونشره بين عامي 1813/1812.

تعرض بورجستال في كثير من دراساته المنشورة في هذه الدورية للجانب اللغوي عند العرب وخاصة عند الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث أشاد بفصاحته وبروعة البلاغة في القـــرآن الكريم: "فيما انطوى عليه القرآن من بلاغة في الخطاب وروعة في الإيقاع وتناسق في النغم، سحر الرسول شعبا يملك حسا مرهفا بجماليات البيان".(هـــامر: كنـــوز الشـــرق، ج 1، ص 362).

كتب هامر أيضا كتابا مهما عن تاريخ الأدب العربي الذي استفاد منه الكثير مـــن الدارســـين لاحقا، وعلى رأسهم بروكلمان الذي ذكر أن بورجشتال هو أول من حاول تصنيف هذه المادة الغزيرة للأدب العربي، وقد صدر كتابه "تاريخ الأدب العربي" في سبعة أجزاء طبعـــه فـــي فيينا بين عامي 1850-1857م([4]).

تركت إسهامات هامر بورجشتال الأدبية أثرا كبيرا في الشعر الألماني وفي شـــعرائها نـــذكر منهم على وجه الخصوص ريكرت أعظم شعراء ألمانيا، الذي وجهـــه بورجســـتال للاهتمـــام

---

[1] J. von Hammer-Purgstall, *Fundgruben des Orients*, II vol, Wien 1809.

[2] J. von Hammer-Purgstall, *Literaturgeschichte der Araber, von ihren Beginne*, Wien 1850-58.

[3] J. von Hammer-Purgstall, Motenebbi, *der grosste arabische Dichter*, Wien 1824, J.Duval-Destains in: Mercure etranger, Paris, No. 9, 1813.

[4] J. von Hammer-Purgstall, *Literaturgeschichte der Araber*, Vienna, 1850-56, 7 vols.

بالشعر العربي والفارسي. تمثل أعماله مرحلة عظيمة في تاريخ الاستشراق الألماني وحتى الأوروبي كله، يعتبره الكثير خير وسيط بين الشرق الإسلامي وأوروبا.[1]

## الشاعر والمترجم

**فريدريش ريكرت، (Friedrich Rueckert /1788–1866م)**

شاعر ألماني قدير ومعروف وهو أيضا مستعرب متمكن كان يحسن الكثير من اللغات، منها اللغة العربية، التي ترجم منها إلى الألمانية كثيرا من الأعمال بإتقان كبير، حتى أن ترجماته الأدبية تعتبر من أهم الترجمات وأدقها إلى اللغة الألمانية([2]).

لقد كان ريكرت مترجما ذا كفاءة عالية لأنه جمع بين قوته الشاعرية وإتقانه للغة العربية. تميز بثراء كبير في الأفكار وتمكن عجيب للغة الألمانية، وكل هذا مكنه من معالجة معظم أساليب النظم الشعري، فجرب كل ألون النظم الموجودة عند الشعراء غربا وشرقا.[3] وقد حذا حذو جوته في محاكاة الشعر العربي عندما كان يترجمه إلى الألمانية. حتى بالغ في تقليد قوالب وأوزان الشعر العربي على صعوبة ذلك، كما فعل في ترجمته لعدد من مقامات الحريري بالسجع الألماني والتي أصدرها في مجلدين سنة 1826م بشتوتجارت، وهي تعد ترجمة رائعة لا مثيل لها في كل الآداب الأوروبية، لأنها كادت تأتي على منوال الأصل العربي لما حوته من تلاعب بالألفاظ ومحسنات بديعة وألغاز لغوية أظهرت كلها قدرة ريكرت الهائلة على التصرف في اللغة الألمانية. وقد كان شاعرا مفعما وربما يعود ذلك لعلمه الواسع

---

[1] بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ص 615.

[2] البيان، مجلة أدبية كويتية، العدد 356/ مارس/ 2000، ص 64–72.(حوار مع المستعرب الألماني توماس باور)

[3] بدوي، نفس المرجع، ص 295.

بالآداب الشرقية ولغاتها (العربية، السنسكريتية، العبرية، الفارسية) الذي أثر في نقـــاء شـــعره الوجداني العذب[1].

ترجم ديوان امرؤ القيس في دراسة كاملة عنه بعنوان:"امرؤ القيس: الشاعر الملك"([2]). تـــرجم معلقة طرفة بن العبد ولبيد وعمرو بن كلثوم من العربية إلى الألمانية([3]). كما قـــام بترجمـــة ديوان "الحماسة" لأبي تمام إلى الألمانية([4]).

قام ريكرت بترجمة بعض سور القرآن الكريم وأعلن في سنة 1824 عن رغبته في ترجمـــة القرآن كله، إلا أن ذلك لم يتحقق له، وقد نشرت هذه الترجمات القليلة لسور القرآن في مجلـــة (Frauen-taschenbuch) سنة 1824. ثم أعيد نشرها كلها مستقلة عام 1888 بعد وفاتـــه. كما أعيد طبع هذه الترجمات عام 1972، وهذا ينبئ عن مدى تلقي هـــذه الترجمـــة بـــالقبول والنجاح، فهي كما تقول المستعربة الألمانية آنا ماري شبل:"إنها الترجمة الوحيدة التي تجعـــل في الإمكان الإحساس إلى حد ما ببلاغة النص القرآني وإعجازه .... كما أن ريكرت هو أول من حاول نقل الروح القرآنية إلى الألمانية"([5]).

## قضية التدوين المبكر للشعر

**تيودور نولدكه، (Th. Nöeldeke /1836-1931م)**

---

[1] محمد عوني عبد الرءوف، ريكرت عاشق العربية، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1986.

[2] F. Rueckert, *Amrilkais, der Dichter und Koenig*, Stuttgart u, Tubingen 1843. Hannover 1924.

[3] F. Rueckert,*Die Mu'allaqat des tarafa und 'Amr deutsch*, in: Lagardes, Symmikta 198-206.

[4] F. Rueckert, *Hamasa oder die altesten arabischen Volkslieder*, gesammelt von abu Temmam ubers, 2 Teile, Stuttgart 1846.

[5] F. Rueckert, *Ausgewaehlte Werke*. Frnakfurt a. M. 1988. Bd 2 S III. (Uebersetzungen aus: dem Koran.

ولد نولدكه في مدينة هامبورغ الألمانية سنة 1836م، كان أبوه ناظرا لثانوية في مدينة لينجن، بدأ حياته الجامعية في تعلم اللغات السامية، فتعلم اللغة العبرية جيدا، ثم تعلم العربية والسريانية والفارسية والتركية. حصل على درجة الدكتوراه من جامعة جوتينجن سنة 1856م عن موضوع بعنوان:"تاريخ القرآن"، وهي رسالة دكتوراه كتبها نولدكه باللغة اللاتينية ولكنه سرعان ما ترجمها إلا اللغة الألمانية وطبعها.

بعد التخرج تنقل نولدكه بين عدد من الجامعات مثل فينا وليدن وبرلين. عمل لفترة أستاذاً للغات الشرقية والتاريخ الإسلامي في جامعة توبنجن، كما عمل أيضاً في جامعة ستراسبورج. اهتم نولدكه كثيرا بالشعر الجاهلي وبقواعد اللغة العربية فأصدر كتاباً بعنوان "مختارات من الشعر العربي"([1]).

أهم مؤلفاته على الإطلاق كتابه "تاريخ القرآن"([2]) وهو رسالته للدكتوراه وفيه تناول ترتيب سور القرآن الكريم بطريقة مختلفة حاول أن يجعل لها ترتيباً ابتدعه من عنده، وقد نشره عام 1860، ثم صدرت الطبعة الثانية منه بتنقيح جديد بالتعاون مع تلميذه أشفالي في جزأين في مدينة ليبزج، وقد ترجمه إلى العربية جورج تامر (2004).

تعد دراسات نولدكه عن الشعر العربي القديم من أهم الدراسات في هذا الميدان، وهو يكاد يكون أول متخصص ألماني بحث في أصالة الشعر العربي القديم، كما كتب عن بدايات تدوين هذا الشعر الذي لم يبدأ في رأيه قبل نهاية القرن الأول الهجري والذي يبدو أنه لا يميل معه

---

[1] Th. Nöeldeke, *Beiträge zur Kenntniss der Poesie der alten Araber*. Hannover 1864, Hildesheim 1967.

[2] Th. Nöeldeke , *Geschichte des Qorans*, zweite Aufl, beabeiter v. Fr. Schwally I, II, Leipzig 1909.

إلى قضية الانتحال([1]). كما اهتم بشعر الأقطار المختلفة. ترجم خمس معلقات إلى الألمانية وشرحها مع موجز لتاريخ الجاهلية([2]). كما نشر بحثا عن حماسة البحتري. نشر نولدكه ديوان عروة بن الورد مع ترجمة ألمانية له إلى جانب بعض الشروح في جوتنجن 1863([3]). كما كتب أيضا عن حياة محمد ([4]). نشر نولدكه كتاب كليلة ودمنة مع ترجمة باللغة الألمانية للمقدمة المهمة التي وضعها مؤلف الكتاب، وقد ترجم نولدكه هذه المقدمة المهمة لأنها اشتملت على كلام طويل في قيمة الأديان([5])، (ستراسبورج 1912).

**يوليوس فلهاوزن، (Julius Wellhausen /1844–1918م)**

لاهوتي ألماني، وباحث محقق ودقيق في مجال التاريخ العربي. درس علم الإلهيات في جامعة جوتنجن على يد هنريش إيفالد وتنقل بعد تخرجه ليعمل في جامعة جرايفسفالد. انطلق كمحقق في مجال الدراسات المتعلقة بالعهد القديم وأسفار التكوين والتي عمل فيها بمنهج علمي نقدي خالص وصل من خلالها إلى نتائج صادمة مما سبب له معادة ومعارضة الكثير من العلماء وشارحي الكتاب المقدس، فتحول إلى ميدان الدراسات العربية الإسلامية التي أظهر فيها براعة نقدية وروحا علمية قلما توفرت في أمثاله من المستشرقين[6]. وقد عمل فيما بعد كأستاذ

---

[1] سزكين، فوت: تاريخ التراث العربي ج 1، ص 15.

[2] Th. Nöeldeke, *Fuenf Mo'allaqat uebers*. und erkl. I, in: SBAW Wien 140, 7/1899,II, eb, 142, 5/1900.

[3] Th. Nöeldeke, *Die Gedichte des 'Urwa. Ibn. alward*. hsg. uebers. und erlaeutert v. Gottingen 1863.

[4] Th. Nöeldeke, *das Leben Muhammeds*, Hannover, 1863.

[5] Th. Nöeldeke, *Kalila wa Dimna aus der Pehleviubersetzug des Pancatantra mit der Vorrede des Burzoe*, Strassburg 1912.

[6] يوليوس فلهاوزن، ***تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية***، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، مصر، 1968. ص 3.

للغات الشرقية في كلية الفيلولوجيا في جامعة هاله، ليعود مرة أخرى إلى جامعة جوتنجن حيث بقي هناك حتى وافته المنية.

نال شهرة واسعة من خلال دراساته النقدية عن الكتاب المقدس (التوراة). نشر القسم الأخير من أشعار الهذليين، مع ترجمة ألمانية له في برلين 1887([1]). كما عرض لقضية استخدام الكتابة لحفظ الشعر الجاهلي، فقد كان يرى من الصعوبة افتراض أن يكون الشعر الجاهلي قد دون في زمن متأخر كما بالغ في قول ذلك بعض النقاد الألمان، مشيرا إلى آراء مثل (نولدكه- آلورد) الذين تشددوا في مسألة تدوين الشعر. ولكنه للأسف عاد وتراجع عن ذلك الهجوم وتلك الآراء نتيجة ربما ضغوط مهنية، حيث قام بحذف بعض من هذه الآراء في طبعته الثانية لكتابه سنة 1897 بعد النقد الشديد الذي تعرض له([2]).

## نظرية الأدب عند العرب

**آلورد فيلهم، (W. Ahlwardt /1828-1909)**

علم من أعلام الدراسات العربية في أوروبا كلها، كان من أقدر المتمكنين في اللغة العربية بين أبناء جيله، يعتبره العلماء الألمان حجة في الشعر الجاهلي وفي شعر الرجاز.

صاحب "فهرس المخطوطات العربية بالمكتبة الملكية في برلين"، عمل فيه ما بين سنتي 1887-1899 في عشر مجلدات([3]). يمثل عمله هذا أول عرض منهجي لتاريخ التراث

---

[1] J. Wellhausen, *Letzter Teil d. Lieder d. Hudhailiten, arabisch und deutsch* in: Skizzen und Vorabeiten I, Heft, Berlin 1887.

[2] J. Wellhausen, *Reste arabischen Heidentums* 1887, S. 207, Anm.2.

[3] W. Ahlwardt, *Verzeichnis der arabischen Handschriften der Koniglichen Bibliothek Bd. I-X, zu Berlin*, 10 vols, Berlin: L. Schade, 1887-1899.

العربي، وقد كان مرجعا مهما قبل أن تظهر أعمال أخرى أكثر تنظيما وسهولة، كما أن قسما أساسيا من هذا العمل مخصص للشعر العربي.

أما من أهم ما كتبه آلورد في مجال الشعر العربي فهو كتابه "الشعر وفن الشعر عند العرب"([1]). وهو أول عمل باللغة الألمانية عن نظرية الأدب عند العرب.

يرى آلورد أن استخدام الكتابة في تدوين القصائد الطوال في العصور الجاهلية لم يكن بالتأكيد قد حدث إلا بعد 150 عاما أو أكثر من البعثة، وأن الرواية الشعرية لم تكن إلا مشافهة، وهذا ما عرض الشعر إلى الخطأ غير المقصود أو التزييف المتعمد. فالرواة في هذه الحالة هم كالقصاصين المحترفين الذين لا شك بأنهم كانوا اقل أمانة في رواياتهم التاريخية.

لكن يبدو أن آلورد على العموم مقتنع بأن تدوين الشعر لم يبدأ إلا في منتصف القرن الأول الهجري الذي حصل فيه نشاط متزايد لإنقاذ البقايا النفيسة من تراث العرب الجاهلي، كما هو مدون في مقالته "ملاحظات عن أصالة الشعر العربي القديم مع اهتمام خاص بالشعراء الستة الجاهليين"، جريفسفالد 1872([2]).

كان آلورد من العلماء الألمان الأوائل الذين شغلوا بقضية أصالة الشعر العربي، وقد بالغ هو ونولدكه في فهم ما ورد في بعض المصادر العربية عن دور الوضاعين العرب في رواية الشعر.

ربما يعود ترويج العلماء الألمان إلى هذا الرأي في قضية انتحال الشعر العربي القديم وأصالته إلى ما هو موجود أساسا في كتب الأقدمين من العلماء العرب قبل المستعربين، فقد ترجم آلورد نصا عربيا مأخوذا عن كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني جاء فيه:"حماد

---

[1] W. Ahlwardt, *Uber Poesie und Poetik der Araber*, Gotha 1856.

[2] W. Ahlwardt, *Bemerkungen ueber die Echtheit der alten arabischen Gedichte mit besondere Beziehung auf die Dichter*, Greifswald 1872.

الراوية ... رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يـزال يقـول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره، ويحمل ذلك عنه في الآفاق، فتخـتلط أشـعار القدماء، ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد، وأين ذلك؟" (أنظر الأغاني ج 6/ص89).

فمثل هذه النقول الأدبية من أمهات الكتب القديمة هي التي كانت مفتاحا وسـببا للتشـكيك أو الافتراض الذي صاحب مواقف الكثير من الدارسين لقضية الشـعر الجـاهلي مثـل نولدكـه وجولدهيستر ومرجليوت وطه وحسين، والتي تبرر شكهم في مادة البحث التي كانوا يجرونها وهو ما أدى بهم إلى إصدار بعض الأحكام التي قللت من القيمة الفنية للشعر العربي ([1]).

كما قدم آلورد من جملة أعماله الواسعة عن الشعر العربي القديم دراسة نقديـة حـول عمـل بروجستال (J. von Hammer-Purgstall) عن الشاعر والعالم خلـف الأحمـر([2])، الـذي ترجم له آلورد قصيدة مشهورة في وصف الفرس إلى اللغة الألمانية، حيث قام بمقابلة الـنص العربي مع الترجمة الألمانية، إلى جانب بعض الشروح والتعليقات على ترجمـة بورجسـتال والإفادة من مصادر خطية أخرى([3]). أخيرا قام آلورد بكتابة دراسة متميزة جـدا عـن أبـي نواس ترجم فيها بعضا من أشعاره نشرها عام 1861 ([4]).

**هاينرشس، (W. Heinrichs /1803 - 1875)**

---

[1] سزكين: ***تاريخ التراث العربي***، ج 2، ص 28.

[2] هو خلف بن حيان الأحمر، أحد العلماء الكبار بالشعر العربي القديم. أتهم بوضع الشعر هو وحماد الراوية، كان كثير الشعر، اعتبر أغلبه جيدا. توفي نحو 180 هـ.

[3] J. Ahlwardt, *Chalef elahmar's Qasside. Berichtigter arab*. Text,....nebst Wurdigung Josef von Hammer's Arabisten, Creifswald 1859.

[4] W. Ahlwardt, *Diwan des Abu nowas* nach der Wiener und der Berliner Hds ...I. Die Weinlieder Grefswald 1861.

هو أحد العلماء الألمان الذين ساهموا في الكتابة عن نظرية الأدب العربي بشكل اقـرب إلـى النظريات المعاصرة. وذلك من خلال العرض الفريد الذي قدمه عن الشعر العربي وفن الشعر عند اليونان والذي من خلاله ضبط مفهوم نظرية الأدب بدقة والذي يشـتمل علـى جـانبين مهمين، الشعر والبلاغة. وأكد هاينرشس أن المؤلفات التي تتناول هذه الموضوعات تتجـاوز مجالات عدة غير الشعر والبلاغة كقواعد الشعر ونقد الشعر. وهكذا عن طريق بحوث كثيرة أعدها هاينرشس أصبحت معلوماتنا عن نظرية الأدب العربي أكثر ثراء ووضوحا([1]).

## قضية أصالة/انتحال الشعر العربي

**اجناس جولد تسيهر، (Ignaz Goldziher /1850-1921م)**

مستعرب ذو أصول مجرية، تلقى تعليمه الأول في بودابست ثم انتقل إلى برلين 1869م، ومن هناك التحق بجامعة ليبستك حيث نال فيها درجة الدكتوراه سنة 1870م. بعـد سـنوات مـن التدريس الجامعي بين بودابست وفيينا وليدن وليبزيج وبرلين، سافر إلى المشرق العربي حيث أقام بين سوريا وفلسطين والقاهرة التي أخذ فيها دروسا في اللغة العربية بالأزهر، وقد أجادها تماما حتى أصبحت له فيها القدم الراسخة، وله كتاب مهم في الأدب العربي بعنوان: "بحـوث في علوم اللغة العربية" نشرة ليدن، 1896([2]).

عاد جولدتسيهر إلى بلده المجر حيث عمل أستاذا للغات السامية لوقت طويـل وهنـاك قـدم أعماله الكبرى واشتهر شهرة كبيرة.

---

[1] W. Heinrichs, *Arabische Dichtung und griechesche Poetik*, Beirut 1969.

[2] Ignaz. Goldziher, *Abhandlungen zur arabischen philologie*. I,II, Leiden 1896-99, S, 1-105.

هو مستعرب مثير للجدل بسبب آرائه الكثيرة والمتداخلة، خاصة فيما يتعلق منها بأصالة الشعر العربي، له بعض الآراء الدينية المتطرفة نوعا ما والتي أثرت سلبا في نظرة الباحثين العرب والمسلمين إليه(كتشكيكه في القرآن ونظرته المغايرة لشخص الرسول...إلخ). أما فيما يتعلق بالدراسات العربية عموما، فقد كان له أثر منهجي كبير فيها منذ أواخر القرن التاسع عشر.

لقد بحث جولد تسيهر بنية أقدم ما وصل إلينا من الشعر العربي وانطلق منه إلى وضع نظرية عن مراحل تطوره وأشكاله، وقد اعتمد فيها على جوانب بعينها في هذا الشعر ويبدو أنه انطلق من معرفته الواسعة بثقافات وأحوال شعوب أخرى. وقد لخص المؤلف آراءه هذه في بحث له بعنوان: "ملاحظات عن أقدم تاريخ للشعر العربي"([1]).

وقد أدى النقاش الحاد الذي دار حول هذه المسألة من طرف المعاصرين لجولد تسيهر بالإضافة إلى ما هو وارد في المصادر إلى تلخيص قوله :"أن مجموعات الشعر الجاهلي أخذت طابعها الأدبي بتأثير من أمراء الدولة الأموية" ورغم كثير من المعطيات العلمية التي بدأت تتضح عن جدلية وجود وقدم الشعر العربي إلا أن جولدتسيهر بقي يعرض لرأيه مجددا وهذا ما كتبه في موجز عن تاريخ الأدب العربي الذي ظهر في سنة 1908 والذي صاغ فيه رأيه النهائي قائلا:"لم يكن في الأدب العربي كتاب قبل القرآن، فأغاني شعراء العرب الوثنيين لم تجمع في عصرهم في مختارات .... إن القصائد لم تكن في الغالب مدونة بالكتابة وإنما كانت تحفظ بالرواية الشفوية، الأمر الذي يعلل قلة ما بقي من الشعر العربي قبل القرن السادس وضياع أكثر شعر ذلك القرن، ولا يتصور أنه أمكن للقصائد الطويلة الفنية أن تحفظ

---

[1] Ignaz. Goldziher, *Bemerkungen zur altesten Geschichte der arabischen Poesie* in: Actes X² Congr, int. Or. 3/1896/3-5, Gesammelte Schriften III, 26-28.

على مدى زمني طويل، اعتمادا علي الرواية الشفوية وحدها، وأن تنقل إلى الأجيال اللاحقة"([1]).

إن إصرار جولدتسيهر على تكريس هذه النظرية فيما يتعلق بتدوين وأصالة الشعر الجاهلي يتطابق مع نظرية التشكيك الشاملة التي تبناها هذا العالم حول قضية الرواية والتدوين في التراث العربي الإسلامي والتي تتجسد في طعنه المستمر في رواية الحديث الشريف والتي للأسف روج لها البعض من العرب والمسلمين في بدايات القرن العشرين (سزكين:تاريخ التراث العربي، ج 3 ص 30).

كتب جولدتسيهر أيضا بحثا شهيرا عن عنترة البطل العربي، نشره في مجلة جلوبز([2]). كما كتب عن الشاعر العربي أمية بن أبي الصلت في بحث عن الروح. نشر قبل ذلك كتابا عن الحطيئة 1893 وكتب بحوثا عديدة عنه.

## النظام العروضي

**فايل، جوتهولد** (G. Weil/ ت 1960)

باحث ألماني اهتم بمسألة البناء الشعري عند العرب، والاستخدامات اللغوية للمصطلحات الشعرية. له كتاب مهم في هذا المجال بعنوان "أساس العروض العربي القديم ونظامه"[3] (فيزبادن/1958)، كما أن له بحوث عديدة حول النظام العروضي عند الخليل الفراهيدي ونظام الارتكاز في الشعر العربي القديم([4]).

---

[1] Ignaz Goldziher, *A Short History of Classical Arab Literature*. Hildesheim 1996.

[2] Ignaz. Goldziher*, Der arab. Held Antar in d. geographischen Nomenklatur*, Globus LXIV, 65–7.

[3] G. Weil, *Grundriss und System der altarabishen Metren*. Wiesbaden 1958, S.3–4.

[4] G. Weil, *Das Metrische System des al-Xall und der Iktus in der altarabischen Versen*, in: Oriens 7/1954/305–306.

وقد رد فايل بشدة على الذين كانوا يحاولون ربط العروض العربي بـالعروض اليونـاني، أو كما حاول البعض ضبط إيقاع الشعر العربي اعتمادا على الأسس الموسيقية في تراث القدماء، خاصة العروض اليوناني السرياني.

لكن فايل رد على ذلك ردا قويا، فقد كان يرى أن العروض الكمي عند العرب لا يقارن بـأي نظام عروضي آخر، خاصة أن الفراهيدي وضع تلك المنظومة العروضية عن غير نمـوذج سابق له ودون أي تأثير أجنبي ناتج عن لغة أخرى. فقد كان منطلق هذا الترتيب في البحـور ليس البيت المفرد فحسب، بل هو نابع أيضا من طبيعة الكتابة العربية. وهذا النظام العروضي لا ينطبق إلا على البحور العربية، فهو لا يتفق مطلقا مع نظريات العروض اليوناني.

وقد اشار فايل إلى الرأي الذي نسب إلى البيروني الذي ربط بين نظـام الخليـل العروضـي والعروض الهندي، الذي افترض إمكانية أن يكون الخليل قد سمع بوجوده عند الهنـود فـي شعرهم، رغم أنه شهد للخليل بالتفوق والابتكار (فايل ص 87).

**فرايتاج، فيلهم جورج**، (1861-1788/ George Wilhelm Freytag)

أحد كبار المستعربين الذين تعلموا اللغة العربية على يد العالم الفرنسـي الشـهير دو ساسـي (1838-1758 Silvester de Sacy). له كتاب مهم بعنوان "قصائد عربية" نشر فيه بعـض القصائد من ديوان تأبط شرا (راجع مرثيته) مع ترجمتها إلى الألمانيـة والشـرح، جـوتنجن 1814([1]). ثم ألف كتابا قيما في العروض العربي ما يزال محل دراسة إلى يومنا هذا.

ألف كتابا بعنوان "فن النظم الشعري العربي" ([2]) تضمن ستة ملاحق تشـتمل علـى قصـيدة عربية تعطي تصورا عن بحور الشعر العربي ومعها ترجمات لأشعار وتعليقات حول شعراء

[1] G. W. Freytag, Carmen Arabicum perpetuo comment. Gottingen 1814.

[2] G. W. Freytag, *Darstellung der Arabischen Verskunst*.

عرب وشروح لخصائص شاعريتهم ومفرداتهم وكذلك مغزى المعايير الفنية في نقد هذه الأشعار وقام فرايتاج بجمعها من المخطوطات ونشرها في بيرن عام 1830، وقد صدرت طبعة ثانية لهذا الكتاب في (Osnabmeck) عام 1968. ترجم ديوان الحماسة لأبي تمام بشرح التبريزي. ونشر قسما من زبدة الطلب بتاريخ حلب لابن العديم.

**فون كريمر، ألفريد، (A. von Kremer /1828-1889)**

ولد في فينا، وعاش حينا بين مصر ولبنان، كتب بحثا حول أشعار لبيد من حيث الشكل والمحتوى([1]). ظهر له سنة 1875 كتاب في مجلدين "التاريخ الحضاري للشرق في عهد الخلفاء"([2]) لم يعالج فيه الشعر بإسهاب ولكنه عرضه في إجمال فني حاذق. وقد أشاد به بروكلمان لجودة تخطيطه، ورغم اختصاره إلا أنه استفاد منه كثيرا. ترجم كريمر بعضا من ديوان الخمريات لأبي نواس إلى الألمانية اعتمادا على مخطوط فيينا([3]).

له بحث مهم عن قصائد قديمة لها علاقة بتاريخ اليمن: "قصائد عربية قديمة في التاريخ القصصي لليمن، بوصفها شواهد نصية لدراسة تاريخ اليمن"([4]). في هذا البحث ترجم كريمر إلى الألمانية قصيدة مشهورة للشاعر الخطيب قس بن ساعدة أشهر خطباء العرب ضمن ما كتبه في دراساته. ترجم كريمر إلى الألمانية قصيدة طويلة لشاعر المرجئة ثابت قطنة ([5]) في

---

[1] A. von Kremer, *Ueber die Gedichte des Labyd*, SBWA phil – hist. CL. 1881.

[2] Alfred von Kremer, *Kulturgeschichte des Orients unter den Chalifen*, 2 Bde, Wien 1875-7.

[3] A. von Kremer, *Diwan des Abu Nuwas, des grossten Lurischen Dichters der Araber*, Wien 1855.

[4] A. von Kremer, *Altarabische Gedeichte uber die Volkssag von Jemen als texrbelege zur abhandlung "Uber die Sudarabische Sage"*, Leipzig 1867, S. 6.

[5] هو ثابت بن كعب، شاعر مقاتل اشترك بعد 65 هـ في فتوح ما وراء النهر. مات سنة 110 هـ في حروبه ضد الترك، وهو أحد المرجئة، له قصيدة تضمنت تعاليم هذه الفرقة.

كتابه عن ملامح في تاريخ الثقافة([1]). وقصيدة الإرجاء هذه يوجد النص الكامل لها في خزانة الأدب للبغدادي.

## النقد الأدبي

**جرونيباوم غوستاف إيدموند،** (G. E. Von Grunebaum /1909-1972)

عالم ألماني ولد بالنمسا، مؤرخ ولغوي قدير. حصل على الدكتوراه في دراسة الشعر العربي برسالة علمية عنوانها "مدى الواقع في الشعر العربي الأول سنة 1937م من جامعة فينا.

هاجر جرونيباوم إلى أمريكا عندما اجتاح هتلر بلده وهناك نال درجة الأستاذية في اللغة العربية بجامعة كاليفورنيا سنة 1949.

كتب في سنة 1941 بحثا مهما عن النقد الأدبي العربي في القرن الرابع الهجري حيث طالب بإيضاح معايير النقد التطبيقي والأسس التي تحكم الذوق في النقد الأدبي العربي. كما عالج في بحوث أخرى "الأساس الجمالي في الأدب العربي"، وهو بهذا يكون قد اشتغل كثيرا على مفهوم النقد الأدبي العربي.

كتب عن "الاستجابة للطبيعة في الشعر العربي"([2]). في هذا الكتاب رأى جرونيباوم أن وصف الشعراء للطبيعة شهد تحولا في العصر الأموي، قياسا مع العصر الجاهلي. وقد جاء كتابه في دراسة الشعر والشعراء كمحاولة للفصل بين مرحلتين يصعب التمييز بينهما، وهي أواخر حكم الأمويين وبداية الحكم العباسي. فتصنيف الشعراء بين هاتين المرحلتين يصعب تبريره ولهذا أطلق بعض اللغويين على هؤلاء أحيانا تسمية "مخضرمي الدولتين"(تاريخ التراث: سزكين، ج 3 ص 193).

---

[1] A. von Kremer, *Culturgeschichtlich streifzuge*....Leipzig 1873, S. 4-5.

[2] G. E. Von Grunebaum, *Die Naturauffassung der arabischen Dichtung* (tarns. The Response to Nature in Arabic Poetry in: JNES 4/ 1945/ 137-151) eb. S. 28-51.

لخص جرونيباوم عملية التغيير التي شهدها الشعر العربي في مجال الطبيعة والبيئة بين العصر الأموي والعباسي ضمن مجوعة نقاط نذكر بعضها:

(1) منها التحول من وصف الطبيعة القاسية الشاقة إلى وصف البساتين.

(2) تطور الشعر الغنائي المرتبط بالمدينة والحضر.

(3) وصول شعر الوصف أعلى مرتبة له ما بين القرن الثالث والرابع الهجري والذي استخدم الزهور والثمار موضوعا شعريا.

(4) تناول شعر الخمريات جزءا من وصف الطبيعة.

هذه بعض سمات التجديد الأدبي التي عرض لها جرونيباوم في كتابه للتمييز بين عصرين والحديث عموما عن السمات المدنية في الأدب العربي خاصة ما بين القرن التاسع والعاشر الميلاديين ([1]).

له أيضا كتاب آخر مهم عن الشعر العربي: طبيعته وتطوره، الذي تكلم فيه عن صلة الشعر العربي المبكر بالواقع وتطوره التاريخي([2]). له أيضا دراسة عن أشعار الهذليين.

كتب جرونيباوم عن التطور المبكر للشعر الديني الإسلامي، وهو من الأعمال المستجدة التي كتبها باللغة الإنجليزية([3]). كان جرونيباوم أيضا من الذين اعتقدوا بأصالة الشعر العربي القديم، فقد كان يميل إلى أن قسما كبيرا من الشعراء الجاهليين الذين ولدوا ما بين 440-530

---

[1] G. E. Von Grunebaum, *Stadtische Zuge in der arabischen Literrature, vornehmlich in neunten und zehnten Jahrhundert*, (Aspects of Arabic Urben Literrature Mostly in the Ninth and Tenth centries in: Andalus 20/1955/259-281), eb.S. 52-69.

[2] G. E. von Grunebaum, *Wesen und Werden der arabischen Poesie* von 500 bis 1000 n. in: Kritik und Dichtkunst, S. 17-27.

[3] G. E. Von Grunebaum, *The Early development of Islamic Religious Poetry*, in: JAOS. 60/1940/23-29.

م والذين ينتمون في الغالب إلى مدارس متعددة يمكن لنا أن نربط بكل سهولة بـــين أعمـــالهم ونكتشف الترابط المستمر لهؤلاء الشعراء والتطور الداخلي لأعمالهم ([1]). (التصنيف الزمنـــي للشعر العربي المبكر، جرونيباوم. سزكين: تاريخ التراث العربي، ج 2، ص).

من أهم الأعمال التي قدمها جرونيباوم أيضا عن الأدب العربي مجموعة بحوث عـــن البعـــد الواقعي في الشعر العربي القديم([2])، وقد ترجم بعضها إلى اللغة العربية بعنوان "دراسات فـــي الأدب العربي" على يد أساتذة مثل إحسان عباس وأنيس فريحة ومحمد يوسف نجـــم وكمـــال اليازجي (بيروت 1959).

## أسرار البلاغة

**<u>ريتر هيلموت</u>** <u>، (Hellmut Ritter/1892 –1971م)</u>

عالم ألماني اشتهر بتحقيق المخطوطات العربية والفارسية، تتلمذ على يد نولدكه وبروكلمـــان، حصل على درجة الدكتوراه سنة 1914م برسالة علمية عنوانها "*كتـــاب عربـــي فـــي علـــم التجارة*". قدم ريتر إلى المكتبة الألمانية المترجمة أهم عمل مترجم وهو كتاب "***أسرار البلاغة***" لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (المتوفى 471هـ/1078م)، وقد حقق ريتـــر

---

[1] G. E. Von Grunebaum, *Zur Chronologie der Fruhararabischen Dichtung*, in: Orientalia 8/1939/32–345.

[2] G. E. Von Grunebaum, *Die Wirklichkeitweite der Fruharabischen Dichtung*, Eine Literraturwissenschaftliche Untersucung, Wien 1937 (WZKM, Beiheft 3).

هذا العمل وترجمه إلى اللغة الألمانية فنشره أولا في اسطنبول عام 1954م، ثم أعاد تنقيحه ونشره في فيزبادن ([1]).

وهو كتاب مهم جدا بالنسبة لتلقي المستعربين الألمان له واهتمامهم الشديد به باعتباره أعظم كتب اللغة العربية عندهم، خاصة وأن ريتر ذكر في مقدمة الطبعة أن الجرجاني هو أول عالم لغوي فسر الأحكام الجمالية عن الشعر تفسيرا نفسيا، (انظر مقدمة الترجمة).

ترجم ريتر دراسة قام بها مستعرب روسي (كراتشكوفسكي) عن التاريخ المبكر لقصة المجنون وليلى في الأدب العربي([2]).

وقد تكون هذه الدراسة نادرة نوعا ما، لأنها تحقق بشكل عملي حول حقيقة وجود المجنون وليلى في التراث العربي عموما، وقد لخص المؤلف كراتشكوفسكي رأيه في هذه القصة على أنها تمت باهتمام من الأمويين، خاصة وأنه كان هناك صراع بين قبائل عرب الشمال وعرب الجنوب الذين كان لهم شعراء مشاهير، فكان التركيز على تضخيم شخصية (المجنون) من خلال كل ذلك الشعر لإحداث توازن أدبي بين هذه القبائل. وقد اعتبر ريتر المترجم أن هذا رأي مبالغ فيه من كراتشكوفسكي. توصل المؤلف أيضا إلى أنه في بداية القرن التاسع كانت هناك أقاصيص موضوعة أثناء محاولة تفسير شعر المجنون، وهذا ما أدى إلى دس الكثير من الأبيات على ديوان الشاعر (نفس المرجع ص 48). وقد أفاد كراتشكوفسكي بالدرجة الأولى في بحثه هذا من كتاب الأغاني للأصفهاني.

---

[1] H. Ritter, Die Geheimnisse der Wortkunst(Asrar al-balaga), Wiesbaden 1959.

[2] H. Ritter, Die *Fruhgeschichte der Erzahlung von Macnun und Laila in der arabischen Leiteratur ubers*, von I. J. Krackovskij, in Oriens 8/1955/ 1-48, Nachwort 49-50.

ترجم ريتر العديد من الأعمال العربية والفارسية إلى اللغة الألمانية، مثل "كيمياء السعادة" لأبي حامد الغزالي(طبع سنة 1923م)، و"غاية الحكيم" للمجريطي، (طبع في لندن سنة 1962م)، كما كتب وحدات كثيرة في الموسوعة الإسلامية، حول أبو تمام، أبو يزيد البسطامي، جلال الدين الرومي، وفريد الدين العطار صاحب القصيدة الصوفية الطويلة جدا "إلهي نامه" وهي قصيدة فارسية نشرت ضمن "النشريات الإسلامية" سنة 1940م.

## عميد الترجمة في ألمانيا

**أوسكار ريشر، (Oskar Rescher /1883– 1972م)**

معمر ومستعرب ألماني– تركي، عالم بالعربية والفارسية والأدب التركي، تخصص في الشعر العربي القديم وأيضا الدراسات العثمانية. درس الحقوق أولا في ميونخ ثم تحول إلى دراسة اللغات الشرقية في برلين، وهناك حصل على درجة الدكتوراه في القواعد العربية عند ابن جني سنة 1909م. زاول التدريس لفترة طويلة في جامعات ألمانية عدة، لكنه فضل بعد ذلك الانتقال إلى تركيا ليكون قريبا من مكتباتها الغنية بالمخطوطات والكتب التراثية وهناك أعلن إسلامه. وقد كان له باع طويل مع ترجمة عيون الشعر العربي إلى الألمانية، كما أنه حاول كتابة أشعار ألمانية على الطريقة العربية الشرقية، وقد عاش لفترة وحيدا في بيته المطل على منظر البوسفور مستمتعا به حتى وافته المنية سنة 1972 عن عمر يناهز التاسعة والثمانين حيث ترك ميراثا كبيرا من الأعمال الخاصة والمترجمة[1].

[1] Wikipedia, free Encyclopedia.

له كتاب يدخل في صميم اهتمامات المستعربين الألمان عن الشعر العربي:"دراسات عن الشعر العربي، في 8 أجزاء"([1]) والذي يعتبر موسوعة ألمانية فيما هو مترجم بالألمانية لقصائد ودواوين شعرية. فقد قام ريشر خلال الأربعين عاما الأخيرة من حياته بإعداد ترجمات ممتازة لكثير من دواوين الشعر العربي إلي الألمانية ضمها جميعا في كتابه دراسات عن الشعر العربي.

كما اهتم بمجال الفهرسة فيما يتعلق بتراث العرب وتيسير التعامل معه، وله كتاب مهم في هذا المجال بعنوان "موجز تاريخ التراث العربي"([2])، وقد تتبع فيه ريشر كل دواوين الشعراء الذين وردت أخبارهم في كل كتب التاريخ وخاصة كتاب الأغاني وهو بهذا يختلف قليلا عن كتاب بروكلمان الذي اقتصر فيه على أمهات الكتب.

ترجم إلى الألمانية ديوان الشاعر العباسي مسلم بن الوليد 208 هـ، وفقا لطبعة دي خويه الذي كان أول من حقق الديوان في ليدن 1875. كان هذا الشاعر يلقب بصريع الغواني، وقد زعموا أنه مخترع "البديع" وهو مختلف عن أبي نواس في شعره، فقد كان شاعرا متأنيا مجودا وكان شعره مصنوعا وقيل إنه "زهير المحدثين".

لقد ذيل ريشر كتابه بترجمة عن حياة مسلم بن الوليد وشعره وقد استخلص ذلك كله من كتب الأدب العربي، وهو بحث تاريخي فلكلوري تعرض فيه أيضا لما يعرف "بالحق في الليلة الأولى" عند العرب([3])، وهو ما يعرف بـ(jus primae noctis) أو حق التفخيض ( droit

---

[1] O. Rescher, *Beitrage zur arabischen Poesie* II. Der Diwan des Muslim b. el-Walid, Stuttgart, 1938.

[2] O. Rescher, *Beitrage zur arabischen Poesie* II. Der Diwan des Muslim b. el-Walid, Stuttgart, 1938.

[3] عرف هذا الحق عند الملوك والرهبان والكهنة في أوروبا، وكان الملك الأوروبي ايقوسيا (1057-1093م) أول من أصدر قانونا ينص على حقه وحق سلالته بفض كل عروس قبل أن تزف إلى زوجها. ثم

de cuissage)، وقد تكون هذه الدراسة أول دراسة تتعرض لهذه القضية، فهذا الأمر التاريخي غير محقق الوجود عند العرب[1].

ترجم ريشر ديوان علقمة ([2]) إلى اللغة الألمانية اعتمادا على تحقيق محمد بن أبي شنب. قام ريشر أيضا بترجمة الزهديات (ديوان أبو العتاهية) إلى الألمانية وفقا لطبعة بيروت 1909([3]). كما ترجم ديوان حسان بن ثابت إلى الألمانية في دراساته عن الشعر العربي. وقد ترجم ريشر ديوان زهير بن أبي سلمى إلى اللغة الألمانية عن طبعة لاندبرغ ضمن دراساته في الأدب العربي. وديوان الحارث بن حلزة([4]).

ترجم بعض قصائد كعب بن زهير، منها على وجه الخصوص "بانت سعاد" التي حظيت باهتمام كبير في كتب التراث وكذلك عند المستعربين، وقد ترجمها في كتابه دراسات عن الشعر العربي. ترجم ديوان الشاعر معن بن أوس([5]) إلى الألمانية ضمن كتابه دراسات عن الشعر العربي. ترجم بعض قصائد الشاعر أبو فراس الحمداني اعتمادا على ما نشره سامي الدهان الذي طبع ديوانه في ثلاث مجلدات في بيروت 1944([6]).

---

بدأ التنازل تدريجيا عن حق الليلة الأولى مقابل مال أو هدية، خاصة من طرف الإقطاعيين. وقد ظل هذا الأمر شائعا حتى القرن التاسع عشر. أما العرب فتروى الأخبار أن هذا الأمر عرف عند العرب القدامى أو ما يعرفون بالعرب البائدة.

[1] عبد السلام الترمانيني، الزواج عند العرب، منشورات عالم المعرفة، الكويت، 1984، ص 221

[2] هو علقمة بن عبدة الفحل، تذكر المصادر أنه كان بطل تميم وشاعرها، يروى صاحب الأغاني أنه التقى بالنابغة الذبياني نحو 529–569 م، قيل أنه كان أقوى المنافسين لامرئ القيس.

[3] O. Rescher, *Der Diwan des Abul-'Atahija*, Teil I, Stuttgart 1928.

[4] O. Rescher, *Orientalische Miszellen I*, o. O., 1926, 119–128.

[5] معن بن أوس، أصله من مضر، ولد قبل ظهور الإسلام، قابل الفرزدق، وقيل أنه نظم شعرا في مدح عدد من أصحاب الرسول: الأغاني 56/12

[6] O. Rescher, *Beitrage zur arab. Poesie* VII²,Istanbul 1961–62, 1–34.

ترجم ريشر إلى الألمانية رسالة مهمة عن المتنبي نشرت منفصلة في بيروت 1931، بعنوان "الرسالة الحاتمية فيما وافق المتنبي في شعره كلام أرسطو في الحكمة"، أو "المقابلة بين المتنبي والحكيم أرسطو". والتي قد تكون صورة مختصرة من "الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره" لأبي على محمد بن الحسن الحاتمي الكاتب البغدادي المتوفى سنة 388 هـ([1]). ترجم ريشر قصائد مختارة للشاعر الفرزدق، مع معجم مفهرس لطبعتي بوشيه والصاوي، وذلك أيضا ضمن دراساته "في الشعر العربي"([2]).

كما ترجم ريشر أيضا إلى الألمانية ديوانا قصيرا (15 قصيدة) لشاعر من الشعراء اللصوص يدعى طهمان بن عمرو الكلابي ([3]) اعتمادا على مخطوطة ليدن التي حققها قبله رايت ونشرها في لندن سنة 1859 ([4]). ترجم ريشر مقامات بديع الزمان الهمذاني إلى الألمانية سنة سنة 1913 ([5]). كما ترجم كتاب ابن المقفع "الأدب الكبير" إلى الألمانية ([6]). أعيد طباعة جميع أعمال ريشر ضمن مجلدات ضخمة احتوت كل أعماله الفيلولوجية ([7]).

## دواوين القبائل

---

[1] O. Rescher, *Die Risalat al-Hatimijje* in: Islamica 2/1926/439-473.

[2] O. Rescher, *Beitrag zur arab Poesie* VI, 2, Istanbul 1956-58, S. 75-132, 134-136.

[3] طهمان بن عمرو الكلابي اللص، عاش في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، له أخبار قليلة تدور حول كونه شاعر، لص، قاطع طريق في اليمامة واليمن، وكانت قصيدته إلى الملك الوليد بن عبد الملك حوالي 96 هـ.

[4] O, Rescher, *Die Qasida von Tahman ben Amr al-Kilabi* in: Orient. I, Istanbul 1925, S. 180-193.

[5] O, Rescher, *Beitraege zur Maqamat Hamadani*. –Lit. 5, Loeuberg 1913.

[6] O, Rescher, MSOS 197, XX, I-48.

[7] *Gesammelte Werke: eine Sammlung der wichtigsten Schriften Oskar Reschers teilweise mit Ergänzungen und Verbesserungen aus dem schriftlichen Nachlass*, 5 fasc. (Osnabrück: Biblio-Verlag, 1978-95).

**جـــايــــر، (R.Geyer/ 1862- 1938)**

نشر قصيدتين للأعشى "ما بكاء الكبير" و"ودع هريرة" مع ترجمتهما إلى الألمانية وشرحهما، 1919([1]). كما نشر أشعار أوس بن حجر التميمي، في فيينا 1892([2]). كما حقــق "كتــاب المكاثرة عند المذاكرة" لجعفر بن محمد الطيالسي، الذي يبدو أنه عاش في النصف الثاني مـــن القرن الهجري الأول، ويضم الكتاب أخبارا عن اثنين وثلاثين شاعرا عربيا".( [3]).

كتب بحثا عن قصيدة لامرئ القيس من وزن المنسرح وقافية الشـــين المضــــمومة([4]). درس جاير الشعر العربي القديم، كما درس العلاقات بين دواوين القبائل ودواوين الشـــعراء حيـــث اعتبر دواوين القبائل ظواهر أساسية بينما اعتبر دواوين الشعراء التي يحمل الواحد منها اســـم شاعر بعينه ظواهر ثانوية وقد يكون بعضها مقتطعا من دواوين القبائل([5]). لم ينكر جـــاير أن بعض دواوين الشعراء تعود صناعتها إلى زمن بعيد جدا جدا، وهذا ما تأكد في رأيـــه بشـــأن المعلقات التي هي أقدم من هذه الدواوين والتي كانت تمثل النمـــوذج الأدبـــي والحـــافز إلـــى استخراج القصائد الكبيرة لمشاهير الشعراء[6]. وقد حقق جاير قصيدتين من ديـــوان الأخطـــل

---

[1] R. Geyer, *Zwei Gedichte von al–'Asa*, Hsg., ubers. Und erl., II: SBAW 192, 3/1919.

[2] R. Geyer, *Gedichte u. Fragmente des A. 6. H.* (–hist. CL. Bd. 126. Wien 1892)

[3] R. Geyer, *Einl.zu = Mukatarah von at–Tayalisi*. Wien 1927.

[4] R. Geyer, *Imru'ulqais, Munsarih–Qasida aufisu* in: ZDMG 68/1914/547–570, 720. 720.

[5] R. Geyer, *Altarabische Duamben*–Leipzig–New York 1908.

[6] سزكين: تاريخ التراث العربي، ج 2، ص

وترجمهما إلى الألمانية عن مخطوط يمني يرجع لحدود القرن الخامس هجري، نشره جريفيني بالتصوير في بيروت سنة 1907 ([1]).

**إيفالد فاغنر، (Ewald. Wagner)**

عالم ألماني متأخر قدم أوسع بحث عن شعر أبي نواس بعنوان: "أبو نواس: دراسة في الأدب العربي للعصر العباسي الأول"، نشره في فيزبادن سنة 1965([2]). كما نشر عنه مقالة في دائرة المعارف الإسلامية، في طبعة أوربية ثانية([3]). له كتاب عن المناظرات في الشعر العربي. وقد كتب فيه فاغنر عن شعر النقائض والفخر عند العرب ومكانه في التاريخ الأدبي العام([4]).

---

[1] R. Geyer, *Zwei Gedichte aus dem Diwan al-Aktal*, in: WZKM 33/1926/96-108, 232-235.

[2] E. Wagner, *Abu Nuwas. Eine Studie zur arabischen Literatur der Fruhen 'Abbasidenzeit*, Wiesbaden 1965.

[3] E. Wagner, in: EI ², 143-144.

[4] E. Wagner, *Die arabische Rangstreitdichtung und ihre Einordnung in die allgemeine lieteraturgeschichte*. Wiesbaden 1963.

# المبحث الثاني: حياة كارل بروكلمان ودراسته

## السيرة الذاتية

## كارل بروكلمان 1956/1868

ولد كارل بروكلمان في مدينة روستوك (Rostock) على ساحل البلطيق شمالي ألمانيا، وكان والده يعمل في تجارة سلع المستعمرات، وهذا ربما ما جعله قريبا أكثر من عالم اللغات واللهجات وحدد ميوله العلمية والأدبية فيما بعد، والتي زاد من قوتها أكثر موهبة والدته وفطنتها. كان بروكلمان متعلقا في قرارة نفسه بعالم غير عالم روستوك التي كان يريد الخروج منها إلى ما وراء البحار ليكون طبيبا بحارا أو ترجمانا أو مبشرا وهذا ما جعله ينتمي في سن مبكرة إلى إحدى الجمعيات المهتمة بقراءة بعض المجلات العلميّة الجغرافيّة، التي كانت تجتمع للقراءة مرتين في الأسبوع، كما انصرف اهتمام بروكلمان إلى دراسة بعض اللغات واللهجات، خاصة لهجة البانتو التي يتكلم بها سكان المستعمرات البرتغالية سابقاً، والتي قام بروكلمان وهو لا يزال تلميذا بوضع مشروع لكتاب نحوي فيها. أخذ بروكلمان وهو في المدرسة الثانوية يتردد على بعض معلمي اللغة العربية التي بدأ يجيدها بعد أن ظهرت براعته في إجادة اللغة العبرية التي كان قد قطع فيها شوطا أبهر فيه معلميه وأساتذته، إلى درجة أنه استطاع أن يترجم في امتحان الشهادة الثانوية النهائي نصا عبريا من سفر عاموس (العهد القديم) ترجمة شفوية فورية دون أي إعداد سابق لها، إضافة إلى ذلك كله كان

بروكلمان يدرس اللغة الآرامية واللغة السريانيّة وهو لا يزال طالبا في الثانوية[1]. وكان يسعى من ذلك كله إلى العمل مستقبلا في مجال الترجمة أو التبشير التي كانت تمثل أهم التوجهات أو الرغبات عند الشباب آنذاك في ظل الركود الاقتصادي الذي كانت تعاني منه أغلب دول أوروبا. ولكن ذلك لم يتحقق له فأخذ يتعمّق في دراسة اللغتين اليونانية واللاتينية، حتى يتأهل للالتحاق بجامعة ما، فالتحق أولاً بجامعة روستوك سنة 1886م، ثم انتقل بعدها إلى جامعة برسلاو(Breslau)، حيث حضر دروساً باللغات الشرقية وخاصة الهندية الأوربية.

انتقل في سنة 1888م إلى مدينة ستراسبورغ حيث تتلمذ هناك على يد البروفيسور الكبير تيدور نولدكه الذي كان مواظبا على حضور دروسه، إلى جانب عدد من الأساتذة كهوبشمان ودومشن الذين كان لهم اشتغال واسع باللغات الشرقية عامة إلى جانب اللغة السنسكريتية والأرمنية والمصرية القديمة.

في سنة 1890 نال بروكلمان شهادة الدكتوراه من جامعة ستراسبورغ، بعد أن كلفه أستاذه نولدكه بدراسة العلاقة بين كتاب «الكامل في التاريخ» لابن الأثير، وكتاب (أخبار الرسل والملوك للطبري)، فكانت دراسة متميزة وموفقة نالت أيضا جائزة تقديرية وطبعت في ستراسبورغ عام 1890م.

بعد هذه السنوات الدراسية اشتغل بروكلمان في مجال التعليم الخاص والعام، حيث عين مدرساً متمرناً في المدرسة الثانوية البروتستنتية في مدينة ستراسبورغ. ولكن بروكلمان كان يعدّ نفسه للتدريس الجامعي، فانتقل عام 1892م إلى مدينة برسلاو، حيث قام بإيعاز من أستاذه نولدكه بتحقيق مخطوط عربي عنوانه (تنقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار) لابن الجوزي عبد الرحمن بن علي، والتي حصل بها على دكتوراه في التأهيل المهني.

---

[1] عبد الرحمن بدوي، ***موسوعة المستشرقين***، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان. ص 57.

ذاعت شهرة بروكلمان في فقه اللغات الغربية منها والشرقية، قراءة وكتابة، كما اشتهر خاصة في أبحاثه وتأليفه وتعمّقه في التاريخ الإسلامي وتاريخ الأدب العربي، حتى عُدّ علماً من أعلامها. فعين أستاذاً للغات الشرقية في جامعات برسلاو وكونغسبورغ وهاله وبرلين. ثم عاد إلى برسلاو واستقر أخيراً في مدينة هاله.

اشتهر بروكلمان بنشاطه العلمي وإنتاجه الغزير، الذي اتصف بالموضوعية والعمق والشمول، والجدّة. مما جعله مرجعاً للمصنفين في التاريخ الإسلامي والأدب العربي. وقد انتخب عضواً في مجامع: برلين، لايبزغ، بودابست، برن، دمشق، إضافة إلى عدة جمعيات علمية آسيوية. اعتنى بروكلمان، إلى جانب دراسة اللغات السامية، باللغة التركية، فكتب موضوعاً عن أبنية الفعل فيها، كما كتب عن الشعر التركي القديم والحكم والأمثال الشعبية التي استخلصها من كتاب (ديوان لغات الترك) لمؤلفه محمود الكشغري. وقام إلى جانب ذلك برسم جميع الكلمات التركية الواردة في ذلك الكتاب بالحروف اللاتينية بدلاً من الحروف العربية.

تقاعد بروكلمان في خريف عام 1935م وانتقل إلى مدينة هاله ثانية في بداية عام 1937 لأنه أراد استخدام مكتبة جمعية المستشرقين لأبحاثه وخاصة لمواصلة العمل في كتابه الرئسيي (تاريخ الأدب العربي) ومكث فيها إلى عام 1945م مواصلا تأليفه وتصنيفه، وظهرت له كتب عديدة في هذه الفترة، ثم ذهب إلى جامعة برسلاو وعمل فيها كأمين مكتبة جمعية المستشرقين الألمانية، وصرف كل همه لإعادة تنظيمها واستعادة ما نقل من كتبها ومخطوطاتها.

وفي منتصف صيف عام 1947م جرى تعيينه كأستاذ فخري، وحصل في العام نفسه على مقعد الأستاذية في اللغة التركية، وكان يلقي الدروس في اللغات المختلفة، وأحيل بروكلمان للمرة الثانية على التقاعد في منتصف صيف عام 1953م.

من أهم مميزات بروكلمان هذا المستشرق الفذ أنه كان يجيد الكثير من اللغات الشرقية ويتقنها (تحدثا وقراءة وكتابة) وهي: العربية، السريانية، العبرية، الآشورية، البابلية، الحبشية، الفارسية الوسطى، الفارسية الحديثة، الأرمنية، التركية، القبطية، إلى جانب إتقانه باقي اللغات الأخري كاليونانية، واللاتينية، والفرنيسية، والإيطالية، والإنجليزية، والإسبانية.

كان بروكلمان دائم العطاء فكان يقيم حلقات دراسية كثيرة لتعليم اللغات المختلفة، وكان يراعي أثناء المحاضرة أو التدريس رغبات مستمعيه، فيجيب بكل طيب خاطر على جميع الأسئلة التي كان طلابه يوجهونها له، ولم يكن يتقدم في المحاضرة إلا بعد التأكد من زوال أي غموض أو صعوبة، أما خارج محاضراته فقد كان منغمسا في أبحاثه وأعماله العلمية، بحيث قلما تجرأ طلابه على توجيه أي سؤال له وإذا ما حدث وسأله أحد رغم ذلك، فإن بروكلمان كان يلقي عليه الجواب فورا بكل ما يتعلق بالموضوع وبكل دقة بحيث يمكن أن يرسل جوابه للطبع فورا، كان بروكلمان يتمتع بذاكرة ممتازة، وقدرة خارقة على التنظيم والتنسيق، وموهبة للفهم السريع، وقدرة على حسن تقدير أبعاد أي عمل هو بصدده أو بحث معين، بالإضافة إلى إرادة حديدية وطاقة خارقة على العمل والإنتاج، وقد عرف مقدراته خير معرفة وكان يستخدمها خير استخدام، وكان عمله اليومي منظما بكل دقة وصرامة، وفي أعوام حياته الأولى كان يسافر كثيرا في الإجازات وكان يحب البحار ويستمتع بالتجوال.

اشتهر كارل بروكلمان في مجالات عديدة وبصفة خاصة في فقه العربية وقراءتها قراءة سليمة فصيحة وكتابتها كتابة، وأيضا في التاريخ الإسلامي وتاريخ الأدب العربي حتى عد إماما من أئمتها.

لقد كرمت أوروبا كارل بروكلمان تكريما يليق به وبجهوده العظيمة وإنجازاته الكبيرة في مجال العلم والمعرفة، ورحبت به الجمعيات والمنظمات الأوروبية وفتحت له أبوابها ومنحته

عضويتها تكريما له، وقد تم انتخابه كعضو مراسل أو عامل في كثير من المجامع العلمية والأكاديميات في العالم، فكان عضوا عاملاً في الأكاديمية السويسرية للعلوم، وعضوا في الجمعية العلمية السويدية، وعضوا في الجمعية الألمانية للدراسات الشرقية، والجمعية الآسيوية الملكية في لندن، والجمعية العلمية السويدية، وعضوا في الجمعية الألمانية للدراسات الشرقية في الولايات المتحدة الأمريكية، والجمعية اللغوية الأمريكية، والمجمع العلمي العربي في دمشق.

وبعد كفاح علمي طويل ومن خلال كل ذلك التكريم في أوروبا الشرقية وأمريكا والعالم العربي، نال بروكلمان في بلده ألمانيا أرفع درجات التقدير والتكريم، حيث منحته جمهورية ألمانيا الديمقراطية سنة 1370هـ الموافق 1951م أرفع أوسمتها بأن قدمت له الجائزة الوطنية الألمانية، واحتفلت به في مؤتمر علمي عقد بمناسبة عيد ميلاده.

بعد أن أحيل على التقاعد سنة 1953م، استمر بروكلمان في نشاطاته العلمية فواصل التدريس والتأليف معا، رغم أنه تعرض في أواخر حياته إلى حالة من المرض غير المستقر الناتج عن تعرضه لموجة برد إلا أنه استمر في عمله التعليمي وتابع أبحاثه بالقدر الذي كانت تسمح به ظروفه الصحية، وقد استعان بواحد من أواخر تلاميذه حتى استطاع إتمام كتابه الأخير "نظم اللغة العبرية" الذي طبع بعد وفاته التي كانت في مايو عام 1956م.

## المبحث الثالث: أعمال بروكلمان ومنهجه النقدي فيها

**أعماله العامة**

لقد كانت حياة بروكلمان العلمية حافلة بالإنجازات التي قل لها نظير في العصر الحديث بين المستشرقين، والتي تميزت بأعمال خالدة أثرى بها المكتبة العربية والإسلامية أيما إثراء، وهي في مجملها أعمال قوية البناء سديدة المنهج، بالإضافة إلى تنوعها الكثير، وهذا ينبأ عن مدى قدرته الخارقة على العمل المتواصل والدءوب، والتي أعانته عليها أكثر ذاكرته القوية وبصيرته النفاذة، كما عرف عنه ميله الشديد إلى الترتيب وحب التنوع والتوسع حيث تشهد على ذلك أعمال كبيرة مثل "تاريخ الأدب العربي" و"تاريخ اللغات السامية المقارن" و"تاريخ الشعوب الإسلامية" وغيرها من الأعمال الأخرى الكثيرة والتي أحصاها له تلميذه يوهان فوك عن عدد يزيد عن 550 عنوانا ما بين مؤلف ومقال وأبحاث ومداخلات علمية.

عندما قرر بروكلمان أن يتجه إلى المجال الجامعي الأكاديمي، اختار البحث تحت إشراف أستاذه نولدكه فكان مشروعه الأول لنيل درجة الدكتوراه بعنوان "العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير وكتاب أخبار الرسل والملوك للطبري" في ستراسبورغ سنة 1890م.

أيضا من بواكير أعمال بروكلمان المهمة دراسته عن الشاعر العربي لبيد الذي قام بروكلمان بنشر ديوانه مع ترجمة له إلى الألمانية، حيث اعتمد على الدراسات السابقة التي قام بها هوبر

وهينريش فأكمل القسم الثاني منه وذيله بالحواشي وجعله في جزأين، بالإضـــافة إلـــى ســـيرة بيوغرافية واسعة عن الشاعر لبيد نشره في ليدن سنة 1891م ([1]).

في 28 جانفي 1893م قدم بروكلمان مشروعه لنيل درجة الدكتوراه الثانية من جامعة برسلاو برسالة تحت عنوان "عبد الرحمن أبو الفرج ابن الجوزي: تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار" وهو بحث في كتاب المؤلف العربي عن مخطوط في برلين، وقد حصل بروكلمان بهذا العمل على درجة الأستاذية الجامعية.

إضافة إلى الرسالتين اللتين قدمهما بروكلمان بين عامي 1890 و1893، للحصول على الدكتوراه من جامعة ستراسبورغ، والأستاذية من جامعة برسلاو، حقق كتاب «الوفا في فضائل المصطفى» لابن الجوزي، عن مخطوط ليدن، ونشره في لايبزغ سنة 1895. كما حقق «رسالة في لحن العامة» للكسائي، مذيّلة بشروح وفوائد، نُشرت في المجلة الآشورية سنة 1898. اشترك مع مجموعة من المحققين الألمان في إعداد نشرة جديدة لكتاب "طبقات ابن سعد"، حيث عمل على تحقيق الجزء الثامن الخاص بسير النساء، وصدر الكتاب كاملا بكل أجزائه في برلين سنة 1904م. وأثناء عمله في هذا الكتاب صادف نسخة من كتاب ابن قتيبة "عيون الأخبار"، فعمل على دراسته وتحقيقه وطبعه على أربعة أجزاء، صدر الأول منه في برلين سنة 1900م والثاني سنة 1903 والثالث سنة 1906م والرابع سنة 1908م وقد صدرت بقية الأجزاء الثلاثة في ستراسبورغ. وأخيرا قام بروكلمان بتأليف كتاب عن النحو العربي الميسر باللغة الألمانية ([2]).

---

[1] C. Brocklmann, I: *Die Gedichte des Lebid nach der Wiener Ausgabe ubers and mit Anm*. versehn, Leiden 1891 II: *Diwan des Lebid nach der Hadss. Zu Strassburg und Leiden mit den Fragmenten*, Ubers.und Biographie des Dichters. Leiden 1891.

[2] C. Brockelmann, *Arabische Grammatik*, Hueber, 1977.

ونتيجة إلى أنه استثنى من كتابه الكبير "تاريخ الأدب العربي" الآداب التي لم يكن لها علاقة مباشرة بأدب العرب والدين الإسلامي فقد وضع عملا خاصا لذلك أسماه "تاريخ الآداب المسيحية في الشرق" تناول فيه الأدب السرياني وتاريخ الأدب العربي المسيحي، صدر في ليبزيج سنة 1907م، أما الطبعة الثانية المنقحة والمعدلة فقد صدرت سنة 1909م.

وعندما كان أستاذا في جامعة كينجزبرغ ما بين سنة 1903 و1910م قام بروكلمان بتأليف أكثر كتبه أصالة وقوة "موجز النحو المقارن للغات السامية" طبعه في مجلدين، نشر الأول منه عام 1907 والثاني عام 1913([1]). وفيه وضع بروكلمان خلاصة جهده في تاريخ اللغات المقارن والذي يهدف بالدرجة الأولى إلى معرفة مدى التطور الحاصل في كل لغة.

وعندما تقاعد بروكلمان في خريف 1935 من جامعة برسلاو، عاد إلى مدينة هالة ليكون قريبا من مكتبة "الجمعية الشرقية الألمانية"، وهناك صرف كل جهده لإعادة تنظيمها وتبويب فهارسها من جديد كما حرص على استعادة بعض مخطوطاته.

إلى جانب هذا الكم من الأعمال المهمة التي قدمها بروكلمان للمكتبة العربية هناك أعمال أخرى لا تقل أهمية عن ما فعله في مجال التراث العربي، فقد ألف أيضا في مجال اللغة السريانية وكان له بها علم واسع ومقارن حيث نشر سنة 1899م كتابه "نحو السريانية وآدابها"، كما عمل طوال سنوات على وضع معجم للسريانية بعد أن جمع فيها مادة كثيرة، خاصة وأنه كان يرى ضرورة وضع مثل ذلك المعجم مع تطور الدراسات في النصوص السريانية رغم وجود معاجم سابقة لها، لكن بروكلمان أقبل على وضع معجم جديد لها بعد أن استقرأ ألفاظ الترجمة السريانية للكتاب المقدس عمل عليه لما يزيد على ثلاث سنوات زود كل

---

[1] C. Brocklmann, "*Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen*". 2 vols. Berlin: Reuther and Reichard. 1908-1913.

مادة فيه بنصوص سريانية جعلت معجمه محكم الأساس[1]. صدر المعجم السرياني في فيفري 1895م طبعة برلين وقد أعاد طبعه مع التجديد فيه طبعا في هالة 1923م.

ونظرا إلى أنه كان يجيد اللغة التركية، فقد كان له فيها أيضا باع ورصيد ملحوظ، فقام بإصدار عرض لأبنية الأفعال في اللغة التركية استخرجه من كتاب "ديوان لغات الترك" للمؤلف محمود بن الحسين الكاشغري الذي نشر في استانبول أثناء الحرب العالمية الأولى، فعمل بروكلمان على وضع رسم لألفاظ اللغة التركية وفق اللغة اللاتينية عوضا عن اللغة العربية حتى يمكن النطق بها صحيحا كما استخرج بقايا الشعر والحكم والأمثال التركية من هذا الديوان وزود كل لفظ بشواهد وملاحظات تاريخية عليه وأصدره باللغة الألمانية تحت عنوان "كنز اللغة التركية وقفا لديوان لغات الترك لمحمود الكاشغري" وقد طبع بمعونة الأكاديمية الهنغارية في المكتبة الشرقية المجرية سنة 1919م. وواصل عمله في مجال الدراسات التركية بوضع مؤلف في تاريخ اللغات التركية المكتوبة بعنوان "نحو اللغة التركية الشرقية الوارد في اللغات المكتوبة الإسلامية بآسيا الوسطى".

من بين مؤلفاته التركية يبرز أيضا كتابه "مفردات التركية الوسيطة حسب ديوان لغات الترك لمحمود الكاشغري Mittelturkischer Wortschatz nach Mahmud al-Kasgaris من مؤلفاته الأخيرة " Ostturkische Grammatik der Divan lugat at Turk islamischen Litteratur sprachen Mittelasiens.

## تاريخ الأدب العربي

يروي كارل بروكلمان في سيرته الذاتية، أن مشروع كتابه الضخم هذا راوده منذ أن كان يعد لبحثه لنيل درجة الدكتوراه للمرة الثانية للتأهيل للأستاذية سنة 1893م، بعد أن توفرت له مادة

[1] بدوي، عبد الرحمن، ***موسوعة المستشرقون***، دار العلم للملايين، بيروت. ص 100.

أدبية هائلة كتبها في كراسات طويلة، مما جعل الناشر فلبر يقترح عليه أن يقدم هذه الأبحاث الواسعة للنشر، إلا أن بروكلمان كان أكثر بعدا في طرحه حيث قرر أن يصدر "تاريخا عاما للأدب العربي" وبالفعل ظهر أول مجلد من عمله المرتقب منذ بداية 1898م ثم تلاه الجزء الثاني من هذا العمل والذي أصدره سنة 1902م، ولكن المادة العلمية التي أخذت تتلاحق تترا وتجتمع بقوة لدى بروكلمان جعلته بفكر بوضع ملاحق لأصول كتابه السابق وصلت إلى ثلاثة أجزاء ضخمة فاقت الأجزاء الأصلية بكثير، وهكذا وصل العمل كله إلى خمسة أجزاء طبعها بروكلمان مجتمعة في دار بريل الشهيرة سنة 1949م. وأصبح عمل بروكلمان يتألف من مجلدين أصليين وثلاثة ملاحق يكمل بعضها بعضا حيث أن الباحث لا بد أن يعود إليها معا وفي كل حالة.

طبعا يروي بروكلمان أيضا العوائق العلمية والمادية التي منعته من إعادة كتابة العمل كله ضمن كتاب جديد دون الوقوع في مثل هذا التشتيت العلمي، لكن بريل صاحب دار النشر في ليدن كان له دور في فرض هذا المسار لأسباب تجارية، فربما تصحيح و إتمام عمل ضخم كهذا يتطلب وقتا كبيرا جدا، لهذا وجد بروكلمان نفسه مضطرا إلى إنجاز ملاحق يصدرها الناشر تباعا. وهكذا أخذ بروكلمان يضيف إلى كتابه الأصلي ملحقا تلو الآخر حتى وصل مجموعها إلى ثلاثة أجزاء، نشرتها مطبعة بريل في مدينة ليدن الهولندية ما بين سنوات 1937- 1938- 1942([1]).

طبعا أصدر بروكلمان هذا العمل كله باللغة الألمانية، ولم يحظ هذا العمل للأسف بترجمة إلى العربية إلا مع أواخر الخمسينات وبشكل متقطع وبطيء جدا، حيث تولت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية ترجمته وكلفت الأستاذ الدكتور عبد

[1] Brockelmann, Carl, "*Geschichte der arabischen litteratur*", Original edition:2 vol, (GAL), Brill, 1943. S. I.

الحليم النجار بذلك فصدر أول جزء منه سنة 1959، ثم تعثر العمل بعد وفاته فلم تظهر الأجزاء الباقية إلا في أواخر السبعينات، على يد الأستاذين يعقوب بكر ورمضان عبد التواب. ثم قامت إدارة المنظمة بتكليف الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي بالإشراف على لجنة من المترجمين، منهم محمد عوني عبد الرءوف، ومحمود حمدي زقزوق، وغريب محمد غريب، وعمر صابر عبد الجليل والذين اعتذر أغلبهم لاحقا عن العمل في الترجمة.

ورغم أن مشروع الترجمة بدأت فكرته منذ بداية 1950 إلا أنه لم تتأكد ترجمته كاملا إلى الآن، حيث لا تعرف المكتبات العربية مصير باقي الأجزاء، ولا تتوفر لها إلا الكتب الستة المترجمة والمعروفة لدى القارئ العربي. وعليه فإنه توجد من هذا العمل الضخم نسختان، واحدة بالألمانية كاملة والأخرى بالعربية لم تكتمل بشكل رسمي حتى الآن، ولهذا فإن الباحثين من غير الألمان يواجهون صعوبة كبيرة في التعامل مع هذا العمل. وهذا أمر مؤسف لأن في الكتاب حصيلة هائلة وأراء علمية حول الأدب العربي وشتى موضوعاته، لا غنى للباحث عنها والتي ربما تساعده أكثر في تصور أفضل لهذا التراث عند كل المستعربين في العالم.

في مقدمة الجزء الأول من «تاريخ الأدب العربي» يقول عبد الحليم النجار: "لم يكتف بروكلمان بعدِّ أسماء الأدباء من كتاب وشعراء وعلماء وفلاسفة، على نمط كتب الطبقات أو التراجم، ولا بسرد أسماء المصنفات والمؤلفات العربية في مختلف فروع العلم والمعارف والآداب، على أسلوب «الفهرست» للنديم و«كشف الظنون»، لكنه ألقى نظرة الفاحص الخبير على الأدب العربي في مختلف أزمنته وأمكنته وفنونه، منذ نشأته إلى هذا العصر. وبدأ بالكلام عن أصل الأمة العربية ووصف شعوبها وأجناسها وبيئتها وأسلوب حياتها. ثم وصف اللغة العربية وخصائصها ومكانة الشعر والأدب والعلوم فيها».

يمثل عمل بروكلمان انجازا فنيا كبيرا فتح الكثير من أفاق البحث عند الباحثين في التراث العربي، رغم أن البعض يعتبر الآن "تاريخ الأدب العربي" لبروكلمان عملا تجاوزه الزمن قليلا بسبب ظهور بعض الأعمال المستجدة والأوسع عن عمل بروكلمان مثل "تاريخ التراث العربي" لفوت سزكين، لكن هذا الرأي لا يبدو رأيا علميا دقيقا، خاصة وأن جزءا كبيرا من عمل بروكلمان (الملاحق الثلاثة على وجه الخصوص) لم يكتمل بعد من حيث الترجمة، مما يجعل الحكم عليه غير دقيق.

فعمل بروكلمان من حيث المنهجية ليس مجرد فهرسة عادية للتراث أو كونه عملا يعتمد ترتيبا كرونولوجيا لمراحل كتابة التراث العربي، ولكنه يقدم رؤية غير مسبوقة للتقسيم العام للأدب العربي من نواحي عدة، على رأسها الجانب الفني، فهو يشتمل على أبواب جديدة من نوعها، إلى جانب مقدمات وافية وقيمة عن كل فن من الفنون المعرفية والتي تتميز في غالبها بالدقة والإيجاز والإحكام، كما أنها تكشف عن ذوق أدبي رفيع للمؤلف وتنطوي إلى حد كبير على مجمل الآراء والميول الفكرية التي تمثلها المدرسة الأوربية برمتها حول تراث العرب والمسلمين عبر أكثر من ثلاثة قرون. وهذه المحصلة من الآراء المهمة والدقيقة لا تتميز بها أغلب الكتب التي كتبت في العصر الحالي عن تاريخ أو مجمل الأدب العربي، باستثناء بعض الأعمال المهمة التي غطت مرحلة زمنية بعينها ككتاب "تاريخ التراث العربي" لفؤاد سزكين، الذي وصلت تغطيته العلمية لهذا التراث لحدود أربعة قرون فقط والتي استدرك فيها سزكين الكثير من البيانات والمعلومات الجديدة التي لم توجد في عمل بروكلمان.

لقد قسم بروكلمان دراسته للأدب العربي وفق منهج جديد ركز فيها على وجه الخصوص على أهم الدراسات التي قام بها غير العرب حول تراث العرب، كما أنه قام بمسح مجمل ما وصل إلينا من أعمال ومن دراسات عن هذا التراث ككل.

فيما يتعلق بالجوانب الفنية فإن أول ما يمكن الالتفات إليه هو تقسيم الأدب إلى أدب جاهلي من أوليته (بدايته) حتى سقوط الدولة الأموية، ثم جعل مصطلح الأدب الإسلامي يبدأ منـــذ قيـــام الدولة العباسية حتى الوقت الراهن لأسباب منطقية ذكرها بإيجاز متقن وعقلاني في كثير من مباحثه.

أما أهم المحاور التي جمع فيها بروكلمان أغلب الأعمال الأدبية فهي لم تخرج عن ثلاثـــة أو أربعة عناوين، صنف تحتها أغلب ما اجتمع لديه من مادة علمية، وهي الشعر بكـــل أنواعـــه وفن النثر وعلوم اللغة العربية وهذه كلها تمثل الأجزاء الثلاثة الأولى، ثم بدأت المادة العلميـــة تخرج عن إطار الأدب البحت لتدخل ضمن فنون علمية أخرى كالتاريخ وعلم الحديث والفقـــه وعلوم القرآن والتصوف والفلسفة والطب والرياضيات وغيرها من فنون العلم عامة.

**تاريخ الشعوب الإسلامية**

نتيجة للعمل المتوصل عبر عقود من الزمن في تآليف عدة حول تاريخ الأدب العربي والإسلامي عامة اجتمعت فيه لبروكلمان مادة علمية ضخمة، تراء له فيها وضع مصنف سلس وحديث حول التاريخ الإسلامي كتخصص، أو بشكل أدق وضع مؤلف عن تاريخ الشعوب الإسلامية منذ بدايات التحول الإسلامي حتى العصر الحديث مركزا فيه بشكل واضح على تاريخ الحقبة العثمانية التي شحت فيها التآليف العربية نظرا لحالة الركود والجفاف العلمي الذي أصاب الذاكرة المسلمة عموما.

فمنذ عام 1895م وبروكلمان يطلع ويساهم بالكتابة في "حوليات علوم التاريخ" Jahrbuch der Geschichtswissenschaft، التي خصصت مباحث مهمة في تاريخ الإسلام ووصف للعالم الإسلامي منذ البعثة إلى العصر الحديث. لقد بدأ اهتمام بروكلمان بالكتابة التاريخية عندما شارك بكتابة فصل بعنوان "تاريخ الإسلام" ضمن كتاب "تاريخ العالم" الذي كان يشرف

عليه يوليوس فون بفلوخ هارتونغ، والذي قدم فيه عرضا سريعا لتاريخ الإسلام منذ بداياته حتى العصر الحديث، وبعد أكثر من عشرين عاما عاد بروكلمان ليتفرغ لكتابة تاريخ للشعوب والدول الإسلامية ضمن مجلدين ضخمين أصدرهما بشكل نهائي سنة 1939م، حيث تمت ترجمته لاحقا إلى أغلب اللغات الأوربية، نذكر منها الإنجليزية والفرنسية والإسبانية. أما فيما يتعلق بالترجمة العربية لهذا الكتاب فقد تمت سنة 1948م على يد نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي وطبعته دار العلم للملايين بلبنان، وقد أعيد طبعه مرات ومرات، وكان له تأثيرا كبيرا على الرؤية التاريخية لعالمنا الإسلامي عند الغرب، خاصة وأنه كان موجها بالدرجة الأولى للقارئ الغربي، مما شكل فكرة تكاد تكون في غالبها سطحية عن هذا العالم إن لم تكن مشوهة في ظل دراسات أخرى أكثر تشويها وخطورة وخروجا عن المنهج التاريخي الصحيح لمفاهيم غاية في الخطورة عن عالم الإسلام والمسلمين. وهذا بشهادة بروكلمان نفسه الذي ذكر في مقدمة الكتاب أنه نظراً لحالة البحث العلمي فإنه لا يزال من قبيل المخاطرة كتابة تأريخ للشعوب الإسلامية ودولها، حيث يأتي ضمن أكثر المباحث وعورة وخطرا على حد وصفه، فليس من السهل الحديث عن تاريخ دقيق ومحقق عن وقائع وتفاصيل لشعوب متشعبة في عالم طويل عريض كالعالم الإسلامي وما فيه من فرق ومذاهب ولغات وأعراق رغم الوحدة الدينية العامة التي تميز بها هذا العالم منذ بداية البعث حتى عصور متأخرة، تداخل فيها العالم الإسلامي مع عوالم أخرى بشكل لم يسبق ربما في تاريخيه مثل ما هو حاصل من ذي قبل وحتى الآن.

ونظرا لهذه الوضعية العلمية التعيسة التي آل إليها تاريخ هذا العالم فقد وجد المشتغلون من غير المسلمين بتراث هذا العالم مجالا آخر أوسع للبحث والنقد التاريخي تمثل في ظهور دراسات ومعالجات لبعض أخطر مسائل التاريخ لأمة الإسلام، بدأ من أهم مباحث هذا التاريخ

الإسلامي والمتمثل في حياة الرسول باعتباره المنشأ لهذا التاريخ أساسا ومرورا بقضية الخلاف السياسي الذي حدث في بواكير هذا التاريخ والذي نشأ عنه أكبر انشطار طائفي في هذه الأمة ما بين شيعة ومتشيعين لآل البيت وما يعرف بأهل السنة وأيضا ما تفرع عنهما من فرق لا حصر لها، جعلت من هذا التاريخ شبكة معقدة أو مساحات رملية غاصت فيها أكبر العقول وتاهت في تحليلات لا حصر لها أيضا.

لقد أثار هذا الكتاب لبروكلمان حفيظة الكثير من القراء العاديين في العالم الإسلامي لما تضمنه من مساس بالقدسية الإسلامية لرموز الإسلام عامة من شخصيات ومظاهر تعبدية إلى وقائع متداخلة ومفترضة وربما ينقصها التوثيق، بل ولقد انبرى الكثير من الدارسين المسلمين متخصصين وغير متخصصين للرد على بروكلمان بقوة وبلا موضوعية في كثير من الأحيان، دون النظر إلى هذا العمل في إطاره الإنساني والاستشراقي وحتى اللغوي وقبل هذا كله دون النظر إلى الخلفية الحقيقية للمؤلف باعتباره ليس مسلما وله الحق في رؤية مغايرة خاصة إذا كان قد وظف بذكاء معطيات ومعلومات من داخل هذا التاريخ نفسه وبروايات إسلامية كتبها ورواها مؤرخون مسلمون، حيث أنه من المنطقي أن تظهر نزعة المؤلف بقوة وهو يحلل أخطر مسائل تشابك فيها العقل والمؤرخ المسلم قبل غيره بكثير.

ورغم أن الكتاب تميز بسلاسة في التعبير وسرعة في العرض إلا أن الكلام في أخطر موضوعاته حساسية جاء أغلبه مرسلا خاصة ما تعلق منها بمنشأ الإسلام، وبعثة الرسول، وحتى الكلام عن شخصية الرسول جاء في أغلبه غامضا ومتجنيا وهو أمر للأسف لم نتعود عليه من رجل عرف بالمنهجية العلمية الكبيرة في أغلب أعماله، ولكن يبدو أن ذلك كان مقتصرا على الجانب الفيلولوجي الذي برع فيه هذا العالم إلى حد كبير. كما أن النظرة للإسلام وشخصياته يبدو فيها ازدواجا كبيرا فهو بعيدا عن شخصية الرسول النبي يتكلم

بإنصاف وحتى إعجاب ولكنه يحاول ما أمكن التنصل من هذه الروح عندما يتناول شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم)، التي يظهر معها غضاضة واضحة في طريقة السرد عنه كما أنها غاية في الغموض والتهرب عن الإفصاح المكنون فهو يأتي بوقائع صحيحة مثبتة لكنه يطبعها بشيء من التنصل أو السخرية إلى حد ما والشواهد في ذلك كثيرة، وكأن بروكلمان بمثل هذه الروح الأدبية التي طبع بها أفكاره يريد أن يحافظ على مكانته الكبيرة في معسكر الاستشراق الذي كان يتصدى بقوة لأي عمل منصف أو نزيه لهذا الجانب الخطر من الدراسات، حيث رأينا كيف أقصي واضطهد الكثير من علماء الاستشراق الذي التزموا الأمانة العلمية والحياد المنهجي في دراساتهم.

وربما يكون هذا العمل قد أعطى للمؤلف مساحة واسعة للتعبير الحقيقي عن آرائه الشخصية التي ربما لم يجد لها مجالا كافيا أو مناسبا لعرضها بحكم موضوعاته ومنهجه الصارم الذي أتبعه فيها، فلم يجد سوى هذا المجال الواسع والفضفاض ليقدم فيه عرضه السريع و"الطائر" على حد قوله عن تاريخ الإسلام والأمم الإسلامية ليركز بالدرجة الأولى على مواقفه وآرائه التي كان في حاجة لإبرازها لرفقائه المستشرقين وكسبا لودهم في زمن كانت الموضوعية فيه شيء صعب ومنفر، خاصة وأنه قدم لمكتبة التراث الإسلامي والعربي أعمالا غاية في القوة والجهد وحتى الإخلاص مما قد تثير حوله الشبهات، وهذا أمر مبرر جدا في زمن تكالب فيه الكثير من رموز الاستشراق على تراث الإسلام وحمي الوطيس في دراساتهم عليه هجوما وتشكيكا وقمعا لأي محاولة إنصاف أو عدالة علمية، في ظل هذا الظروف ربما وجد بروكلمان نفسه في حاجة إلى عمل مداهن أو مساير لتلك الروح السائدة آنذاك في عالم الاستشراق، لكن الذي مما لا شك فيه أن بروكلمان قدم للمكتبة التاريخية العامة عملا جيدا

ومهما برغم كل الهنات والمغالطات التي أوردها في كتابه دون أن نتغافل عن بشرية هذا العالم وأصوله الدينية واللغوية والتي لا بد أن يكون له معها نزعة ما.

## موجز عن الكتاب

خصص بروكلمان القسم الأول لتاريخ العرب قبل الإسلام تطرق فيه إلى أصل الجنس العربي والأحوال الاجتماعية للعرب في البادية وداخل أهم الحواضر العربية، مع التعريج على الظواهر الأدبية فيها كالشعر. ثم بدأ يصور حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بشكل عام متعرضا إلى أهم المحطات التاريخية فيها كهجرته وعلاقته باليهود وحروبه متخللا ذلك بشرح موجز جدا لأهم تعاليمه والبعد اللاهوتي الجديد الذي تكون للعرب. بعد ذلك يتجه بروكلمان للحديث عن عصر الخلفاء الراشدين وأهم الأحداث والحروب التي تمت في هذا العصر ليختم بعرض عام لتاريخ الدولة الأموية.

في القسم الثاني يصف بروكلمان الإمبراطورية الإسلامية وانحلالها، والتي في رأيه تبدأ منذ العباسيين حتى انقسامها إلى دويلات مستقلة ثم سقوطها على يد المغول. وقد تعرض في هذا الجزء إلى موضوعات عدة منها الإدارة، الشعر في العراق، النحو وفقه اللغة، عصر المأمون، علم الكلام وفن المناظرة. وقد جعل في هذا القسم بابا خاصا بالفرس والأتراك مع تداخل في المواضيع كالحديث عن الغزالي والقصص وفن المقامة. كما تطرق إلى الكلام سريعا عن الأندلس وشمالي إفريقيا تناول فيه بالحديث عن قيام الإمارات وملوك الطوائف وأيضا أشهر الشخصيات العلمية التي عرفها هذا الجزء من العالم الإسلامي كابن الطفيل وابن رشد وابن خلدون وابن بطوطة.

أيضا تناول بروكلمان في هذا القسم الشرق الأدنى في عهد الصليبين وقيام دولة المماليك مشيرا إلى أبرز المحطات التاريخية المشهورة مع شخصيات بعينها مثل الكلام على شجرة

الدر وابن تيمية. ثم ختم قسمه الثاني بالتعرض إلى الأتراك و المغول وسقوط الخلافة الإسلامية العربية في هذا الوقت.

أم موضوع القسم الثالث فقد خصصه عن الأتراك العثمانيون ودولتهم، والتي تحدث فيها عن أصول الدولة العثمانية وقيامها حتى عصر سليمان الأول، مع كلام مسهب عن الحضارة العثمانية وأوج الإمبراطورية وصولا إلى عصر الانحطاط مع نهاية القرن 18م.

أما الأقسام الأخيرة من الكتاب فتعالج بإسهاب وضع الإسلام في القرن 19م، مركزا على الحياة العقلية داخل الإمبراطورية العثمانية ومصر، ثم الوضع في الشرقين الأدنى والأوسط، وشمالي أفريقيا في مرحلة ما بين الحربين العالميتين.

لم يقنع بروكلمان، كما يبدو لأول وهلة من هذا السرد لعناصر كتابه، بإعطاء فكرة عامة عن التطور السياسي لهذه البقعة. وإنما لم يدع فرصة تمر دون أن يشير إلى أوجه التطور المختلفة التي حدثت في الإسلام إبان 1300 سنة. وبهذا يتناول التيارات والمذاهب في نطاق الدين وفي الفقه الوثيق الصلة بالدين وفي الأدب والفن، مثلما يشير إلى الصلات بين تلك الظواهر وبين العمليات الاجتماعية الجارية وقتذاك من ناحية، وبينها وبين العوامل السياسية المؤثرة فيها من ناحية أخرى. لقد أولى بروكلمان، في الجزء الأخير من كتابه، عناية خاصة ليقظة الوعي السياسي والثقافي عند الشعوب الإسلامية، ولا سيما العرب، هذه اليقظة التي تتجلى بوضوح في الكفاح الطويل ضد الاستعمار الأوربي، وما صاحبه من نهضة في الإسلام وما يتصل به من حضارة في مختلف أنحاء العالم العربي ويتكرر في ثنايا هذا الكتاب كما يتكرر في المواضع المناظرة من كتاب "تأريخ الأدب العربي" تأييد بروكلمان للأماني السياسية والحضارية للأمة العربية وللشعوب الإسلامية ولجهودها التي داوم على متابعتها. ذلك التأييد الذي أكسبه شهرة وصيتاً في العالم الإسلامي.

## فقه اللغات السامية

هذا واحد من أهم وأبرع كتب بروكلمان العلمية المنهجية، والتي تدخل في صميم اختصاصه كلغوي وفقيه معاصر في علم اللغات المقارن، وهو يمثل عصارة علمه في مجال اللغات السامية التي فقهها نطقا وكتابة وتأريخا ومن ثمة عالما مقارنا بينها.

كتاب فقه اللغات السامية للمؤلف كارل بروكلمان هو جزء من شبه موسوعة ألفها بروكلمان في كتاب ضخم بعنوان "الأساس في النحو المقارن للغات السامية" طبعه في جزأين، نشر الجزء الأول منه في برلين سنة 1908م، ونشر الجزء الثاني منه في سنة 1913م. وقد قام بترجمته من الألمانية إلى العربية الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب أستاذ العلوم اللغوية بجامعة عين شمس بمصر سنة 1977 ونشرته جامعة الرياض بالسعودية.

تمكن أهمية هذا العمل الجزئي في أنه يقدم لأول مرة مقاربة ومقارنة لغوية متعلقة بالنحو والصرف والقواعد عامة داخل ما يعرف باللغات السامية، بعد أن كانت حتى عهد بروكلمان مقتصرة على الجانب التاريخي والذي هو بلا شك أهم مبحث فيها لكونها تعطينا صورة عامة أو تضيء بدورها على بقية الجوانب التاريخية للشعوب السامية وحضاراتها ودياناتها وعاداتها وتقاليدها، لكن المقارنة بين هذه اللغات على صعوبتها قد تقودنا إلى معرفة حقة أو استنتاج أحكام لغوية عن واحدة من هذه اللغات مثلا من خلال المقارنة، والتي جعلت المستشرقين بدورهم يتقدمون في مجال الفيلولوجيا بشكل دقيق وعميق، لأنهم لم يكتفوا بدراسة اللغة العربية مثلا داخل إطار هذه اللغة وحسب بل لقد درسوها في إطار بقية اللغات السامية، وهذا ما جعلهم أقدر على فتح بعض مغلقات ومشكلات أي تراث نتج عن واحدة من هذه اللغات، فتأسس عندهم منهج كامل لعلم التاريخ اللغوي المقارن، والذي انعكس بدوره على الكثير من الدراسات العلمية التي قام بها المستشرقون لاحقا في تحقيق جوانب معينة لتراث

كل لغة من هذه اللغات، خاصة اللغة العبرية والعربية، حيث نقرأ مثلا كيف استفاد عالم فذ مثل يوليوس فلهاوزن من منهج النقد العلمي الذي مكنه من نقد نصوص الكتاب المقدس (التوراة) نقدا دقيقا ومتحررا جعله يقدم حقائق صادمة عن مدى أصالة العهود التوارتية القديمة بناء على ما توفر عليه البحث عند علماء "الساميات"، وهو ما حدث بدوره أيضا عندما اشتغل في مجال التراث العربي بعد أن تعرض للاضطهاد والمعارضة من قبل علماء العبرية والتاريخ اليهودي عامة، فقد استفاد فلهاوزن كثيرا من منهج النقد العلمي اللغوي والديني الذي طبقه على دراساته الإسلامية التي جاءت على خلاف المنهج الاستشراقي الذي عودنا على التحيز والتعصب، لكن فلهاوزن تميز بالعمق والجد العلمي والموضوعية إلى حد كبير[1].

وفقه اللغات السامية كما يقول بروكلمان في مقدمته هو علم يبحث عن العوامل الخارجية، والتطورات الداخلية لهذه اللغات، ولا يمكن إدراك التطورات الحادثة في أصواتها وصيغها وجملها، إلى من خلال المقارنة المستفيضة بين هذه اللغات ما أمكن ذلك[2].

في الفصل الأول من هذا الكتاب يبحث بروكلمان عن تحديد الأصل السامي للغات الثلاث الأساسية (العبرية–العربية–السريانية) ويحاول في عمله أن يقدم مقاربة تاريخية ضرورية بينها وبين مثيلاتها من المجموعات اللغوية لباقي شعوب العالم، ولكنه لا يكاد يجزم بشيء، فهو يعتبر أنه من غير المؤكد أن تكون ما يعرف اليوم بالشعوب السامية هي كذلك، كما أنه قد تكون هناك شعوب سامية أخرى مجهولة. كذلك تطرق المؤلف إلى الظواهر الصوتية الواضحة بين اللغتين العبرية والعربية.

---

[1] يوليوس فلهاوزن، ***تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية***، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، مصر، 1968. ص 2.

[2] بروكلمان، كارل، ***فقه اللغات السامية***، ترجمة رمضان عبد التواب، منشورات جامعة الرياض، السعودية، 1977، ص 9.

أما في الفصل الثاني ففيه حديث عن النظام الأبجدي للغات السامية وأصل الحروف فيها والتراكيب الكلامية من مفردات وجمل.

لكن المقارنة الفعلية بين اللغات الثلاث العبرية والعربية والسريانية تظهر بشكل عملي في الفصل الثالث الذي وضع فيه المؤلف القواعد المقارنة للغات السامية والتي حدد فيها نقط التلاقي الحقيقية بين هذه اللغات منطلقا من مجموعة مشتركات وتراكيب صوتية موجودة بينها. وقد عالج بروكلمان داخل الظاهرة الصوتية مسائل عدة تتعلق بأقسام الأصوات في اللغات السامية، تركيب الأصوات وارتباطاتها، بناء المقاطع، النبر وأثره في الكلمة، قلب الأصوات أو تغييرها ومن خلال ذلك كله استطاع بروكلمان أن يحدد مدى صلابة وأصالة لغة عن غيرها وقد كشف عن تميز كبير للغة العربية وتفوقها مع وجود ثغرات فيها طبعا باعتبارها لغة وضعية لا تخضع لقانون الكمال.

في القسم الثاني وضع بروكلمان مقارنة علمية بين اللغات السامية في الصيغ اللغوية لها حيث ذكر بأن كل كلمات اللغات السامية تندرج تحت مجموعات محددة باستثناء الضمائر وكلمات التعجب، كما أن هذه المجموعات تحكمها أصول عليا، إلا أن هذه الأصول ليس لها علاقة أكيدة بالنحو والقواعد الخاصة بكل لغة[1].

ورغم أن بروكلمان ركز مقارنته بين اللغات الثلاث الرئيسية العبرية والعربية والسريانية إلا أنه تعرض لكثير من اللهجات الأخرى في مقارناته متى دعته الضرورة إلى ذلك، وهذا يدل على مدى الجهد الذي قام به هذا اللغوي القدير كما يدل على سعة اطلاعه وعلمه الواسع بهذه اللغات، مما جعله يقدم دراسة نادرة من نوعها في مجال النحو المقارن وظاهرة الصوت في اللغة خاصة في تاريخ اللغة العربية التي لم تعرف مثل هذا النوع المقارن على الرغم من كل

---

[1] نفس المرجع، بروكلمان، ***فقه اللغات السامية***، ص 83.

ذلك التراث الضخم والواسع والمهول حول هذه اللغة بكل أبعادها. وهذا في الحقيقة ما يجعلنا نقر بمدى تقصيرنا كلغويين عرب في هذا المجال الحيوي الذي بلا شك يمثل مدخلا مهما لفهم عميق للغة الأم ومن ثمة إدراك علاقتها بباقي اللغات والمفردات الإنسانية الأخرى.

# الفصل الثالث

## تاريخ الأدب العربي في ظل الإسهامات السابقة ودوافع تأليفه

**مقدمة:**

إن التأريخ للأدب العربي عموما ليس بابتكار جديد في المطلق، فقد عرف هذا التراث نفسه ظاهرة الفهرسة، وتصنيف العلوم حسب فنونها ومواضيعها وأسماء مؤلفيها، وإن كانت لا تقارن بالطرق الحالية في ظل هذه الثورة الإلكترونية التي نعيشها وما صاحبها من وسائل مبهرة لخدمة العلم الإنساني، فقد سبق العلماء الأوائل منذ قرون طويلة إلى وضع مصنفات بما يساعد على استيعاب مادة ذلك التراث، سواء ما تعلق منها بعلم الرجال "التراجم"، أو المؤلفات وإن كانت لا تمثل في أبعادها تأريخا لأدب العرب بالصورة المعاصرة، فهذه المصنفات كان هدفها الأساسي الإحصاء والوصف دون التعمق في الظاهرة الأدبية نفسها وتحليل مراحل تطورها، وقد كان هناك فصل حقيقي بين الأدب والتاريخ بالمعنى الظاهري والذي اقتصر على سرد الحوادث سنة بسنة، معتبرا الزمن حلقات منفصلة.

لكن العائق الأكبر الذي كان يمنع تطور العمل التأريخي لمجمل آداب العرب يعود بالدرجة الأولى إلى الشتات الذي حدث لهذا الكم الغزير من المنتج الأدبي والفكري للعرب بالإضافة إلى حالة الانقسام السياسي والاجتماعي إلى جانب الكوارث العامة التي ألمت ببلاد العرب مما سبب ضياع الكثير من هذا المنتج، وأما البقية الباقية فقد تناقلتها الأمم وطارت بها الأيادي حتى إلى ما وراء البحار، ورجع العقل العربي كيوم ولدته أمه، حتى عادت الروح شيئا فشيئا

إلى هذا التراث عندما بدأ الآخرون بالتنقيب فيه، جمعا وتحقيقا، وأصيب الجميع بالذهول من عرب وغير عرب من هول وجدية هذا التراث، الذي رغم كل ما تعرض له إلا أنه ظهر غزيرا وغنيا. وهذا ما جعل فكرة ترتيبه وإحصائه تعود من جديد فبدأت المحاولات تتكرر، حتى وصلت إلى وضع نسيج تاريخي لهذا الأدب وهو ما تمثل في عملية تأريخ حقيقي له، لم يعرفها قط من قبل، وبالتالي فإن تاريخ الأدب بالنسبة للعرب هو فن جديد أدخله المستشرقون إلى مجال الدراسات العربية منذ منتصف القرن التاسع عشر ميلادي، على يد مستشرقين كبورجستال وفون كريمر وآلورد وبروكلمان وانتهاء بسزكين.

**الفهرست: إبن النديم**

لعل خير نموذج عن فكرة التأريخ أو الفهرسة السابقة لعصرها تتمثل في عمل ابن النديم المبتكر "الفهرست" الذي ألفه نواحي 385 هـ/995 م، وهو أول كتاب بدائي في مصادر التراث العربي، ولكنه كان دليل باحث بامتياز، لما ورد فيه من معلومات ومادة خصبة عن مختلف التآليف، ولم يكن مجرد كتاب لتصنيف العلوم وتراجم العلماء.[1] فقد ضمّن ابن النديم كتابه هذا معلومات غزيرة وشبه دقيقة ووافية لكتب الدين والتاريخ والأدب والفلسفة وسواها، حيث قسم ابن النديم العلوم في كتابه "الفهرست" إلى عشرة فروع، مثلت محصلة الثقافة العربية الإسلامية حينذاك، والذي أحصى فيه حوالي 8360 كتاباً لـ 2238 مؤلفاً، منهم 22 امرأة و 65 مترجماً. وقد تم الاستدراك على النقائص الموجودة في كتاب الفهرست بعد وقت وجيز، حيث قام الوزير المغربي المتوفى سنة 418 هـ/ 1027م بإضافة معلومات جديدة استكمل بها عمل ابن النديم.

---

[1] سزكين، فوت، ***تاريخ التراث العربي***"، مجلد 1-ج 2، ص 290.

طُبع كتاب "الفهرست" لابن النديم أول مرة في مدينة ليبسك سنة 1872م تحت إشراف المستشرقين أوجست فيشر ورويديجر اللذين واصلا عمل المستشرق الألماني جوستاف فلوجل (Gustav Fluegul/1802–1870م)، صاحب الفضل الأول في تحقيق هذا السفر العربي النادر المثيل الذي قضى فيه فلوجيل أكثر من خمسة وعشرين عاما في تحقيقه وجمعه ما بين مكتبات فيينا وباريس وليدن، وقد اعتمد المستشرق ديوي على هذا الكتاب في إصداره التصنيف العشري سنة 1876م، وذلك بعد طباعة الفهرست بأربع سنوات. وتكررت طباعة الفهرست مرات ومرات كما تمت ترجمته لأول مرة إلى اللغة الإنجليزية.

## كشف الظنون: حاجي خلفية

بعد قرون طويلة ظهر في العالم الإسلامي نموذج آخر كان غاية في الابتكار والتجديد في التأريخ لتراث العرب وفهرسته وهو كتاب "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" لمؤلفه التركي الأصل مصطفى بن عبد الله القسطنطيني المعروف بالملا بكاتب جلبي، وأيضا بحاجي خليفة، وسبب هذين التسميتين أنه اشتغل كاتبا للدفاتر السلطانية للجيش العثماني لأكثر من أثني عشر عاما فلقب بكاتب جلبي، أما كلمة جلبي فهي تطلق غالبا على الرجل الملا الثري، أما شهرته بحاج خليفة فهو يعود لنيابته عن زعيم الجيش السلطاني فاعتبر خليفة له، وهي كلها ألقاب للتعظيم والتقدير.[1]

وقد بدأ حاجي خليفة تأليف كتابه في مدينة حلب بسوريا ما بين سنتي 1632م و1652م، حيث كان ينتقل بين الوارقين وخزانات الكتب فجمع مادة كثيرة وقد بيضه بخطه حتى مادة: الدروس–حرف الدال، ثم اجتمع من بعده ستة رجال فأتموا تبييضه، فشمل الكتاب أسماء 15000 كتاب، وأسماء نحو 9500 مُؤلِّف، وقد بلغ عدد علومه وفنونه حوالي 300 علم وفن.

[1] مقدمة كشف الظنون للعلامة المرعشي، دار احياء التراث العربي، بيروت.

ويمثل هذا العمل قياسا إلى زمنه والوضع الذي كان يعيشه العالم العربي تحديدا ثورة في مجال الإحصاء والترتيب، بل لقد كان ظهوره إلى الدنيا مفصلا تاريخيا وعلميا فيما يتعلق بحفظ التراث العربي في الذاكرة الإنسانية فكان بحق هو المشكاة التي كانت تنير إلى وقت قريب دروب العلماء والباحثين، خاصة من المستشرقين الذين كان لهم هذا الفهرس بمثابة خريطة يتحركون من خلالها للبحث في بلاد العالم عن غاياتهم وعن ما يفتقدونه في مخطوطات العرب.

حظي كشف الظنون منذ ظهوره وانتشاره باهتمام العلماء على مدى قرون متتالية لصدوره، فقام السيد الحسين العباسي النبهاني الحلبي باختصاره والزيادة عليه بعنوان "التذكار الجامع للآثار" 1684 م، ونسخته موجودة بتمامها في أحد جوامع اسطنبول.

كما وضعت عليه ذيول كثيرة، كان أولها ذيل محمد عزتي أفندي الشهير بـــ "بوشنه زاده" سنة 1681 م، وثانيها ذيل إبراهيم الرومي العربجي سنة 1775 م، وثالثها ذيل العلامة أحمد طاهر أفندي المعروف بـــ حنفي زاده المتوفى سنة 1802 م والذي ضمن ذيله 5000 كتاب، وقد ألحق المستشرق فلوجل هذا الذيل بالمجلد السادس من طبعته العربية لكتاب "كشف الظنون" التي أصدرها في ليبسيك مع ترجمة باللاتينية، ما بين سنة 1835 م وسنة 1858 م.

أما الذيل الرابع لهذا الكتاب فقد حرره شيخ الإسلام عارف حكمت بك المتوفى سنة 1858 م، صاحب المكتبة المشهورة في المدينة المنورة، وقد وصل فيه إلى حرف الجيم.

أما الذيل الخامس لكشف الظنون فقد أصدره العلامة إسماعيل باشا البغدادي المتوفى سنة 1920م، وسمى ذيله: "إيضاح المكنون في الذيل على طشف الظنون"، وقد ضمّنه 19000 كتاب، وهذا الذيل طبع في مجلدين مع كشف الظنون، وللبغدادي كتاب في تراجم المؤلفين هو: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، وهو في مجلدين وقد طبع مع كشف

الظنون أيضاً في طبعة جامعة إسطنبول سنة 1941م، ولم تتوقف مسيرة التذييل على كشف الظنون حيث ذيل عليه كلّ من إسماعيل صائب سنجر، وجميل العظم، ومحمد الصادق النيفر، ومحمد بن مصطفى البكري، وعلي خيري، ومحمد الخانجي البوسنوي، وذيله مخطوط في مكتبة الغازي خسرو بك في سراييفو عاصمة البوسنة والهرسك.

أما من حيث تحقيق هذا الكتاب التي استغرق عقودا طويلة من العمل فقد قام به المستشرق الألماني الكبير جوستاف فلوجل(Gustav Fluegul/1802–1870م)، الذي عمل في تحقيق النص العربي لأكثر من اثني عشر عاما، مع ترجمته إلى اللغة اللاتينية، وقد اعتمد في ذلك على عدد من المخطوطات ما بين باريس وفينا وبرلين، كما قام بالتأكد ومراجعة عناوين الكتب الواردة في الكشف عن طريق مراجع أخرى والفهارس الموضوعة حديثا للمخطوطات، وقد أصدر عمله هذا في ستة مجلدات تضمنت النص الأصلي مع ترجمة لاتينية له أسفل النص، أما المجلد السابع فقد كان عبارة عن فهرس شامل لجميع أسماء المؤلفين وعناوين الكتب المذكورة في الكتاب ككل، وقد أضاف فلوجل إلى هذا العمل شرحا وافيا لطريقة عمله واختلاف النسخ، إلى جانب بعض التعليقات والتصحيحات. ولم يكتفي فلوجل بهذا فقط، فقد نشر مع الكتاب ملحقا يتضمن، فهارس لعدد من المكتبات في العالم، منها ستة وعشرون مكتبة باسطنبول، ودمشق والقاهرة وحلب ورودس والتي تحتوي على ما يزيد على 24 ألف عنوان لمخطوطات عربية وقد ذكرها دون توصيف، وقد تم طبع هذا العمل في لندن سنة 1835م على حساب لجنة الترجمة الشرقية (Oriental Translation Committee).[1]

## العصر الحديث:

[1] بدوي، عبد الرحمن، المستشرقون، ص 413.

كانت أول فهرسة جامعة للمخطوطات العربية وما يكملها من غيرها من المخطوطات، قد بدأت مع مجيء الخليفة العثماني عبد الحميد الثاني سنة 1876م، حيث أصدر أمراً سلطانياً بفهرسة المخطوطات الوقفية في مكتبات السلطنة العثمانية على امتداد رقعتها وما حوت مكتبات مساجدها، وقد طبقت التعليمات السلطانية في إسطنبول، وكتبت فهارس لأكثر من مئة مكتبة تراثية، ومازالت نسخ كثيرة محفوظة من تلك الفهارس التي اعتمدت تثبيت أرقام المخطوطات، وأسماءها، وأسماء المؤلفين، وملاحظات حول وفيات المؤلفين، وتاريخ النسخ.

وقد استفاد من تلك الفهارس جميع الذين كتبوا عن المخطوطات العربية الإسلامية، وأماكن وجودها وأرقامها، وبعدما جُمِعت محتويات أكثر من مئة مكتبة في المكتبة السليمانية في إسطنبول تمَّ اعتماد تلك الفهارس للفرز بين محتويات مكتبة وأخرى، وقد استفاد كارل بروكلمان من تلك الفهارس، ولكن محتويات تلك الفهارس قد تعرضت للتلف والسرقة حينما وقعت إسطنبول تحت الاحتلال الأوروبي في أواخر الحرب العالمية الأولى، وتلت ذلك مرحلة إلغاء الخلافة الإسلامية العثمانية وقيام النظام الجمهوري الأتاتوركي الذي ألغى استعمال الحروف العربية سنة 1928م مما سبب نكسة عامة على الجهود التي تمت حول المخطوطات والتراث الإسلامي بشكل عام.

وهكذا نجد أن التأريخ للتراث العربي عموما قد عرف محاولات عدة، إحصاءا وفهرسة وآخرها كانت عملية الجمع التي بدأت رحلتها في أوروبا على يد المستشرقين وحملات الاستعمار، لتأتي محاولة بروكلمان الأوسع والأدق كتتويج لجهود الكثير من العلماء العرب والغربيين على حد سواء رغم أنها اتسمت في أغلبها بالتواضع وقلة الإمكانيات نظرا لقلة المصادر ونقص المادة العلمية قياسا على ما تحقق لبروكلمان بعد أن تم جمع الكثير من المخطوطات وترتيبها وحتى فهرستها، خاصة ضمن مكتبات الغرب التي كان لها اهتمام كبير

بشأن المخطوطات العربية جمعا وحتى تحقيقا، فبروكلمان نفسه بدأ حياته العلمية محققا ودارسا للتراث الشرقي العبري منه والعربي وهذا ما مكنه لا حقا من جمع مادة علمية غنية جدا جعلته يفكر بجد في عملية فهرسة وتأريخ لهذه المادة العربية ككل.

أما في يتعلق بالجهود السابقة عن بروكلمان لوضع تاريخ مفصل عن الأدب العربي، فهي لا تعدو أن تكون مقتصرة على باب معين في هذا الأدب كالشعر العربي الذي استحوذ على اهتمام الدارسين الغربيين بعد أن توفرت الكثير من المخطوطات الشعرية العربية، فسارع المستشرقون إلى تحقيقها ونشرها، مع محاولة ترجمتها، وهو جهد عظيم تفردت به المدرسة الألمانية، حيث نجد أن الكثير من أشعار العرب خاصة المعلقات قد ترجمت مرات ومرات إلى اللغة الألمانية كما رأينا في أهم الأعمال الاستشراقية الألمانية حول الأدب العربي التي عرضناها في الفصول السابقة.

وبعد أن ظهرت هذه الترجمات والطبعات لدواوين العرب بدأ التحقيق الفعلي حولها ومن ثمة بدأت الدراسات النقدية التي أسفرت عن أعمال كبرى لمشاهير المستشرقين حول الشعر العربي ككل من حيث الأصالة أو الانتحال. إلى جانب هذا الاشتغال العلمي الكبير بأهم أبواب الأدب العربي، عمل بعض المستشرقين الألمان على وضع تصور تاريخي لمادة الأدب العربي مع التركيز على الشعر طبعا، فكان بورجشتال أول من وضع محاولة لعرض التراث العربي ليس في الأدب فقط ولكن في الفكر والعلوم أيضا وهذا نتيجة الكم المتوافر من المخطوطات العربية التي بدأت تضاف يوما بعد يوم في المكتبات الغربية مع الاهتمام بفهرستها طبعا مما مكن العلماء الغربيين آنذاك من الاطلاع بشكل دوري على جديد أدب العرب القديم.

**بورجستال وآلورد:**

كان فون هامر بورجشتال (J.Hammer Purgstall) كما أشرنا سابقا في فصل الفيلولوجيون الألمان هو أول من حاول أن يعرض تراث العرب الأدبي في الشعر وبقية الفنون منذ بدايته حتى القرن 12 هجري، فألف كتابه الكبير "تاريخ التراث العربي"[1] في سبع مجلدات نشر في فينا بين عامي 1850-1856م. وقد فصل بورجشتال الحديث عن الشعر العربي والشعراء، فكان أول كتاب صدر حديثا من نوعه عن صورة الشعر العربي القديم بشكل عام وعن أغلب الشعراء العرب، وقد استفاد بورجشتال بالدرجة الأولى من الكتب التي توفرت آنذاك والتي ترجم بعضها مثل كتب المفضليات والأصمعيات والعقد الفريد، وديوان الحماسة للبحتري وليتيمة الدهر للثعالبي. لكن رغم كل هذا الجهد الواضح إلا أن بروجشتال تعرض لنقد حاد، لأنه لم تكن لديه المادة الكافية لمثل هذا العرض الجسيم والضخم كما أنه لم يكن له دراية كافية باللغة العربية مما جعل دراسته أو رؤيته العلمية للعمل كلها ناقصة أو مشوهة، وأيا كان الرأي العلمي حول بورجشتال إلا أنه يبقى صاحب الفضل في وضع أول كتاب من نوعه عن تاريخ التراث العربي ككل، حيث استطاع أن يجمع أسماء الآلاف من العلماء المسلمين مع نبذة عن حياتهم. وكان أحياناً يترجم شئيا من كتبهم في شتى العلوم الأدبية والعقلية والطبيعية .[2]

بعد أن أنهى بورجشتال عمله هذا نهاية 1856م قام العالم الألماني الكبير فيلهم آلورد بإصدار أحد أهم الأعمال الضخمة حول تراث العرب الأدبي تمثل في وضع فهرس في عشر مجلدات عن الإرث الأدبي العربي ككل بعنوان "فهرس المخطوطات العربية بالمكتبة الملكية في

---

1 J. von Hammer-Purgstall, *Literaturgeschichte der Araber*, Vienna, 1850-56, 7 vols.

[2] سزكين، فوت، "تاريخ التراث العربي"، ج 1، ص 5.

برلين"[1]، عمل فيه ما بين سنتي 1887–1899، فكان أول عمل علمي واسع المدى حاول مؤلفه أن يصنف مواده تصنيفاً تاريخياً دقيقاً، كما أنه كان أول عرض منهجي لتاريخ التراث العربي، وإن كان الجزء الأكبر منه مخصصا للشعر العربي. وقد كان عمل آلورد هذا، الملهم والمعين الأكبر لبروكلمان، حيث اعتمد عليه كثيرا في وضع خطة أفضل لعمله متجاوزا بذلك كل النقائص التي عرفتها الأعمال السابقة عنه.

وقد ظهر في العصر الحديث كثير من الأعمال الكبرى التي اهتمت بمجال الفهرسة والترتيب لأعلام الفكر والأدب والثقافة العربية عبر العصور مكملة بذلك عمل القدامى ممن اهتموا بتاريخ الرجال والمؤلفات وهي كلها محاولات قيمة وجبارة لرصد تراث العرب والمسلمين.

فإلى جانب أعمال بورجستال وآلورد وبروكلمان ظهر عمل المستشرق الهولندي الكبير فانديك إدوارد وهو لبناني المولد وأمريكي النشأة من أهم وأشهر أعماله كتاب "إكتفاء القنوع بما هو مطبوع" الذي وضعه مؤلفه بالعربية كما هو واضح من العنوان والذي طبع بمطبعة الهلال بالقاهرة سنة 1896م وهو فهرس الكتب قديمها وحديثها والتي صدرت عن مطابع غربية وشرقية في 680 صفحة وقد أشرف على تصحيحه وتنقيحه العالم السيد محمد على الببلاوي نقيب الأشراف المصرى المتوفى سنة 1927م. كما قام الباحث العربي المعاصر المسيحي يوسف إليان سركيس بوضع معجم للمؤلفات العربية تحت عنوان "معجم المطبوعات العربية والمعربة" الذي طبعه بالقاهرة سنة 1927م. أيضا هناك عمل كبير لا يزال إلى يومنا هذا مرجعا أساسيا ومهما وهو للعالم السوري الكبير عمر رضا كحالة بعنوان "معجم المؤلفين في تراجم مصنفي الكتب العربية" المطبوع في 15 مجلدا بدمشق سنة 1958م.

---

[1] W. Ahlwardt, *Verzeichnis der arabischen Handschriften der Koniglichen Bibliothek Bd. I–X, zu Berlin*, 10 vols, Berlin: L. Schade, 1887–1899.

ورغم كل المحاولات المتواضعة لوضع بناء شبكة معلوماتية عامة عن الأدب العربي ككل، إلا أن عمل بروكلمان سيبقى رائدا في هذا المجال لأنه حتى العصر الحديث لم يكن لدينا عمل دقيق ومبوب وغني مثل الذي سبق إليه بروكلمان، من حيث وضع شبه موسوعة أو دائرة معارف عن الأدب العربي منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث والتي أفاضت في الحديث ليس فقط عن الأدب العربي ولكن عن أغلب فنون الكتابة عند العرب وعلمائهم بشتى مشاربهم واختصاصاتهم وإن اقتصرت على استقصاء أثارهم المطبوعة والمخطوطة منها ذكرا وإحصاءا وهو جهد لا نظير له[1].

[1] شوقي، ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 2003، ط 24، ص 5.

# الفصل الرابع

## التصور المنهجي لكتاب "تاريخ الأدب العربي"

**مقدمة:**

لقد استطاع التأريخ للأدب عامة في العصر الحديث أن يقدم للدراسات الأدبية الكثير من المفاتيح التي ساعدت على إيضاح حقائق طالما سعى علماء الأدبيات إلى كشفها، من خلال محاولة إخضاع هذا التأريخ إلى نفس منهج العلوم الإنسانية الأخرى للكشف عن القوانين التي تتحكم في نشأة الظواهر الأدبية ومساراتها العامة من تطور إلى جمود، ومن إبداع إلى تقليد وهذا حتى يتمكن العالم الأديب من رصد أي ظاهرة أدبية عبر مسار تاريخي وسياق اجتماعي عام يستطيع عالم الأدب أن يحدد من خلاله العوامل المؤثرة في هذه الظاهرة الأدبية أو تلك.

ورغم أن تاريخ الأدب حقق الكثير من هذه الأهداف التي وجد من أجلها إلا أن هناك بعض الاتجاهات لرفض مثل هذا العلم أو على الأقل الطعن في بعض قواعده النظرية وأسسه التطبيقية، خاصة وأن هذا المجال (أي الأدب) يخضع بشكل كبير إلى الذوقية والذاتية التي لا مفر منها. أيضا من بين الأسباب التي يلح عليها الرافضون لتأريخ الأدب هو اعتبار النص الأدبي وثيقة أزلية، أي أنها حاضرة دائما ومتزامنة وتاريخها غير منتهي.

ولكن بعيدا عن هذه الجدلية المؤيدة أو الرافضة، فإن تأريخ الأدب هو ليس عملية فنية أو نقدية للنصوص الأدبية فهذا عمل الناقد بالدرجة الأولى، ولكن هذا التأريخ للأدب هو إعادة تركيب له أو تقديمه في صورة مغايرة متجددة، بما يمكن عالم الأدب من تعمق آخر في النص الأدبي نفسه ولكن بروح جديدة ربما.

إن فكرة وضع تاريخ للأدب هي ليست بالصورة البسيطة التي قد يتخيلها قارئ أو باحث، ذلك أنها قد تجعلك تسلك طريقا آخرا غير الذي رسمته لنفسك كمؤرخ للأدب، حيث تجد نفسك أحيانا خرجت من طور المؤرخ إلى طور الناقد الذي يحلل ويبرز العيوب أو المحاسن، أو يتحول العمل إلى دراسة أدبية قائمة على تحليل النصوص وتحديد خصائصها الفنية وهذا ما يجعل هذا النوع من الأعمال غاية في الصعوبة والشمولية وأحيانا التشتت. كما أن مجرد الاكتفاء بتسجيل واستعراض وإحصاء الأدباء وتراجمهم والمؤلفات يجعل من العمل كله مجرد فهرسة أو أشبه بدليل بيبليوغرافي، من هنا نجد أن القيام بهذه المهمة هو من أعقد ما يكون، حيث أن كتابة تاريخ لأدب أي أمة يستلزم مادة كاملة ومستوعبة من هذا المؤرخ إلى جانب خطة محكمة، حتى يستطيع أن يقدم رؤية تاريخية مقنعة لهذا الأدب، دون أن يثقل نفسه والمتلقين بأكوام وجبال من الآراء أو الرؤى التي قد يعيق بها الباحث من بعده.

ولعل هذه الصعوبات أو الازدواجية في المعالجة التاريخية لأدب غني كأدب العرب هي التي جعلت بروكلمان يحاول التوفيق بين منهجين في التأريخ لهذا الأدب، والذي توفرت له فيه مادة غنية ومكثفة يصعب معها منهج التحليل والدراسة، كما أنه أنف أن يكتفي بالإحصاء والعرض حتى لا يكون عمله مجرد فهرسة أو ترتيب، ولم يشأ من الناحية الأخرى الاتجاه إلى التعمق والتحليل والتفصيل بما يجعله في معزل عن عرض تلك المعلومات الوافرة التي تهيأت له، كما أن الجمع بينهما أمر يجعل من العمل موسوعة لا قبل له بها، ولهذا ربما وجد من الأيسر التركيز على أحدهما بشكل يخدم الآخر أكثر مما يعيقه، من هنا عمل بروكلمان على خط الإحصاء والعرض مع شيء من الدراسة والتحليل أينما اقتضت الحاجة الأدبية لذلك خاصة من خلال التقديم لكل باب أو فن أو ظاهرة أو عمل حاسم بعينه في هذا الأدب ككل.

## المبحث الأول: التصور التاريخي العام

لقد ذكرنا في خطة البحث المبدئية أن الهدف الأساسي من هذه الدراسة عامة هو محاولة لإعادة تكوين تصور علمي ومنهجي عن كرونولوجيا الأدب العربي منذ بداياته التاريخية وحتى عصرنا الحالي ضمن تصنيف أدبي تاريخي أكثر دقة وشمولا، وهذا من خلال دراسة وتقييم أحد أهم الأعمال المسحية التي عرفها الأدب العربي في تاريخه على يد العالم الألماني كارل بروكلمان والتي لا شك أنها خرجت عن إطار الفهرسة البحتة أو الجمع التسلسلي البياني، فهي ما تزال تمثل عملا منهجيا غير مسبوق من حيث الترتيب والتصنيف وأيضا من حيث المعالجة العلمية لأهم موضوعات التراث العربي الإسلامي ككل وليس فقط الأدب العربي الذي مثل عمود هذا العمل الجاد الذي قام به كارل بروكلمان بوصفه واحدا من أهم علماء اللغة والفيلولوجيا في العصر الحديث.

إن أهم ما يمكن أن نميز به عمل بروكلمان عن سائر الدراسات الضخمة التي تمت عموما عن الأدب العربي أنه يقدم حزمة معلوماتية دقيقة ووافية عن كل الأعمال الأدبية التي عرفتها العصور العربية دون إطناب أو شرح معمق أو تعليل مطول ممل، خاصة بالنسبة للباحث الذي يسعى إلى رسم صورة نمطية عن الأدب العربي ككل أو الوصول إلى مقاربة أدبية لكل أبواب الأدب العربي.

إذا أردنا أن نوجز القول في تحديد هوية عمل بروكلمان ككل فإننا يمكن اعتباره عملا إحصائيا من الدرجة الأولى بما يساعد أي باحث حصيف على استيعاب مادة الأدب العربي ككل وهذا لن يمكن تحقيقه إلا من خلال عمل بروكلمان الذي استطاع أن يجمع إلى حد كبير بين التأريخ الصرف لمادة الأدب والتصنيف لها بتوفيق نادر إلى جانب المداخلات الفنية النقدية التي طعم بها عمله الضخم ككل.

فمنذ البداية حرص بروكلمان على أن يقدم للقارئ والباحث صورة عامة عن طبيعة الأدب العربي عبر كل مرحلة زمنية مركزا بذلك على رموز ومعالم كل مرحلة دون التفصيل في مقام يقتضي الإيجاز، خاصة أمام باحث لا تزال رحلته طويلة في ثنايا هذا الأدب، ولهذا لم يكن من المناسب أمام عمل تاريخي كهذا الوقوف على نواحي تفصيلية نقدية بما يجعل العمل مكتنزا ومحشوا في نقاط معنية بينما نجده عجفا وهزيلا في نقاط أخرى، كما أنه يقود إلى حالة من الضخامة والترف التي تجعلنا أمام مادة تاريخية مهولة لا حدود لها ولا قبل للمؤلف والقارئ معا باستيعابها.

فهناك مواضع في هذا الأدب غنية جدا بموادها وبمدى إدراك الباحث والقارئ لها ولا تحتاج من المؤرخ سوى عرض بسيط ودقيق في نفس الوقت مع التركيز على أصالة المادة العلمية المعروضة خاصة من حيث المصادر وتحقيقها وتنويعها ما أمكن.

فالأدب العربي القديم قد قيل وكتب حوله الكثير ولكن الحاجة إلى ضبطه وتيسير عرضه هي التي كانت مهمة صعبة وشاقة وكانت في حاجة إلى عالم موسوعي لغوي كبروكلمان الذي كان له إدراك عميق بمراحل هذا الأدب حتى عصره هو وضمن امتداد جغرافي كبير يشمل البلاد العربية القديمة ويصل إلى حاضرها الذي توغلت فيه الآلة الاستعمارية مع الرؤية

الغربية التي اكتسحت هذا الأدب وهذا في الحقيقة لا يوجد من هو أقدر من بروكلمان على تصوره.

لقد حرص بروكلمان منذ الفصول الأولى لعمله على تقديم رؤية تاريخية ونقدية واعية ودقيقة لكل باب أو فن لمرحلة زمنية مع التركيز على شخصياتها العلمية الباقية بأعمالها دون الكلام على افتراضات أو أعمال منقرضة أو مؤلفات مفقودة، لأن هذا يجعل العمل كله أو بعضه عملا غير واقعي وحتى غير عملي، فالباحث المعاصر لا يعنيه ذكر أشياء لم يعد بوسعه أدراكها أو التعامل معها وهذا شيء غاية في الأهمية والخطورة. فنحن مثلا نجد في كتب التاريخ القديمة شخصيات أدبية وعلمية وأعمال ومؤلفات لم تعد فعليا بين أيدينا كالأعمال الكثيرة التي ذكرها ابن النديم في عمله الفهرست والتي لا تقدم أو تؤخر كثيرا في عمل الباحث إلا بما تعينه على تصور تاريخي معين ولكنها لا تفيد أو تغير شيئا في معطيات البحث العلمي والتي لها مجالاتها الأخرى في العرض، من هنا وجدنا كيف استثنى بروكلمان من عرضه في هذا الكتاب لأي مادة من هذا النوع، حيث اقتصر في كتابه على ما هو موجود وباق وملموس عمليا وإن كان لا يزال طي المخطوطات لم يدرس بعد ولم يطبع.

لقد جعل بركلمان عرضه الأدبي يقوم في غالبه على الدليل المادي الموجود من مصادر قديمة أو حديثة أو بما ترسخ في ذهن العام والخاص حول قضية أدبية ما أو شخصية علمية مهما كثر الجدل حولها، مركزا بذلك على أدق الأقوال وأقربها إلى المنطق اللغوي والتاريخي أيضا، متجنبا الكثير من الحشو أو الإتيان بكل قول أو معلومة وردت في عموم المادة المعروضة بما لا يتسنى له معها ذكر مراجعها ومصادرها، حيث نجد أن بروكلمان حريص على ذكر مصادر ومراجع كل معلومة يذكرها في عمله دون الدخول في تفاصيل يصعب معها تحديد هويتها العلمية ومصادرها.

وهذه واحدة من الميزات الأساسية لعمل بروكلمان قياسا على غيرها من الأعمـــال الضـــخمة التي عادة ما نجد فيها مواد كثيرة لا أصل لها أو تفتقر إلى المرجعية القريبة أو البعيدة وهـــو ما حرص بروكلمان بشدة على تلافيه في عمله هذا، حيث اكتفى بالمواد الثابتة المتواترة وإن ورد فيها مرجع أو مصدر واحد، وهو ما يجعل عمله رغم الأخطاء الواردة فيه عملا غايـــة في الدقة والموثوقية وحتى الإيجاز. فنحن لا نكاد نجد مادة أو حيثية مـــن هـــذا الأدب ومـــن تاريخه الطويل من غير مرجع أو مصدر لها.

طبعا الكتاب كله غني بالشواهد على أصالة وجدية البحث العلمي فيه، والتي لم يعمل فيها قلم المؤرخ العادي الذي عادة ما يكتفي بالنقل والحشو والتطويل ولكننا نجد تاريخ الأدب هنا قـــد خضع إلى منهجية علمية صارمة ودقيقة إلى أبعد الحدود، والتي عرض المؤلف من خلالهـــا إلى أغلب جوانب هذا الأدب وشخصياته بشكل موثوق ومحقق بما يقدم للباحث صورة صادقة وحقيقة خالية من الأوهام أو الزيف أو المعطيات التي تفتقر إلى الجانب المادي الملموس كمـــا هي الكثير من صور تراث العرب والمسلمين التي تحتاج إلى تفحص وتدقيق أكثر مما هـــي عليه الآن، خاصة وأن هذا التراث قد عانى من تراكمات وإضـــافات لا مبـــرر لهـــا حيـــث استمرت الأجيال تتناقلها لقرون وكأنها مسلمات تاريخية وعلمية وهي في أغلبها تفتقـــر إلـــى التحقيق العلمي والتدقيق التاريخي. ولعل عمل بروكلمان هذا قد يكون بدايـــة حقيقـــة لوضـــع تاريخ موثوق ودقيق للأدب العربي بعيدا عن كثير من المغالطات والتراكمات التي ألمت به.

ورغم أن بروكلمان وضع عمله هذا في دائرة التأريخ الأدبي إلا أنه حدد رؤية علمية نقديـــة خاصة به جعلته يضبط أبوابه وأقسامه ومراحله الزمنية والمكانية بشكل مغاير ومختلف عمن سبقوه قليلا وعمن جاؤوا بعده كثيرا، حيث نرى الاختلاف الواضح بين كتاب بروكلمان وكتب تاريخ الأدب العربي التي وضعت بعد بروكلمان.

# نماذج أدبية لطريقة بروكلمان:

## المعلقات والشعراء الجاهليين:

نلاحظ أن أغلب كتب الأدب العربي وهي تتحدث عن الشعر الجاهلي تبدأ بالحديث عن أصحاب المعلقات عموما، فهناك من يسميها المعلقات السبع أو المعلقات العشر، حيث أن المؤرخين لا يزالون متمسكين أو متوقفين عند هذا الرقم أو ذاك، إلى جانب طبعا الإصرار على استخدام كلمة المعلقة، والتي دار حولها نقاش طويل وكبير سواء من المتقدمين أو المحدثين، وإن كان الميل الواضح لدى الكثير ممن تعرضوا إلى قضية "تسيمة المعلقات" بالطعن في كونها "علقت مذهبة على جدار الكعبة" كما ذهب إلى ذلك لفيف من العلماء القدامى كالسيوطي وابن خلدون وابن رشيق، ولكن هناك أيضا من رفض هذه التسمية مطلقا واعتبرها غير معقولة أو مقبولة لكون أمة العرب لم تألف الكتابة بما يجعلها تسجل شعرها وتكتبه، كما أن الكعبة كانت أجل من أن تعلق فيها قصائد شعرية رغم كل أهمية الشعر عند العرب، وقد مثل هذا الاتجاه قديما أبو جعفر النحاس الذي ذكر "أن حماداً هو الذي جمع السبع الطوال، ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة"، كما أن دعوى التعليق هذه لا نجد لها أي إشارات جاهلية أو حتى بعد الإسلام وانتشار ظاهرة التأريخ، كما أن ظاهرة التعليق لم ترد على لسان أي شخصية شعرية أو أدبية قديمة ولو على سبيل التباهي.[1]

لكن أقوى الوقفات اللغوية والتخريجات التاريخية لهذه المسألة هي تلك التي قدمها الفيلولوجي الألماني ثيودور نولدكه في معرض بحثه عن الشعر العربي القديم، حيث تطرق لقضية تسمية المعلقات في الفصل الأول من كتابه "من تاريخ ونقد الشعر العربي القديم"، فقد اعتبر نولدكه

---

[1] الأنباري، أبو بكر محمد، ***المعلقات السبع***، إعداد ومراجعة عبد العزيز جمعة، مؤسسة البابطين، الكويت، 1003. ص 8.

أن تناقل هذه التسمية من كتاب إلى كتاب حتى بلغت حد التواتر لا يمنعنا من إجلاء الحقيقة مع الأيام، فالشواهد التاريخية كما يقول نولدكه ردئية جدا، خاصة وأن المؤرخين قد أهملوا ذكر هذه القضية المهمة وهم الذين اعتادوا على ذكر كل تفصيلة أو وشاردة وواردة في تآليفهم، فكيف يعقل أن يغفلوا ذكر هذا الشأن اللغوي الكبير المرتبط بمكان عظيم كمكة التي كتب عنها القدامى الكثير من الكتب، خاصة ضمن المصادر الأساسية للتاريخ العربي، كما أن الإسلام (أو النبي محمد كما يقول) كان لا بد أن يكون له رأي في قصائد علقت على أكبر حرم مقدس منذ ذلك الوقت حتى الآن، فمسألة تفضيل واختيار قصائد بعينها تبدو مسألة صعبة ودقيقة تعود إلى ذوق وميل الناقل لها، وليس من المتصور أن يتقبل العرب مثل هذه الأحكام الشعرية في منطقة تعج بالشعراء المجودين، كما لا يمكن أن تتحيز مكة لقبائل عن غيرها، وهي التي كانت أرض مفتوحة على الجميع. وقد مال نولدكه إلى الرأي القائل "بأن التفسير المقبول للمعلقة بأنها تعني أنها لنفاستها رفعت إلى مكانة الشرف".[1]

وعليه فإن الجميع يكاد يتفق على أسطورية هذا المعنى كما ذهب إليه نولدكه ووافقه في ذلك المؤرخ شوقي ضيف الذي ذكر بأن "ما يقال من أن المعلقات كانت مكتوبة ومعلقة في الكعبة فمن باب الأساطير، وهو في حقيقته ليس أكثر من تفسير فسر به المتأخرون معنى كلمة المعلقات..... ولو أنهم تنبهوا إلى المعنى المراد بكلمة المعلقات ما لجأوا إلى هذا الخيال البعيد، ومعناها المقلدات والمسمطات، وكانوا يسمون فعلا قصائدهم الطويلة الجيدة بهذين الاسمين وما يشبههما".[2]

---

[1] بدوي، عبد الرحمن، ***دراسة المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي***، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1، 1979، ص 38.

[2] ضيف، شوقي، ***تاريخ الأدب العربي***، ج 1، ص 140.

وقد أنهى نولدكه مقاله هذا عن سر المعلقات والشعر العربي عامة بكلام رائع ومتدفق ومنصف قل له مثيل في الأبحاث العربية التي عالجت هذه المسائل، يقول نولدكه:"... *وعن هذه التسمية نشأت الأسطورة كلها، فتسمية القصائد في المقام الأول (معلقات) أولى من تسميتها بإسم آخر.... وهكذا نرى أن إسما واحدا قد أنتج أسطورة كاملة ..... ومهما تكن من شدة التغييرات والتحريفات التي أصابت نصوص القصائد القديمة، ومهما تعرضت له روايتها من اضطراب، فإنه تفوح من هذه الشذرات روح منعشة تدل أن قوة الشعر العربي البدوي وجماله لم يضيعا..... وهذه القصائد ليست شعرا يسعى لتقديم صورة فوق حسية، ويؤدي إلينا أساطير متفوقة أو دائرة غنية من الأفكار المعبر عنها بالشعر، وإنما هي شعر جعل مهمته الرئيسية هي وصف الحياة والطبيعة كما هما في الواقع، مع قليل من التخيلات، بيد أنه في نطاق حدوده عظيم وجميل، وتسري فيه روح الرجولة والقوة، روح تهزنا هزا مزدوجا إذا ما قارناه بروح العبودية والاستجداء التي نجدها في آداب كثير من الشعوب الآسيوية الأخرى،*

*وكما يقول الشاعر العربي:*

*سأغسل عني العار بالسيف جالبا علي قضاء الله ما كان جالبا*

*بهذه الكلمات يمضي العربي الحر إلى ساحة القتال ولقاء الموت، هذه الروح الرجولية التي تتجلي في قصائد الأعراب القدماء ساكني الصحراء، يمكن أيضا أن تكون قدوة نحتذي بها*".[1]

أما المؤرخ بروكلمان فإنه لم يأتي على ذكر كلمة المعلقة مطلقا في معرض الحديث عن بدايات الشعر الجاهلي وشعرائه المعروفين، وكأنه استقر في ذهنه رأي أستاذه نولدكه الذي يرى عدم أصالة هذا اللفظ أو وجوده التاريخي بالمعنى المعروف عن كونها دلالة لقصائد

---

[1] نفس المرجع، ص 40.

عربية قد علقت في جوف الكعبة أو كتبت بماء الذهب لشهرتها وقيمتها الأدبية، يقول بروكلمان:" أَقْدَم مَا بَقِيَ مِنْ مَجْمُوعَات اَلْقَصَائِد الكَامِلَة هُوَ اَلِاخْتِيَارَات اَلَّتِي جَمَعَهَا حَمَّاد اَلرِّوَايَة وَسَمَّاهَا عَلَى غِرَار عَنَاوِين اَلْكُتُب اَلْأُخْرَى السموط أَوْ اَلِاسْم اَلْآخَر اَلْمَأْلُوف وَهُوَ اَلْمُعَلَّقَات وَأَرَادَ حَمَّاد مِنْ هَاتَيْنِ اَلتَّسْمِيَتَيْنِ اَلدَّلَالَة عَلَى نَفَاسَة مَا اِخْتَارَهُ وَالِافْتِخَار بِخَالِص اِخْتِيَاره وَزَعَمَ اَلْمُتَأَخِّرُونَ أَنَّهَا سُمِّيَتْ مُعَلَّقَات لِأَنَّهَا كَانَتْ مُعَلَّقَة عَلَى اَلْكَعْبَة لِعُلُوّ قِيمَتهَا وَلَكِنَّ هَذَا اَلتَّعْلِيل إِنَّمَا نَشَأَ مِنْ اَلتَّفْسِير اَلظَّاهِر لِلتَّسْمِيَةِ وَلَيْسَ سَبَبًا لَهَا كَمَا هُوَ رَأَى نُولْدِكَه، وَالْحَقّ أَنَّ هَذِهِ اَلْمَجْمُوعَة اِخْتِيَار حَمَّاد اَلرِّوَايَة كَمَا سَلَفَ".[1]

ولهذا نجد أن بروكلمان قد تلافى نسبة المعلقات إلى الشعراء الجاهليين المشاهير الذين ارتبطت أسمائهم في ذاكرتنا بالمعلقات، فبدأ بروكلمان حديثه عن الشعراء الجاهلين في الفصل السابع من الكتاب الأول بالشعراء الستة وليس السبعة أو العشرة كما هي مذكورة في أغلب المؤلفات التاريخية، حيث اقتصر بروكلمان هنا على ستة شعراء بعينهم، إستهلهم بالنابغة الذبياني ثم عنترة ثم طرفة بن العبد ثم زهير بن أبي سلمى ثم علقمة بن عبدة الفحل التميمي ثم جعل آخرهم إمرؤ القيس. رغم أنه ذكر في معرض حديثه عن مصادر الشعر الجاهلي أن الروايات لم تتفق على قصائد المعلقات، فأشار إلى "أن القصائد المتفق عليها من الجميع خمس، هي معلقات: امرئ القيس، وطرفة، وزهير، ولبيد وعمرو بن كلثوم. والمعلقتان السادسة والسابعة عما قصيدتا عنترة والحارث بن حلزة في أكثر الروايات، ولكن المفضل وضع مكانهما قصيدتي النابغة والأعشى، وهؤلاء الشعراء جميعا هم أشهر شعراء الجاهلية كذلك، ما عدا الحارث بن حلزة".[2]

---

[1] بروكلمان، ج 1، ص 67.

[2] بروكلمان، ج 1، ص 67.

ولكن بروكلمان عاد واختار ستة شعراء أساسيين رتبهم على غير ما اتفق عليه الرواة استهلهم كما ذكرنا بالنابغة الذبياني وجعل لبيد والأعشى شاعرين مخضرمين مستقلين، أما عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة فقد ذكرهما ضمن باب "شعراء آخرون".

وقد أيده في هذه المسار أو التوجه التاريخي المؤرخ القدير فوت سزكين في كتابه "تاريخ التراث العربي"، حيث اختار نفس العنوان لبابه الشعراء الستة، وربما يكون في هذا التوافق بين المؤرخين الإثنين بروكلمان وسزكين ما يدل على صحة هذا الرقم وثبوته عند جميع المؤرخين، كما أن هؤلاء الشعراء الستة قد توافقت عليهم جميع المصادر الأساسية، أما ما عداهم من باقي الشعراء فقد وقع الخلاف عليهم وعلى شعرهم كالحارث بن حلزة أو عمرو بن كلثوم. فقد ذكر سزكين أن الروايات القديمة قد جعلت هؤلاء الشعراء الستة ضمن مجموعة واحدة، حيث أن دواوينهم قد صنعها الأصمعي، ونقلها عنه الكثيرون كالسجستاني وابن دريد.[1] يقول بروكلمان أن القدماء قد اختاروا ستة من شعراء الجاهلية وجعلوهم في المرتبة الأولى من التفوق والشهرة، ولعلهم فضلوهم على غيرهم لأنهم هم الذين أمكنهم أن يجمعوا لهم دواوين أطول وأكمل.[2]

أما المؤرخ شوقي ضيف فهو لم يضع هؤلاء الشعراء تحت أي مسمى حيث بدأ عرضه بوضع كل شاعر تحت فصل مستقل فذكر امرؤ القيس ثم النابغة الذبياني ثم الشاعر زهير بن أبي سلمى ثم الأعشى، أما الفصل الحادي عشر فقد جعله لطوائف من الشعراء صنفهم كالآتي: الفرسان، الصعاليك، وشعراء آخرون، وقد وضع عنترة ضمن الشعراء الفرسان بعد الشاعر عامر بن الطفيل فارس بني عامر.

---

[1] سزكين، ج 2، ص 3.

[2] بروكلمان، ج 1، ص 87.

وقد ذكر بروكلمان تحت كل شاعر من هؤلاء مصادر سيرته أولا ثم مصادر ديوانه وأشعاره الموجودة بشكل فعلي في مكتبات العالم وطبعاتها العديدة ثم يأتي أيضا على ذكر أهم الأعمال والدراسات التي تمت حول الشاعر وشعره قديما وحديثا خاصة تلك التي قام بها المستشرقون. وأمام هذا العرض نرى مدى التفاوت والزخم الذي امتاز به شاعر عن آخر فمثلا نجد أن إمرؤ القيس قد حفلت به المخطوطات والطبعات والدراسات الكثيرة التي جرت حوله بينما نجد النزر القليل حول هذا الشاعر أو ذاك.

ولعل بروكلمان بهذا الاختيار قد يكون حسم النقاش أو خرج عن دائرته كليا فاختار رقم ستة مثلا بما تأكد لديه من مادة علمية ثابتة عن هؤلاء الشعراء المشاهير إلى جانب تسلسلهم التاريخي المنطقي وبالتالي لم يشأ أن يؤرخ لهذه المرحلة الشعرية المهمة في أدبنا العربي إلا بما وصلنا عمليا وماديا من مخطوطات وما تأكد في رأي النقاد والباحثين منذ القديم وحتى العصر الحديث، وهو منهج سليم ودقيق من بروكلمان الذي كان هدفه بالدرجة الأولى وضع تاريخ جديد ومدروس ومتطور للأدب العربي.

أما باقي الشعراء فقد وضعهم بروكلمان في فصل جديد تحت عنوان "شعراء آخرون في الجاهلية" وهم شعراء في رأيه لم يرقوا إلى درجة كبيرة من الأصالة أو التأكد من هويتهم أو من شعرهم وإن عرفوا عندنا بكونهم أصحاب معلقات كعمرو بن كلثوم وعبيد بن الأبرص والحارث بن حلزة، حيث ضمهم جميعا إلى جانب الشعراء الفرسان أو الصعاليك كالشنفرى وتأبط شرا، ورغم ذلك فقد ذكر بروكلمان جميع مصادر شعر هؤلاء بما يعني أنه لم يأت على ذكر شاعر لم يصلنا من شعره شيئا ولو كان متفرقا. وإذا قارنا طريقة بروكلمان هذه بطريقة غيره من مؤلفي تاريخ الأدب العربي فإننا نجد أن عمله هذا أقوى منهجيا وعلميا لكونه يحفل بمصادر الدراسة نفسها.

## اليهود والنصارى في الأدب عربي:

خصص بروكلمان في الكتاب الأول من تاريخه (على غير عادة المؤرخين للآداب العربية قديما وحديثا) فصلا لشعراء يهود ونصارى في بلاد العرب قبل البعثة المحمدية أو ظهور الإسلام، استعرض فيه للمد اليهودي أو المسيحي في البلاد العربية مشيرا إلى وجود طوائف غير وثنية مهاجرة استعربت كيهود فلسطين، الذين استوطنوا في الجزيرة العربية ونواحيها، والذين عاشوا قرونا في ظل العروبة رغم وثنيتها، حتى أن بعض هذه الطوائف قبلت بتغلغل العرب فيها وإن لم يصل الأمر إلى درجة الاندماج الكامل، على الرغم من أن بعض الكتب قد روت بأن العرب كان لديهم شيء من الاحتقار والازدراء لطائفة كاليهود، مع أنهم كانوا يقدمون خدمات مهمة للعرب كالزراعة والصناعة والصياغة.[1]

طبعا الملاحظ في هذا الفصل الخاص أن بروكلمان لم يزد على ذكر شخصيتين أو ثلاث أشهرهم السموأل، الذي تؤكد بعض الروايات التاريخية على أنه كان من أصول يهودية، وإن اعتبره بعض الرواة عربيا محضا وهذا ربما من باب استبعاد أن يكون لليهود شخصية مرموقة كالسموأل عرفت بالوفاء وصون العهد كما فعل مع الشاعر امرؤ القيس عندما افتداه بإبنه، وهي قصة مشهورة في كتب الأدب والتاريخ رواها صاحب كتاب الأغاني عن الكلبي. وقد حظي هذا الشاعر على وجه الخصوص في العصر الحديث ببحوث وافرة من قبل المستشرقين كمرجليوت وجاير وديلتش، لكونه ربما يمثل حالة يهودية نادرة في التاريخ العربي، كما أن بعض المستشرقين لم يكونوا ليهملوا مثل هذه القضايا التي كانت تعنيهم بشكل خاص ضمن مسار البحث الاستشراقي في تراث العرب خاصة من الباحثين اليهود.

---

[1] بروكلمان، ج 1، ص 122.

ورغم قلة الشخصيات الشعرية التي ذكرها بروكلمان والتي لم تتعدى السموأل وآلـــه (شـــقيقه وابنه وحفيده) وعدي بن زيد العبادي، إلا أنه أفرد لهم فصلا مستقلا، ربما لأنه كـــان يعـــول كثيرا على البحث المستقبلي للحصول على مزيد من الأسماء والشعراء أو لأنه كـــان يعتقـــد جازما بوجود أكثر من هاتين الشخصيتين، وهو الأمر الذي تحقق مع المؤرخ سزكين الـــذي ذكر شخصيات أخرى عديدة وإن لم يفرد لها في كتابه فصلا كبروكلمان، بل لقد ذكرها ضمن التسلسل التاريخي والجغرافي لها كسائر الشخصيات العربية الأخرى دون التمييز الديني لهـــا أو تصنيفها ضمن شعراء يهود ونصارى كما فعل بروكلمان وفعل قبله المؤرخ اللبناني لويس شيخو الذي وضع عددا من التآليف حول الشعراء المسيحيين في بلاد العـــرب فـــي كتـــابين مستقلين:"شعراء النصرانية"(1890)، "مقالات في النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية" مجلة الشرق (1911).[1]

لا شك أن البلاد العربية القديمة قد عرفت ديانات أخرى وعاشرتها كمـــا أنهـــا تقبلـــت هـــذه الديانات ولم تكن تعترض عليها أو تتقبلها بسهولة على حد سواء رغم أن هذه البلاد عرفـــت نوعا تبشيريا من قبل بعض القساوسة ورجال الدين، إلا أن التاريخ القديم لم يحدد لنا موقـــف العربي القديم من هذه الديانات سلبا أو إيجابا ولكن المؤكد هو أن الحرية الدينية كانت متاحـــة للجميع طالما أنه لم هناك أحد يسعى إلى فرض عقيدته أو الانتقاص من ميـــول الآخـــرين أو طقوسهم، أو أن هذا الأمر لم يكن ليجرؤ عليه أصحاب ديانات سماوية كاليهود والنصـــارى، الذين عاشوا وسط هذه الأمة دون أن يمارسوا دعوة حقيقية إلى دياناتهم أو يحاولوا التقليل من الوثنية العربية، رغم أن بعضا من أبنائها كانوا يتحللون منها ويدعون إلى حنفية إبراهيمة كما

---

[1] بروكلمان، ج 1، ص 126.

عرف عن قس بن ساعدة الأيادي وورقة بن نوفل الذين كانوا يحظون باحترام كبير على الرغم من أنهم لم يكونوا على توافق مع تلك الوثنية السائدة.

طبعا هناك شعراء وشخصيات أدبية من يهود ونصارى أطلعنا عليها المؤرخ فوت سزكين بعد بروكلمان وإن لم تكن كثيرة إلا أنها تمثل إضافات مهمة للأدب العربي كما تمثل شيئا من الإنصاف التاريخي لهذه الطوائف التي كان من المنطق وجودها في تخوم البلاد العربية خاصة وأنها نابعة من بلاد قريبة أصبحت فيما بعد تمثل عمقا عربيا خالصا في جسد الخلافة الإسلامية الواسعة كفلسطين منبع اليهودية وبلاد الشام ومصر حيث استقرت الديانة المسيحية وتوسعت، وهذا التنوع الديني يعكس ثراء للعرب أكثر مما يعنى خصوصية وثنية لهم.

ذكر سزكين مجموعة من الشعراء وإن لم يرقوا إلى مستوى الشعراء الكبار، كالشاعر عبد المسيح بن عسلة، وهو شاعر مسيحي عاصر المنذر بن ماء السماء، ينتمي إلى بني مرة، توجد له بعض القصائد في "المفضليات".[1]هناك أيضا الشاعر عبد المسيح بن بقيلة الغساني، وهو شاعر من أعلام الحيرة المرموقين أدرك الإسلام ولم يسلم.[2]

أيضا ذكر سزكين شاعر يهودي آخر هو أبو الذيال اليهودي، وهو بني حشنة بن عكارمة، وقد عاش هذا الشاعر في المدينة وعاصر الإسلام.[3]

أما الشاعر العربي أمية بن أبي الصلت الثقفي والذي لم يذكره بروكلمان، فقد ذكر سزكين بأنه كان على دين الحنفية، وقد قيل بأنه كان يقرأ كتب أهل الكتاب[4]، وربما هذا ما جعل المؤرخ شوقي ضيف يعتبره شاعرا كتابيا، ورغم أنه روى له أشعارا إلا أنه يعتبرها في

---

[1] سزكين، ج 2، ص 108.

[2] سزكين، ج 2، ص 137.

[3] سزكين، ج 2، ص 325.

[4] سزكين، ج 2، ص 329.

الغالب منحولة عليه، خاصة تلك التي تشابه معانيها ما ورد في القرآن حرفيا وواضح فيها الركاكة وبعدها عن الأسلوب الشعري الجاهلي العميق والرصين.[1]

وأشهر الشعراء المسيحيين كان الشاعر عدي بن زيد العبادي الذي كان ينتمي إلى أسرة مسيحية مرموقة المكانة في الحيرة، فقد ذكر بروكلمان بأنه هو الذي حرك بشعره بعض الابتكارات عند شعراء الإسلام فتولد منها ما سمي لاحقا "بشعر الخمريات"، حيث عرف عن هذا الشاعر تشبيبه الكثير بالخمر، وذكر شوقي ضيف بأنه كان أبا لشعراء الخمر في الجاهلية، وقد روي عن هذا الشاعر أيضا شعرا يسوده طابع التفكير في الفناء والموت.[2] ولكن سزكين لم يشر إطلاقا إلى قضية التشبيب بالخمر عند الشاعر عدي وكأنه لا يرى صحة ذلك رغم أنه سرد الكثير من الدراسات التي أجريت حوله خاصة من طرف المستشرقين كنولدكه وريشر وجابريلي ونالينو بلاشير.[3]

أيضا أشار سزكين إلى الخطيب المفوه قس بن ساعدة الأيادي الذي يروى أنه كان واعظا مسيحيا وقد أدركه النبي صلي الله عليه وسلم صغيرا وأعجب به وهو يراه يخطب في سوق عكاظ، كما روى ذلك الجاحظ في البيان والتبيين وله قصيدة مشهورة حظيت باهتمام المستشرقين وقد ترجمها فون كريمر إلى الألمانية.[4]

وربما يكون المؤرخ الوحيد الذي انتهج نهج بروكلمان أو استفاد من طريقة عرضه الجديدة هو المؤرخ الكبير التركي فؤاد سزكين الذي حاول أن يستكمل عمل بروكلمان نفسه كما روى هو ذلك في أكثر من مناسبة، حيث احترم كثيرا من منهجه الفريد في العرض، ولم يخالفه

---

[1] ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، ج 1، 394.

[2] بروكلمان، ج 1، ص 125.

[3] سزكين، ج 2، ص 123.

[4] سزكين، ج 2، ص 130.

كثيرا في هذا المنهج، بل إن كتابه "تاريخ التراث العربي" يكاد يكون بنفس المنهج والطريقة التي كتب بها بروكلمان كتابه "تاريخ الأدب العربي"، طبعا مع الزيادات الضخمة والكثيرة التي أضافها سزكين في عمله، خاصة وأنه جاء بعد فترة توفرت فيها للمكتبات العربية والعالمية مادة علمية هائلة سواء كانت مطبوعة أو حتى مخطوطة، بما أفصح عن كثير من المعلومات والحقائق المتعلقة بتاريخ الأدب العربي.

وتظهر أصالة ومنهجية بروكلمان قوية في الكتب الأولى من عمله، خاصة وأنها تمثل الجزء الحاسم في تحديد هوية أدبنا العربي لما تتناوله من موضوعات غاية في الأهمية تبدأ من الشعر العربي الجاهلي القديم والنقطة الفاصلة في تحول هذا الأدب إلى أدب إسلامي متطور القوالب منذ العصر العباسي وانتهاء بعصور الانحطاط الأدبي، حيث نجد بروكلمان قد حدد تقريبا أهم مفاصل الأدب العربي عبر العصور من خلال عرض لأهم المحاور والأعمال والشخصيات التي تمثل هذا الأدب عموما مع التركيز طبعا على مصادر ومراجع كل وحدة أدبية تم تقديمها في هذا الكتاب.

فكما رأينا في تحديد ماهية اللغة أو الشعر أو النثر وما يمثلها من رموز أدبية حيث كانت كل وحدة أدبية تأخذ قسطها من التعريف والتركيز بما يتناسب مع قوتها وقوة النقاش العلمي حولها. وكان هذا التدقيق والتركيز واضحا في بدايات العمل لضخامة ووفرة المعلومات وثراء الشخصيات الأدبية والعلمية كما نلمس ذلك في العصور الأولى للأدب العربي الجاهلي منه والإسلامي الذي يمثله عصر النهضة بقوة من خلال شعراء مميزين كالفرزدق وجرير وأبي نواس وغيرهم من فطاحل الأدب وكتاب التاريخ والسيرة والآداب العامة الأخرى التي يزخر بها الأدب العربي بشكل مبهر وساحر. فالمادة العلمية المعروضة خلال هذه الحقب المزدهرة قوية المصادر دامغة الحضور، حيث نجد في مصادر عصر النهضة الإسلامي مئات ومئات

الأعمال التي تتحدث عن هذا الشاعر أو ذاك الأديب واللغوي أو ذاك المؤرخ هذا فضلا عن ثراء المخطوطات المتناثرة في ثنايا العرض والتي تحفل بها مكتبات العالم.

فنجد مثلا في الكتاب الثاني الذي يتحدث فيه بروكلمان عن شعراء بغداد في عصر النهضة، قد ذكر من مصادر أبي نواس ما يفوق كل تصور، حيث ذكر أنه توجد له أكثر من عشر مخطوطات في مكتبات ما بين لندن وباريس وفينا وبرلين والهند والفاتيكان وبترسبورغ واسطنبول والقاهرة، أما الطبعات فحدث ولا حرج فقد طبع دواينه لأول مرة في فينا سنة 1855م، ثم توالت الطبعات التي ذكرها بروكلمان وقد فاقت عشرة طبعات حتى عصره.[1]

وكذلك هو الحال مع شاعر عظيم كالبحتري الذي يعتبره بروكلمان واحدا من المجددين في الشعر العربي خاصة شعر الوصف وهو بذلك يمثل وجها من أوجه الأدب الإسلامي في العصر العباسي، ونقل بروكلمان أن البحتري يعتبر في نظر المتنبي أوحد الشعراء المحدثين، وقد أحصى له بروكلمان أكثر من إثني عشر مكانا لتواجد مخطوطاته في مكتبات العالم ما بين باريس وبرلين واسطنبول والقاهرة وأذربيجان، كما ذكر أكثر من أربعة عشر مصدرا ومرجعا لسيرته الذاتية وهي كلها مصدر معلومة ومحققة.[2] أيضا هناك جانب قوي من كثرة المصادر التي زخرت بها مكتبة التراث العربي تتمثل في توفرها عن شخصية عظيمة في تراثنا وهو الشاعر الكبير أبو تمام، الذي توفرت لنا من مخطوطاته والمؤلفات العربية حوله ما يدعو إلى العجب من القوة الشعرية التي امتاز بها هذا الشاعر وما دار من نقاش تاريخي حوله وحول شعره.

---

[1] بروكلمان، كارل، ***تاريخ الأدب العربي***، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1993، ج 2، ص 33.

[2] بروكلمان، نفس المرجع، ج 2 ص 51.

طبعا ينبغي أن ننوه هنا إلى أن هناك بعض الثغرات الأكيدة في عمل بروكلمان، وحديثنا عن قوة عمله وقوة مصادره لا يعفينا من الإشارة إلى بعض النقائص أو الهفوات التي وقع فيها المؤلف، حيث نجده أحيانا يشير إلى بعض الشخصيات الأدبية دون أن يحيلنا إلى مصادره أو ما بقي من أعماله حتى اليوم وهو الأمر الذي كان يحرص بروكلمان دوما على تحريه في عرض كل شخصية أو عمل مع ذكر مصادره الأساسية، فمثلا في الفصل المتعلق بشعراء الجزيرة العربية والشام الذي بدأه بالشاعر القرشي إبن هرمة ولكنه عندما وصل إلى الشاعر ديك الجن اكتفي بنبذة قصيرة عن حياته دون أن يشير إلى أي مرجع متعلق به كما لم يذكر أي مخطوطات لديوانه أو بقايا من قصائده ولم يفد شيئا عن أعماله لا من قريب ولا من بعيد.[1]

وإذا نظرنا إلى ما أورده لاحقا سزكين حول هذا الشاعر من مصادر ليست بالكثيرة والقوية نجد أنها قد تكون أحد النقائص التي استكملها سزكين عن بروكلمان.

[1] نفس المرجع، ج 2، ص 77.

## المبحث الثاني: معايير كتابة "تاريخ الأدب العربي" عند بروكلمان

**مقدمة:**

لا شك أن التأريخ للأدب هو ظاهرة علمية معقدة، يصعب معها تحديد معيار واحد أو معايير عدة لهذا الفن الكتابي الذي لم يعد بلا شك بسيطا أو سهلا في آلياته بعد ذلك التطور المذهل والعملاق الذي حدث في شتى الفنون العلمية وعلى رأسها ذلك التطور الكبير الذي شهدته العلوم التجريبية، التي دفعت بدارسي العلوم الإنسانية إلى محاولة مضاهاته واللحاق به. ولكن الوضع مع الأدب ليس بالصورة التي قد يتخيلها أي باحث أو دارس، فنحن أمام ظاهرة علمية يصعب معها إلى حد كبير الخضوع إلى قوانين التجربة أو حتى التطبيق المباشر، وهذا ما أعاق عملية التنظير في الأدب عموما، رغم كل التطور الذي عرفته الدراسات الأدبية الحديثة.

من هنا وجد المنظور التاريخي للأدب صعوبة بالغة في تناول هذا الأدب ودراسته، بل إن الكثير من المعاصرين قد رفضوا هذا المنظور وشككوا في غاية الدراسة الأدبية التاريخية أو حتى إمكانية كتابة "تاريخ للأدب".[1]

فإما أن يقف مؤرخ الأدب عند حد رصد الأعمال وتبويبها وعرضها بطريقة مرتبة، أو أنه يقوم بتحليل وتفسير العمل الأدبي نفسه من زوايا عدة فنية وموضوعية وهنا يخرج عن إطار التأريخ ليدخل في إطار الدراسة الأدبية البحتة. هناك أيضا مشكلة حقيقية تواجه عملية التأريخ وهي تحليل الظواهر الأدبية ضمن سياقات زمنية عديدة وهذا ما جعل عملية التقسيم الزمني مشوشة ومضطربة ليس فقط في حالة الأدب العربي ولكنها تكاد تكون في كل الآداب الأخرى.

طبعا في ظل هذه الصعوبات التي تواجه المؤرخ نجد أن المعايير التي انتهجها بروكلمان في تصنيفه للأدب العربي لا تزال متفردة بذاتها إلى يومنا هذا لما تميزت به هذه المعايير من دقة وتوافق، لكن الملاحظ هنا أنه رغم أن الأدب العربي عرف الكثير من الأعمال الكبرى التي جاءت بعد بروكلمان إلا أنها في عمومها لم تراعي أو تقيم وزنا لوجهة نظر عالم لغوي ومؤرخ كبير كبروكلمان وهذا يعود ربما لسببين: أولهما لعائق الترجمة، فعمل بروكلمان الصادر باللغة الألمانية لم يمكن العلماء والمتخصصين العرب من الإطلاع عليه وعلى الرؤية الجديدة التي طرحها بروكلمان حتى وقت قريب، حيث لم تبدأ ترجمته فعليا إلا مع بداية الستينات، وبعد جهود مضنية صدر خلالها بعض أجزاء هذا العمل الذي استمرت الترجمة فيه ما بين 1960 وحتى سنة 1994م، وهو الأمر الذي منع الباحث العربي من بلورة وتطوير

---

[1] شوقي رضوان، أحمد، ***مدخل إلى الدرس الأدبي المقارن***، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 1990، ص 15.

قوالب جديدة للأدب العربي وفق رؤية مغايرة ومعاصرة كالتي حاول بروكلمان تقديم هذا الأدب بها، وهذا كله بسبب التقصير في الترجمة أو عدم قدرة الباحث العربي عامة على التعامل بغير لغته مما حرمه من الإطلاع على الكثير من الأفكار والتصورات الجديدة التي بات يزخر بها العصر الحديث على مستويات عدة في مجال اللغويات عموما.

أما السبب الثاني: وهو ربما عدم جرأة بعض الباحثين العرب ممن تسنى لهم الإطلاع على عمل بروكلمان التجديدي على تبني بعض أفكاره أو بعض تصوراته التاريخية للأدب العربي وسياقاته، خاصة ما تعلق منها بالأطوار الزمنية أو تحديد بعض مصطلحات الأدب العربي عموما، وهذا ربما يعود لحالة الرفض المطلق لأي عمل أو تصور يصدر من خارج الكيان العربي خاصة وهو صادر من مستشرقين غير ناطقين بالعربية التي تحظى بتقديس كبير وتهويل نفسي من مدى صعوبتها حتى بالنسبة للعربي فما بالك بغيره. وهذا ما دفع الكثير من الباحثين المطلعين على هذه الأعمال على عدم المجازفة باختراق هذا الجدار النفسي بتبني أفكار جديدة حول اللغة العربية تصدر من غير العرب، ولكن يبقى العامل الأكبر من هذين السببين هو حالة الركود العلمي الهائل الذي عرفه التاريخ العربي الحديث والذي كان ولا يزال كفيلا بمنع العقل العربي من أي تجديد.

أما فيما يتعلق بمعايير بروكلمان العلمية التي وضعها لهيكلة الأدب العربي تاريخيا وبالدرجة الأولى، فهي متعددة ومتنوعة، وهذا أمر طبيعي في وضع صعب ومعقد مثل وضع الأدب العربي وما حفل به من تراث ضخم جدا جدا قياسا على لغات أخرى لم يتسن لها عشر ما للغة العربية من ثراء في إصدار أعمال خادمة لها بدأ من وضع قواعدها وانتهاء بكل المقاربات التاريخية التي تسعى لتكوين خريطة دقيقة لهذا الأدب العربي الحافل مع مرور الأزمان.

**المعيار الأدبي:**

إن أول ما يتبادر إلى ذهن القارئ العادي وهو يتصفح كتاب بروكلمان هو إشكالية تسمية العنوان "تاريخ الأدب العربي"، قياسا على ما في الكتاب من موضوعات متنوعة ومتعددة لا يمثل فيها الأدب بالمعنى الصريح أو ما اشتق منه سوى جزءا محددا، حيث شمل في أبوابه أو تصنيفه ما لا يدخل في العرف الأدبي الحديث من أبواب كالفلسفة والتاريخ والطب والكيمياء وغيرها من فنون العلم، إلا أننا نجد بروكلمان قد استبق القارئ أو الباحث المتسائل عن طبيعة تسمية عمله هذا بـــ "تاريخ الأدب العربي" حيث بدأ بروكلمان قبل التفصيل في عرض مادته العلمية إلى تحديد ماهية الأدب أولا، يقول بروكلمان:"يمكن إطلاق لفظ أدب: بأوسع معانيه على كل ما صاغه الإنسان في قالب لغوي ليوصله للذاكرة".[1]

وهذه ليست بدعا من عمل بركلمان، فقد اعتاد المؤرخون لمجالات أخرى من أنواع التراث الإنساني اعتبار كل الشواهد الباقية لشعب من الشعوب الغابرة تدخل في دائرة الاستشفاف الأدبي، "كما أراد بوك أن يجعل النقوش الباقية لشعب من الشعوب داخلة في دائرة أدبه".[2]

وهنا اعتبر بروكلمان أنه على مؤرخي الأدب (خاصة القديم منه) أن يدخلوا كل ظواهر التعبير اللغوي في دائرة أعمالهم، ولا يجوز لهم أن يقتصروا على فن القول فحسب، فهذا يمكن تطبيقه فقط على الثقافة الحديثة التي أصبحت تعرف تنوعا لا حدود له[3].

وبالتالي شملت مادته كل أبواب المعرفة التي كتب فيها علماء العرب باللغة العربية، خاصة وأن مثل هاته المؤلفات التي خرجت عن دائرة الشعر أو اللغة، تشكل أيضا بدورها رصيدا

---

[1] كارل، بروكلمان، ***تاريخ الأدب العربي***، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1993، ج 1، ص 3.

[2] بروكلمان، ج 1، ص 3.

[3] نفس المرجع، ص 3، 4.

للغة العربية بما فيها من أساليب كتابية مهمة أثرت الأدب العربي أيما إثراء، لأنها كانت تقوم بالدرجة الأولى على المكنة اللغوية للمؤلف مهما كانت طبيعة الموضوع التي يتناوله.

فتحديد الحدود الفاصلة بين ما هو أدب خالص وبين فنون أخرى، لم يكن ممكنا حتى وقت قريب، نواحي القرن الثامن عشر وبعد ظهور الطباعة بقرون، فقد كان كل كتاب أو رسالة تم تأليفها في العصر الإسلامي الوسيط تعتبر أدبا مهما كان محتواها، خاصة وأن أغلب المؤلفات الإسلامية العربية كانت مرتبطة بالقرآن الذي يمثل وثيقة لغوية وأدبية مهمة إلى يومنا هذا ولا يمكن قياسها أو مضاهاتها، وبالتالي فإنه يعتبر المصدر الأول للعلم بالنحو واللغة، وهذا المعيار هو الذي جعل ابن النديم يصنف مادة كتابه "الفهرست" على أساسه، حيث جعل اللغويين والنحويين في المرتبة التالية بعد علوم القرآن، لأن الاستعمال الصحيح للغة هو المعيار الحاسم لأي علم آخر داخل منظومة الفكر العربي الإسلامي مهما كانت طبيعة هذا العلم.

ورغم أن ابن النديم قد ذكر الكثير والكثير من الأسماء والعناوين التي تتحدث عن مجالات أخرى في الأدب عموما، ككتب الفن الحربي والطبخ والعطور والجنس والأحلام وفن السحر وقصص الخرافة والأساطير المترجمة عن البزنطيين والهند وفارس، إلا أن ابن النديم ربما كان يعتبرها أدبا أقل أهمية وقيمة من ذلك الأدب الرفيع المتعلق بعلم اللغة وجمالياتها وما أدت إليه من علوم أخرى متعلقة بالدين على وجه الخصوص.[1]

وهذا ما يجعل مسمى كتابه "تاريخ الأدب العربي" وفق الرؤيا الغربية (رؤية بوك ووليم شيرر وغيرهم) تسمية صحيحة ودقيقة نسبيا لكون أن بروكلمان اعتبر كل ما كتب باللغة العربية أدبا يثري الذاكرة الإنسانية، بل ويخدم اللسان العربي بالدرجة الأولى لما قد يحتويه أي مؤلف

[1] شاخت جوزيف وكلفورد لوزورث، ***تراث الإسلام***، ترجمة حسين مؤنس. ج 2، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.1978، ص 6.

مهما كان موضوعه من صيغ ونصوص أدبية قد تضيف للغة صورا وتعبيرات قد لا تصدر من الأديب اللغوي الصرف نفسه، خاصة من المصنفين القدامى ممن كانوا على مستوى لغوي رفيع وعال، بل ودقيق والمكتبة العربية حافلة بمثل تلك الأعمال العلمية التي تميزت بأسلوب لغوي غاية في الرشاقة والجمال. فهناك مثلا مؤلفات عربية كتبت في علوم النبات أو الإحياء أو الطب أو الحيوان غنية بالمفردات اللغوية والمعاني الأدبية التي تبرز مدى علو كعب مؤلفيها في اللغة وقدرتهم على الإبداع والابتكار اللغوي بما ليس له مثيلا ربما في أي لغة أخرى. فمثلا نجد كتاب ككتاب "طبائع الحيوان" لشرف الزمان طاهر المروزي والذي يعد موسوعة علمية بحق عن عالم الحيوان تكلم فيه المؤلف عن أغلب أنواع الحيوانات وصفا وسلوكا ومعاملة من مروضيها بأسلوب لغوي خلاق ودقيق قل له نظير في الوصف اللغوي الغني بالمفردات السلسة والأحكام الموزونة.[1] بل إن بعض الأعمال العربية القديمة تعدت التخصص لتتفنن في عرض المادة العلمية بأسلوب أدبي يكاد يرقى إلى مستوى الشعر نفسه بما يدل على قوة الميل الأدبي لعالم وهو يتحدث عن موضوع ليس في صميمه أدبا أو موجها إلى النقاش الأدبي.

ولا نبالغ إذا قلنا أن أغلب التآليف العربية القديمة نستطيع أن نطبق عليها قواعد النقد الأدبي ومناهجه لما تمتاز به هذه الأعمال من فنون كتابية تعبيرية مجازية وحقيقية بما يساعدنا في أحيان كثيرة على فهم أعمق لروائع اللغة والوقوف على إعجازها وقدراتها الفنية. فالتأليف التاريخي مثلا يحفل بأوصاف بارعة ودقيقة لبعض الأحداث والمعارك وينقل بعض الصور

[1] "طبائع الحيوان " كتاب عربي نادر عن علم الحيوان لمؤلفه شرف الزمان طاهر المروزي، وقد كان البروفسور الروسي فلاديمير مينورسكي هو أول من قام بتحقيق هذا المخطوط النادر ثم نشره في طبعة منقحة في لندن سنة 1942. وهذا الكتاب يمثل تحفة أدبية، كتب من خلالها المروزي خلاصة معارفه وتجاربه ومعلوماته عن أنواع كثيرة من الحيوانات بشيء من التفصيل الرائع واللغة الجميلة السلسة بما يجعلك كأنك ترى هذه الحيوانات معاينة.

غير المألوفة في الحياة اليومية بما يضفي متعة كبيرة ويقدم طابعا مسرحيا للعرض يظهر واضحا كتأثير أدبي قل له نظير في الثقافات الأخرى، خاصة وأن هذا العرض كان في بعض الأحيان يبدو محظورا أو لا يستطيع المؤرخ ذكره صراحة فيلجأ إلى استخدام أسلوب تلميحي تعريضي وأحيانا إلى أسلوب بلاغي شديد التزويق والتنميق إذا كان الكلام على شخصية تتطلب الأسلوب الفخم.[1] كما نلمس ذلك مع بعض المؤرخين وهو يتحدثون عن شخصيات مهمة أمثال العماد الأصفهاني الذي تكلم بفخر شديد عن الناصر صلاح الدين الذي كان في خدمته حيث تكلم عن القيمة الأدبية لوثائقه السياسية ومعاهداته في كتبه التاريخية، وأيضا نجد مسكويه (توفي421ه/1030م) الذي صور الهموم الضخمة للقادة السياسيين في عصره، حيث صور ذلك بأسلوب نابض بالحياة وقوة التأثير وكأنك تعايشها.

ولكن هذا المعيار لم يسلم به الكثير من المؤلفين المحدثين ممن ألفوا في تاريخ الأدب العربي بعد بروكلمان كالرافعي وجورجي زيدان وحتى من المعاصرين ممن سعوا حتى إلى تغيير مسمى كتاب كارل بروكلمان "تاريخ الأدب العربي" إلى "تاريخ التراث العربي" كما فعل فوت سزكين نفسه في عمله الذي اعتبره امتدادا لعمل بركلمان. ولكنه تماشيا مع الرؤية المتخصصة المعاصرة إظطر إلى تعديل معنى الأدب ليصبح مصطلح "تراث" أعم منه، ليخرج من دائرة الخلاف أو المعنى الضيق للأدب الذي تشعبت فروعه وتعمقت دراساته خاصة في هذه العقود الأخيرة التي نما فيها الأدب العالمي ككل وليس فقط الأدب العربي نموا مطردا لأجيال أرادت أن تفهم هذا الأدب تحت تأثيرا نزعات متعددة ابتداعية ورمانتيكية كما حدث في أوروبا التي أراد بعض المتخصصين فيها أن يفهموا هذا الأدب في إطار أوسع

---

[1] شاخت جوزيف وكلفورد لوزورث، ***تراث الإسلام***، ترجمة حسين مؤنس. ج 2، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.1978، ص 11.

يشمل المؤثرات المحيطة بأي عمل، خاصة تلك التي تتعلق بالمؤلف نفسه لتحديد الظواهر الأدبية بشكل أعمق، كما أشار إلى ذلك تين (Tane).[1]

بل وتعدى الأمر إلى الهجوم والرفض كما هو الحال مع الرافعي الذي حمل على الأدباء المعاصرين في مقدمة كتابه تاريخ آداب العرب على هذا التوجه الجديد وعاب على الأدباء بأنهم "... لا يأنفون أن يعدوا من (أدبيات اللغة) تاريخ علم الفلك مثلا، ... ولا أن يقرنوا علم الصرف بالكيمياء. وإن كان لكل منهما وزن معلوم"[2]

ولعل في تعريف ابن خلدون لكلمة الأدب خير رد شافي أو معين لوجهة نظر بروكلمان " ... هذا العلم لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها، وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته...."[3] فهي توافق لفظا ومعني ما مال إليه بروكلمان من كون كل ما ألف بالعربية يمثل أدبا.

ولم يقتصر تعريف بروكلمان لكلمة الأدب في اللغة العربية على هذا المعنى الظاهر ولكنه حدد وبشكل دقيق أبعاد هذا اللفظ منذ بدأ الكاتب العربي يصيغ إبداعاته حتى العصر الحديث الذي خرجت الكثير من الأعمال العربية فيه من دائرة التأريخ الأدبي في رأي المؤلف قسرا إلا ما كانت منها أدبية صرفة، أما ما تعداها من الأعمال العربية في فنون أخرى فهي تشكل مادة علمية أصبحت في حاجة إلى منهج دارسي جديد وجيل جديد من المؤرخين المبدعين الذين قد يتمكنون من وضع هذه المادة المحدثة في الإطار التاريخي الصحيح للحياة العقلية العربية الجديدة[4].

---

[1] بروكلمان، ج 1، ص

[2] الرافعي، مصطفى صادق، ***تاريخ آداب العرب***، ج 1-2، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، 1997. ص17.

[3] ابن خلدون، المقدمة.

[4] بروكلمان، ج 1، ص 7.

أما من الناحية المنهجية فيما يتعلق بتحديد ماهية الأدب عند بروكلمان وما يترتب عليها من بناءات وترتيبات لمادته التأريخية لها، فهي تبدو أكثر إقناعا ودقة ومنهجية قياسا على ما كتبه الكثير من المؤرخين للأدب العربي بعده كالرافعي والدكتور شوقي ضيف اللذين أسهبا في تعريف كلمة الأدب المجردة والأبعاد التاريخية لها متبعين عادة المؤلفين العرب خاصة القدامى منهم في الإطناب والإسهاب والتعليل، بينما نجد بروكلمان وضع التعريف المختصر والدقيق الذي يبرر سبب التسمية أو العنوان لمؤلفه وأيضا ما سوف يندرج تحته من مادة وما يخرج أيضا عنه من مواد أخرى، وهو بهذا يبدو أكثر توفيقا وابتعادا عن الإطالة والاستطراد.

**المعيار الزمني:**

لقد رأينا وفق المخطط الأولي لأغلب مواد عمل بروكلمان طبيعة التقسيم الفني الزمني الذي ابتكره بروكلمان أو ربما طوره من خلال جهود من سبقوه في وضع تصورات شاملة وجديدة لمادة الأدب العربي ككل مثل بروجستال وفون كريمر اللذين سبقا بروكلمان في كتابيهما إلى تقديم نموذج تأريخي غير معهود للأدب العربي ولو اقتصر على جزء منه، وهذا من خلال ما توفر لهما من مادة علمية حتى آنذاك قياسا على ما توفر لبروكلمان بعدهما من مادة هائلة مكنته من وضع سفر متطور لمجمل تراث العرب بما فيه مادة الأدب العربي تحديدا دون أن ينكر بدوره فضل هذين العالمين.

أما من حيث المعايير العلمية التي وضعها بروكلمان لتحديد الفواصل الزمنية فقد خضعت إلى حد كبير إلى عوامل عدة، كالتحول الفاصل لبعض الأحداث التاريخية الحاصلة عند العرب (قيام الدولة العباسية، الغزو المغولي، سقوط المماليك، حملة نابليون....إلخ) أو ظهور بعض الصور الأدبية الجديدة التي طرأت على العقل العربي، نتيجة الفتوحات الكبيرة التي شهدها التاريخ العربي في بداياته والتي انعكست حتما على الحياة العقلية للعرب بشكل كبير في ظل

وصول المد العربي إلى كثير من الثقافات الأخرى وما تولد عنها من احتكاك لغوي وثقافي وإنساني بشكل واضح وهو الأمر الذي يمنع بلا شك بقاء الأدب العربي صرفا أو خالصا.

لقد كان بروكلمان أول مؤرخ ضمن مجال الأدب العربي، الذي حدد مفصل الأدب الإسلامي مع بداية العصر العباسي وليس ما قبله والذي بدأ فعليا وحسب رأيه في صباغة الأدب العربي بروح إسلامية غير تلك التي استمرت بروح العصر الجاهلي حتى بني أمية.

وبهذا الطرح الجديد يكون بروكلمان هو أول مؤرخ للأدب العربي من تجرأ ووضع هذا المفصل الزمني الفني في تحديد أبعاد الأدب الإسلامي أو العصر الإسلامي العباسي، حيث اعتاد أغلب المؤرخين على تقسيم مراحل الأدب العربي إلى خمسة عصور أو حتى أكثر: العصر الجاهلي، الصدر الإسلامي، العصر الأموي، العصر العباسي، وهذه مراحل تتعلق بالمؤرخين القدامى، ثم أضاف لها اللاحقون أو المعاصرون حقبة ما بعد التتار ثم أخيرا مرحلة العصر الحديث.

لكن الجديد والغريب أيضا في تقسيم بروكلمان هو أنه اعتبر حتى ما يصطلح عليه المؤرخون العرب بالصدر الإسلامي الممتد حتى عهد بني أمية جزءا من العصر الجاهلي واعتبر أن الإسلام لم يطبع ذاته وروحه عند العرب إلا مع بداية الدولة العباسية.

ورغم أن وجهة نظر بروكلمان في هذا التحديد الزمني قد تكون أكثر دقة ومواءمة وحتى ثورية إلا أنها لم تأخذ صداها بين المؤرخين العرب المعاصرين حتى الآن بل واستمر رفض هذا التقسيم المنطقي ممن جاؤوا بعد بروكلمان بعقود طويلة مثل الدكتور شوقي ضيف الذي أشاد حقا بعمل بروكلمان وشهد له بالغنى والتفرد، إلا أنه حافظ في عمله الكبير "تاريخ الأدب العربي" على نفس التقسيم الكلاسيكي معتبرا ظهور الإسلام منذ البعثة هو المفصل التاريخي،

بين ما هو أدب جاهلي وأدب إسلامي، رغم جلاء واستمرار الروح الجاهلية في أدبيات العرب على مدار عقود من ظهور الإسلام حتى عصر بني العباس فعلا.

ولعل هذا النفور من ربط الأدب العربي بعد ظهور الإسلام بالحقبة الجاهلية يعود كما يقول بروكلمان إلى تأثير النظرة الدينية على العلماء العرب ومؤرخيهم وحرجهم من إدخال بداية انتشار الإسلام ضمن حقبة الجاهلية. وكأن هذا الفاصل الزمني الصرف للأدب في صدر الإسلام يقلل من شأن الإسلام نفسه إذا تم ربطه بالعصر الجاهلي وهذا في الحقيقة خلط كبير بين ما هو عقائدي سماوي وما بين ما هو نتاج عقلي إبداعي. كما أنه لا يعدو أن يكون منهجا تاريخيا ملبوسا بكثير من الروح العاطفية التي لم يستطيع المؤرخون العرب التحرر منها قليلا لضبط المراحل الأدبية أكثر وتحديد عمق المؤثرات التاريخية الحقيقية لها.

فبروكلمان يعتبر أن الإسلام لم يؤثر في بداياته تأثيرا عميقا في الشعراء العرب، كما يريد النقاد العرب أن يثبتوا ذلك، حيث أن الأدب أو الشعر منه على وجه الخصوص في العهد الأموي لم يخرج عن إطار المسلك الجاهلي، حيث ظلت الأساليب الشعرية فيه محافظة تماما على القوالب التي عرفها الشعر الجاهلي، ولم تظهر الروح الإسلامية في الشعر العربي إلا بعد مجيء العباسيين[1]، يقول بروكلمان: "... ولم يؤثر الإسلام تأثيرا عميقا في شعراء العرب تأثيرا عميقا في شعراء العرب كما يريد النقاد العرب أن يقنعونا بذلك، فقد سلك شعراء العصر الأموي دون مبالاة في مسالك اسلافهم الجاهليين. ولم تسد روح الإسلام حقا إلا بعد ظهور العباسيين... وهكذا نما في عهد العباسيين أدب إسلامي بلسان عربي، ومن هنا نقسم نحن الأدب العربي إلى مرحلتين أساسيتين: أ-أدب الأمة العربية من أوليته إلى سقوط الأمويين سنة 132 هـ / 750م، وتنقسم هذه المرحلة إلى الأقسام التالية (1) الأدب العربي

[1] بروكلمان، ج 2، ص 36.

إلى ظهور الإسلام، (2) عصر النبي –صلى الله عليه وسلم–، (3) عصر الأمويين. ب– أدب إسلامي باللغة العربية".[1]

ولعل هذه الرؤية الفنية لاستمرار سمة الروح الجاهلية في صدر الإسلام عند بعض المؤرخين ككارل بروكلمان لها دلالتها التاريخية القوية، فهي تظهر جليا لدى رموز الشعر في العصر الأموي كما هو واضح مع شاعر مثل عمر بن أبي ربيعة أو جرير والفرزدق ولكنها تكون أكثر وضوحا في شعر الأخطل الذي امتاز بتقليد قدماء العصر الجاهلي في شعره إلى حد كبير، حتى أن الأدباء العرب ممن حققوا الشعر القديم لاحقا لم يجدوا صعوبة في التثبت من مصادر أشعاره، لبدواته العربية الواضحة والقحة، كما أنه إلى جانب كونه كان نصرانيا فقد حظي بتكريم ووفادة الأمراء الأمويين في ظل حكم إسلامي بحت طبعا[2].

والسؤال الجاد هنا ماهي حقا مميزات الأدب الإسلامي هنا مقارنة مع غيره من المراحل التاريخية الأخرى، وما الذي جعل بروكلمان يحدد العصر العباسي كمنطلق لهذا الأدب؟ وهل استطاع تجاوز المعيار الزمني في تقسيمه، أم أنه اكتفى بإعادة صياغته؟

طبعا يمثل مصطلح (الأدب الإسلامي) اليوم بعدا آخرا لا يخضع للمعيار الزمني القديم بقدر ما أصبح يمثل روحا متشددة تسعى إلى طرح "أدب بديل" عن بعض مفرزات الأدب العالمي الذي غزا دائرة الأدب العربي الحديث، تختلف في مضامينها عن المعنى الإسلاموي للأدب قديما، والتي خرجت تماما عن المعيار الزمني القديم الذي حدد إسلامية هذا الأدب بظهور الإسلام مباشرة. وليس هذا الرأي أو التقسيم المتعمد من بروكلمان في حقيقته جديد فقد وقف النقاد العرب القدامى بتحديد الأدب الإسلامي عند نهاية عصر بني أمية، قال ابن رشيق في

---

[1] بروكلمان، نفس المرجع، ص 36.

[2] بروكلمان، ج 1، ص 207.

كتابه العمدة: "طبقات الشعراء أربع: جاهلي قديم ومخضرم ... وإسلامي ومحدث"، كما أن هذا التقسيم قد أشار إليه أيضاً ابن سلام في الطبقات والمرزباني في الموشح.

وفي الحقيقة إن مفهوم الأدب الإسلامي بعامته يجعله أدب فكرة لا أدب فترة، أدباً له خصائصه الثابتة في إطار التغيير، ومقوماته الأصيلة في إطار التطور، وبهذا يكون طرح بروكلمان أقرب إلى أدب الفكرة أكثر من كون الإسلام فاصلا زمنيا مع أنه في جوهره عقيدة وليس عصا سحرية للتغيير المفاجئ وغير المنطقي، ولذلك، فقد كانت إشارة بروكلمان إلى ظهور أدب إسلامي مكتوب باللغة العربية، مع مطلع العصر العباسي، إشارة جديرة بالتأمل والفحص.

من المعلوم أن قضية أثر الإسلام في الشعر، سلباً أو إيجاباً، قد أثارها مجموعة من نقادنا القدماء، منهم الأصمعي وصولا إلى ابن خلدون، فقد ذهب الأصمعي إلى أن " ... طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان، ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعره في باب الخير لان شعره ..."[1] وقد اعتبر بروكلمان أن تصريح الأصمعي هذا يعد جرأة كبيرة منه.

ولعل هذا التأرجح الزمني أو التخبط فيه هو الذي أثار قضية ضعف الشعر في الإسلام، خاصة بعد فترة الأمويين، حيث نجد أن بروكلمان قد سعى إلى إثبات رأيه في مسألة ضعف الشعر هذه في مواضع كثيرة من كتابه، فهو يعتبر أن مجيئ الإسلام هو المسؤول عن تحول الشعر من لغة الوجدان والصدق إلى أن يصبح ضرباً من التسول. ففي مقارنة بين المديح في العصر الجاهلي وصدر الإسلام يقول:" وكثيراً ما كان الشاعر يتجه بفنه أيضاً إلى مدح بطل أو أمير من قبيلته، ولكنه لم يكن يفكر قديماً في الجائزة الرنانة، التي نزلت بمكانة شعراء

---

[1] ابن سلام، ***طبقات فحول الشعراء***، شرح محمود شاكر، مصر.

المديح المحترفين في بعض الأحيان، منذ عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى درك المتسولين بالغناء"[1].

ولكن هذا القول من بروكلمان لا يعني نفي وجود الشعر التكسبي عند الشعراء الجاهليين، أو الجزم بأن شعر المديح النبوي كان لأغراض إيمانية بحتة أو دفاع عن العقيدة مجرد من كل هوى أو طمع في القربى من الرسول القائد، بل إن المدح التكسبي موجود قبل ظهور الإسلام وإن كان قليلا أو مترفعا عن نزول الشاعر إلى أدنى درجات القول كما حدث بشكل مزري لاحقا، فالذي يقرأ الأدب العربي القديم يجد مظاهر الشعر التكسبي حاضرة، خاصة وأن القدماء كانوا يفضلون الخطيب على الشاعر لارتقاء مكانته وبعده عن الغايات المادية أو التزلف، وقد اعتبر ابن سلام أن الأعشى "كان أول من سأل بشعره"، وقال عنه ابن رشيق "أنه جعل الشعر متجرا"، كما بين ابن رشيق أن النابغة الذبياني كان أول المتكسبين بالشعر، وأن الأعشى قصد حتى ملوك العجم.[2]

كما أن بروكلمان نفسه أكد مسألة وجود شعر التكسب في الفصل الثالث من الباب الثاني، عندما تحدث عن لبيد والأعشى، فقال عن لبيد :"ولما طار ذكر لبيد في الشعر بقي وفياً لقومه، وازدرى مهنة الشاعر المتجول بالمديح، في طلب الجوائز والصلات"، كما قال عنه أنه "قدير على صياغة موضوعات البداوة صياغة ساحرة، ومما يزيد شعره نفاسة ما يتردد فيه من نغمات دينية"[3].

---

[1] بروكلمان، ج 1، ص 57.

[2] إبن رشيق، ***العمدة***، تحقيق محمد محي الدن عبد الحميد، بيروت، الطبعة 4، 1972، ص 81.

[3] بروكلمان، ج 1، ص 146

وقال عن الأعشى:"أما القصيدة الدالية المنسوبة إليه في مدح محمد (صلى الله عليه وسلم) فلا تعد أن تكون مزاولة للتكسب بالشعر، ولا يحتمل أن تكون لها علاقة بعقيدته".[1]

إذن الحديث عن مسألة الضعف في هذا الشعر، هو أمر طبيعي لظهور دين كانت معجزته كلامية بالدرجة الأولى، وكأن العقل العربي والطبيعة الشعرية فيه كانت في حاجة إلى وقفة مع الذات، أو انتظار حالة صفاء يتخلص فيها الوجدان الإسلامي من بقايا الجاهلية ليظهر لنا فعلا أدب إسلامي صرف، خاصة وأن الحوادث التاريخية العظمي في هذه المرحلة الحاسمة شغلت الألباب والعقول والنفوس عن الظاهرة الشعرية كلها رغم أن الإسلام كدين لم يقل قولا فاصلا في هذه الظاهرة، فكان لابد من فترة زمنية كافية، يتمكن فيها الإسلام من النفوس، ليتحول إلى عنصر إبداع، فتغير ملكات الشعر ومواهبه يسير دائما ببطء، بل ويتم على يد جيل جديد.[2]

وعلى هذا، لم يكن من المنتظر أن يظهر أدب إسلامي خالص مع ظهور الإسلام، لا في عهد النبوة، ولا في عهد الخلفاء الراشدين، ولاسيما إذا عرفنا أن معظم شعراء عصر البعثة وما بعده قد عاشوا فترة من أعمارهم في الجاهلية، فكان لابد من انتظار أجيال جديدة، لا صلة لها بالجاهلية لتشهد ميلاد أدب إسلامي، جدير بهذا الاسم، ومن هنا يكون إطلاق مصطلح (الأدب الإسلامي) على أدب صدر الإسلام، فيه كثير من التسامح.

وإن كان هذا الرأي يحتاج إلى تمحيص أكثر إلا أنه منسجم، إلى حد ما، مع رأي بروكلمان الذي ذهب إلى أن روح الإسلام لم تسد حقاً إلا بعد ظهور العباسيين.

وقد اعتمد بروكلمان، في رأيه هذا على معيارين اثنين:

---

[1] بروكلمان، ج 1 ص 148.

[2] الشايب، أحمد، ***تاريخ الشعر السياسي***، القاهرة، ط 4، 1955، ص 9.

1- المعيار الأول: أن المجتمع الإسلامي، إلى نهاية العصر الأموي، ظل مجتمعاً خالصاً، ولئن كان العرب قبل الإسلام، على الرغم من تشتتهم السياسي في الظاهر، ربطت بينهم وحدة معينة في أفكار الديانة والعادات وجعلت منهم أمة واحدة فإن هذه الوحدة ظلت قائمة في العصر الأموي بحكم كون "سلطان الدولة الأموية سلطاناً عربياً أصيلاً، متجاوباً تماماً مع نزعات الأمة العربية، موافقاً لطابعها الشعبي إلى حد معلوم ومن هنا ظل قالب القصيدة العربية في العصر الأموي قالباً جاهلياً، إلى أن صار طرازاً قديماً بالياً في أواخر عهد الدولة الأموية، فلم يقو على مسايرة العصر".[1]

ومع اتساع رقعة البلاد المفتوحة، وقيام دولة بني العباس رجحت كفة الأعاجم، وأتيح للشعوب غير العربية التي انضوت تحت لواء الإسلام، أن تسهم بحظ عظيم في حضارة الإسلام، وكان للأدب من ذلك نصيب وافر، فأصبحنا منذ بداية العصر العباسي أمام أدب جديد، يصح أن نطلق عليه (الأدب الإسلامي) من حيث كونه صادراً عن شعوب كثيرة دانت بالإسلام، ولم يعد وقفاً على العرب، وإن كان الجميع قد رضي العربية لساناً.

2- أما المعيار الثاني: معيار القيم أو المعيار الأخلاقي ويتمثل في جانبين هما:

أ - محاربة تهاون العرب الديني.

ب - مقاومة طبيعة العصبية القومية.

وقد اكتفى بروكلمان بالإشارة العابرة إلى هذين الأمرين دون تفصيل أو أمثلة. ولعله نظر إلى العصور السابقة عن العصر العباسي على أنها عصور طبيعية ومتسلسلة ولكن إنتقال الحكم السياسي من خلافة راشدة إلى ملك عضوض، هو أمر غاية في التعقيد حيث مثل للعهد المبكر للإسلام هزة قوية، خاصة وأن العصبية القومية التي يتحدث عنها بروكلمان، هي التي استغلها

---

[1] بروكلمان، ج 1، ص 188.

بعض ملوك بني أمية الذين وجدوا في الصراع بين القيسيين واليمنيين باباً من أبواب صـــرف الناس عن القضايا الجوهرية.

وكان إلى جانب ذلك الصراع القبلي القائم على العصبية المنتنة، صراع آخر لا يقل حدة وهو الصراع السياسي الذي جسدته أحزاب المعارضة، وقد خلَّف شعراء تلك الأحزاب وخطباؤهـــا أدباً ثرّاً، ما أحوجنا إلى أن ننظر فيه من جديد، ونـــتلمس مـــا فيـــه مـــن خصـــائص الأدب الإسلامي، وبغض النظر عن الخلاف المذهبي العارض الذي لا يجوز أن يحجب عنا الحقائق الأدبية، فإن بعض أدب الخوارج يمثل نموذجاً صالحاً للأدب الإسلامي.

والأدب الذي جسد مأساة آل البيت لا يقل قيمة، من الناحيتين الأدبية والتاريخيـــة، عـــن أدب الخوارج، هذا فضلاً عن أدب الفتح الذي نما وترعرع منذ عصر الراشدين، وتابع طريقه في العهود التالية، حتى فتح أنماطاً فنية جديدة أغنت الأدب العربي، وما تزال حتى الآن بحاجـــة إلى من يقف عندها الوقفة المتأنية التي تمكن من إعادة النظر في كثير من الأحكـــام النقديـــة السائدة، المتعلقة بأدب تلك الفترة خاصة، وبالأدب الإسلامي عامة.

ثم إنه قامت في العصر العباسي، على أنقاض العصبية القومية التي يتحدث عنها بروكلمـــان، عصبية أخرى لعلها أشد خطراً من الأولى، وهي الشعوبية التي عملت علـــى تقـــويض قـــيم المجتمع الإسلامي، قبل أن تأتي على الدولة العباسية نفسها وتعصف بها في آخـــر المطـــاف. وإن كان بعض الدارسين يرى أن الشعوبية قد بدأت بمعناها الصحيح في العصـــر الأمـــوي، وسبب ذلك (أن الحكم الأموي الذي كان ينزع نزعة عربية، يميـــل إلـــى التمســـك بالتقاليـــد العربية، متجاهلاً بذلك مبدأ المساواة الذي نزل به القرآن، هو الذي هيأ للشعوبية جواً صالحاً،

وتربة طيبة، فحاول الأمويون جهدهم أن يخففوا من حدتها، فلما أخفقوا، حاولوا القضاء عليها، فكان ذلك سبباً في استعارها، وتسربها في مسارب خفية، ولكنها أخطر وأشد وطأة).[1]

على أن هذا لا يدفعنا إلى التعميم في الأحكام، بل على العكس من ذلك، ينبغي أن نستيقن أن الصورة الأدبية للعصر العباسي لن تكتمل إلا بالنظر إليها من جميع جوانبها، وإذا كان الأدب الذي عني به المستشرقون من أدب تلك الفترة، وتابعهم على ذلك بعض الشرقيين هو أدب النماذج المنحرفة عن روح الحضارة، فإن من واجبنا أن ننفض الغبار عن التراث الأدبي الذي يصور روح الحضارة أصدق تصوير.

والخلاصة أن مفهوم الأدب الإسلامي عند بروكلمان ظل مرتبطاً بمصدره، فهو أدب شعوب، لا أدب شعب واحد، وإن اتخذ لساناً واحداً أداة للتعبير، وإذا كان بروكلمان قد حاول أن يتجاوز المعيار الزمني الذي تقوقع داخله سابقوه ومعاصروه من العرب والمستشرقين، فإنه لم يستطع أن يتبين –بناء على ذلك– أن الإسلام ليس فاصلاً زمنياً بين عصرين فحسب، بل هو فاصل حضاري، له تفسيره الخاص لكل مظاهر الوجود، وله رؤيته المتميزة للكون والحياة والإنسان، مما يكسب الأدب الإسلامي، تبعاً لذلك، بعداً إنسانياً، غير متقيد بالزمان والمكان، وإن كان متفاعلاً مع الزمان والمكان والإنسان.

**1– الفاصل المغولي: منذ 1258م (سقوط بغداد بيد المغول) حتى 1517م (سقوط مصر بيد العثمانيين)**

أما البعد الآخر في المعيار الزمني الذي انتهجه بروكلمان في مفاصل كتابه فقد حدده في القسم السابع بغزو المغول[2] للبلاد العربية وهو الفاصل الزمني الدقيق لنهاية العصر العباسي وبداية

---

[1] قدورة، زاهية، ***الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي***، بيروت ، ط 2، 1972، ص 327.

[2] مُغُول، أو المُنغُول، قوم نشؤوا في أواسط آسيا في المنطقة منغوليا وظهر هذا الاسم بشكل رسمي بدأ من عهد أسرة تانج الصينية في القرن الثامن ميلادي ولكن الظهور الفعلي لها كان في القرن الحادي عشر أثناء

مرحلة مهمة وجديدة في تاريخ الأدب العربي، وقد اختلف المؤرخون والأدباء في أوصاف هذه المرحلة، فاعتبرها الكثيرون بأنها البداية الحقيقية لعصور الإنحطاط الأدبي، رغم أن بعض مظاهر الإنحطاط قد تجلت في الأدب العربي عبر مراحل سابقة، وإن كانت هذه المرحلة من الانحطاط حسب بروكلمان قد بلغت مداها باكتساح المغول للمنطقة العربية ككل.[1] إلا أن البعض يرفض تسمية هذه الفترة التي تلت سقوط بغداد سنة 656 هـ بالفترة المظلمة، نتيجة أن تأثير الأوضاع السياسية والاجتماعية لم يهبط بالأدب إلى هذا المستوى من الانحدار لوجود صفحات مشرقة فيه حتى آخر أيام الدولة العباسية، "حيث أنه من الجور تسمية هذه العصر بعصر الانحطاط لكثرة المؤلفات القيمة فيه كمقدمة ابن خلدون ولسان العرب لابن منظور ... إلخ".[2] وهذا رأي يوافق فيه بروكلمان الآخرين رغم أنه وصمه بعصر الانحطاط إلا أنه يقر بأن هذا العصر قد شهد بعض الأعمال الضخمة، خاصة في الجانب التاريخي الذي ساهمت فيه الحياة السياسية الشديدة التقلبات كما رأينا، في ظهور الكتابات التاريخية المتخصصة والتي برع فيها المؤرخون أيما براعة.[3]

وقد درج الباحثون والمؤرخون على تسمية العصر المملوكي والعثماني من بعده بتسميات مختلفة فمنهم سمّاه (عصر الانحطاط) ومنهم دعاه (عصر الانحدار) وآخر أطلق عليه (عصر

---

حكم الكاثاي. كان التتار في البداية عبارة عن قبائل صغيرة ومتناثرة حول نهر اونون ما بين روسيا ومنغوليا حاليا، توحدت معظم قبائل المغول والترك في القرن الثالث عشر تحت مظلة حكم جنكيز خان الذي بدأ فتوحه في شمال الصين التي أخضع معظمها، ثم اتـــجه غرباً، فقضى على الدولة الخوارزمية واحتل ممالكها على التتابع. إنقسمت دولة المغول إلى ثلاثة أقسام، القسم الجنوبي الغربي كان من نصيب هولاكو الذي تابعت جيوشه المسير حتى دخلت بغداد عنوةً (656هـ)، حيث قتل المغول الخليفةَ العباسيِّ بعدما أعطوه الأمان، وقتلوا حاميةَ بغداد. ثم اجتاحوا بلاد الشام ودخلوا دمشق (في مارس 1260م /658هـ). الموسوعة العربية

[1] بروكلمان، ج 5، ص 2.

[2] الركابي، جودت، ***الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار***. بيروت، ص 55.

[3] بروكلمان، ج 45، ص 3.

الدول المتتابعة)، لكن لفظة الانحطاط هذه لم تعرف عند القدماء، وإنّما هي تسمية استحدثت في أوائل عصر النهضة وبدايات العصر الحديث عند بعض النقاد والمؤرخين الذين تصدوا لتأريخ أدب هذه العصور التي تطلق أصلاً على تأخر الحياة الأدبية والفكرية والعلمية. وقد علق أحد المستشرقين على هذه التسميات أو الآراء بقوله:" إنّ استعمال مفهوم الانحطاط لايعني فقط القبول اللاشعوري لأحكام قيّمة تصدرها فترة شديدة الثقة بنفسها وإنّما يعني أيضًا تعاملاً مع تصور ساذج لمفهوم الحضارة".[1]

لقد كان عام 656 هجرية (1258م) إيذانا ببداية عصر متقلب وجديد تماما في التاريخ الإسلامي، ففيه سقطت بغداد عاصمة الخلافة العباسية ومنارة الحضارة العربية الإسلامية لقرون، حيث كانت هذه الخلافة برغم كل سلبياتها كالمعصم الذي يربط أطراف العالم العربي ولو معنويا رغم أن هذه الخلافة لم تكن لها اليد الطولى على كل بقايا العالم العربي والإسلامي إلا أنها كانت تمثل رمزا سياسيا كبيرا لكل بلاد العرب. لكن هذه الخلافة المتهالكة كانت قد بدأت بالتقهقر والتراجع بعد أن استحكمت فيها سيطرة الموالي (المماليك) الذين نشأوا في بيوت الخلفاء العباسيين والذين أخذوا يرتقون في مناصب الدولة العليا، حتى أن بعض الأمراء منهم انسلخ ببلد أو بآخر عن جسد الخلافة، حيث اشتعلت النعرات التي كانت معاول الهدم الفتاكة لبنيان الخلافة، كما أن الزحف الصليبي استمرر يهدد البلاد العربية جنبا إلى جنبا مع زحف المغول والتتار القادم من هضبة التيبت والذي كان في غزوه أشبه بجموع الجراد، وسار هولاكو بجيشه العرمرم ينهب ويقتل حتى وصل إلى العاصمة بغداد التي أفسد فيها أيما إفساد، فهتك الأعراض وسفك الدماء وأحرق الدور والمكتبات، بل لقد رميت عيون المعرفة والحكمة والعلم المدونة في آلاف الكتب في وادي دجلة الذي اسود ماءه بالحبر، وكانت هذه

---

[1] شيخ جواد، بكري، ***مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني***. القاهرة، ص 24.

المأساة هي أم الكوارث في كل تاريخ العرب، حيث ما يزال المؤرخون، خاصة المستشرقون منهم، يأسفون حتى الآن على سقوط بغداد المريع ويتكلمون بمرارة عن ضياع نفائس التراث الإسلامي والمقدرات الفكرية الجبارة التي حرص العرب والمسلمون على حفظها لقرون في مكتبات ضخمة في هذه البلاد حتى جاء المغول والتتار فاستباحوا لنفسهم طمس وحرق هذه الكنوز التي كان في ضياعها خسارة لا تقدر للإنسانية جمعاء.

وبالفعل لقد كان دخول التتار أو المغول إلى عمق البلاد الإسلامية (بغداد–الشام)، حدثا تاريخيا مهولا وجسيما، عجز حتى اللسان العربي والأدب بكل آلياته عن تصويره، كما أن بشاعة الحدث جعلت العقول تطير عن كناتها وحتى الشعراء أنفسهم عجزت كلماتهم عن الوصف، فالشعر كاد يتوقف، بعد أن شحت القرائض، خاصة وأن الفكر العربي آنذاك كان متجها إلى إهتمامات ومجالات أخرى في التأليف والكتابة، فلم نجد أمام حدث مريع مثل هذا كتابا وأقلاما تملك القدرة على الوصف والبيان والتصوير كما تعودنا في آداب العرب الزاخرة، مما يعكس فعلا تدهورا حقيقيا كان قد شهده العالم الإسلامي قبل نزول هذه المحنة الكبيرة التي جعلت عاصمة خالدة مثل بغداد تسقط في لحظة وبأهون سبب، حيث تمكن المغول من دخول ثغور البلاد العربية مدينة بعد مدينة حتى وصلوا إلى بغداد التي سلمت نفسها لجلادها فاستباحها بكل همجية وأعمل فيها القتل والخراب، بل ولقد سار هذا الجيش الغازي بعد هذا الاحتلال إلى باقي قلاع العرب حيث سقطت أيضا بلاد الشام مدينة وراء مدينة في يد المغول الذي زحف إلى مصر يريدها لولا أن تصدى له أمراء المماليك الناشئين والأبطال الأقوياء كقطز وبيبرس. فقد استطاع المملوكي قطز أن يقضي على المغول ويردّ زحفهم بعد أن احتلوا حلب وحماة ودمشق، فأقدم قطز بكل جرأة على قتل رسل المغول الذين جاؤوا يدعونه إلى الاستسلام، وكانت عين جالوت المعركة الحاسمة التي اعتبرت من أهم

معارك المسلمين عبر التاريخ، حيث وضعت في مصاف معارك إسلامية مشهورة كمعركة اليرموك و القادسية والزلاقة.

وبهذا التحول الكبير في مجريات الأحداث، أصبحت القاهرة هي القلعة الحصينة للعرب والمسلمين بينما باقي البلاد يحدق بها الغازي والمؤامرات من كل جهة، وظهرت قوة المماليك في التصدي كل حين لأي خطر يهدد البلاد الإسلامية عبر قرون ثلاثة أو يزيد حتى بدأت قوة هذه المماليك في التآكل والانهيار، فسقطت مصر في أيدي الأتراك العثمانيين الذين مثلوا حقبة فاصلة وجديدة في تاريخ العرب.

**2- الفاصل العثماني: من فتح مصر 1517م حتى الحملة الفرنسية سنة 1798م**

أما في القسم الثامن (12-13أ) من الكتاب فقد اعتبر بروكلمان سقوط مصر والشام بيد العثمانيين سنة 1518م فاصلا زمنيا حاسما في تاريخ العرب، فلأول مرة يتم توحيد أهل السنة كافة تحت حكم دولة واحدة حول شرق البحر الأبيض المتوسط وهو الحدث الذي أثر بلا شك في الحياة العقلية والأدبية العربية.

فقد بدأت الدولة المملوكية في التهاوي الحقيقي لها نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلادي في ظل متغيرات دراماتيكية حلت بالعالم أغلبه آنذاك، والتي أثرت على التوجه العالمي فيما بعد لقرون لاحقة شملت أغلب مجالات الحياة، حيث شهد العالم خلال هذه الحقبة التاريخية المهمة أحداثا كبرى مهدت لبداية عصر حديث فعلا وللنهضة الأوروبية العظمى.

فبعد زوال الدولة البيزنطية في أواسط القرن الخامس عشر الميلادي على يد العثمانيين تبعها في نهاية القرن ذاته اكتشاف العالم الجديد، أين تم اكتشاف رأس الرجاء الصالح، كما لا

ننسى أم الأحداث وأهمها على الإطلاق في التاريخ الإسلامي وهي سقوط العاصمة غرناطة وزوال حكم المسلمين في الأندلس، حيث شهدت نهاية هذا القرن زوال آخر إمارة إسلامية في الأندلس، منهية بذلك مرحلة طويلة من الحكم الإسلامي في إسبانيا، ومعلنة بداية جديدة من العلاقات بين العالم الإسلامي وأروبا قائمة على التفوق الأوربي والتراجع الحضاري للعرب والمسلمين عامة.[1]

وقد كان ما حدث في الأندلس بمثابة ضربة قوية للمماليك أيضا، لأنها رغم ضعفها وتشتتها كانت تعتبر نفسها حامية ديار الإسلام، وحاضنة الخلافة العباسية، وحامية الحرمين الشريفين، ولكن للأسف لم يكن المماليك مطلقا على هذا القدر من القوة والمسؤولية للدفاع عن أقل جزء من هذا العالم، بل لم يكن لهم القدرة حتى على حماية أنفسهم، فضلا عن حماية الأماكن المقدسة كتلك التي كانت في فلسطين، حيث تجرأ الكثير من النصارى على السيطرة على بعض المواقع الإسلامية واعتبروها مقدسات مسيحية، خاصة في جوار القـــدس الشريف،[2] وهذا كله نتيجة التسهيلات الكثيرة التي منحها السلطان المملوكي لأهل الذمة والتي استنكرها المسلمون آنذاك بشدة وربما يكون هذا عاملا من عوامل كره العامة للمماليك وعدم الأسف على نهايتهم المأسوية.[3]

كذلك كان للتطور الحضاري الهائل الحاصل في أوروبا أثر واضح على الجانب الاقتـــصادي لدولة المماليك، وتمثل ذلك باكتشاف رأس الرجاء الصالح الذي استغنت به التجارة العالمية

---

[1] التلمساني، أحمد بن محمد المقري، ***نفح الطيب من غُصن الأندلس الرطيب***، تحقيق، يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت 1986، ، ج2، ص615.

[2] إبن طولون، شمس الدين محمد بن علي الصالحي، ***مفاكهة الخلان في حوادث الزمان***، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص 36.

[3] ابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد، ***بدائع الزهور في وقائع الدهور***، ج5، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1983. ص 145.

آنذاك عـــن المماليك كوسطاء تجاريين، مما قلل من العوائـــد الماليـــة للاقتصاد المملوكي الذي كان يسرف كثيرا في النفقات الخاصة بالعرش ومتطلبات الدولة، فقد أصبحت الكثير من الدول تنقل بضاعتها من جنوب شرق آسيا عبر الطريق الجديدة دون المرور بأرض العرب، وترتب على هذا كساد تجاري كبير مثل ضربة قاصمة لدولة المماليك.

وقد كان لاكتشاف هذه الطريق الجديدة آثار عسكرية مهمة، فقد وصل الأسطول العسكري البرتغالي إلى موانئ بحر العرب والبحر الأحمر حتى الهند،[1]لإيجاد قواعد دائمـــة تـــؤمن طرقـــاتهم التجارية الجديد، وفي ظل هذا التحول الجغرافي العملاق والتواجد الغريب لجيوش أوروبية على تخوم بلاد الإسلام فقـــد اضطر المماليك أن يواجهوا البرتغاليين في معارك بحرية قرب موانئ الحجاز ولكن البحر المتوسط أصبح غير آمن لهم، حيث تعرضت سفنهم إلى النهب مرات عديدة. فقد وجهت البرتغال ضربة قاصمة إلى قلب التجارة المملوكية مع الهند، وشكّل هذا الكشف الجغرافي وتواجد البرتغاليين في مياه الهند، وسيطرتهم على التجارة الشرقية كارثة حقيقية للدولة المملوكية، وقد هدف البرتغاليون من وراء ذلك إلى القضاء على مصدر ثراء هذه الدولة، الداعم لقوتها العسكرية، وقد نجحوا في ذلك وأنهوا فعلاً السيطرة المملوكية على المياه والتجارة الشرقية منذ مطلع القرن السادس عشر الميلادي، وتبع ذلك تدهور أوضاع الدولة الاقتصادية نظرًا لفقدانها موردًا حيويًّا ومهمًا مما أدى بدوره إلى زعزعة قوتها وثروتها. كما أن أوروبا آنذاك بدأت تشهد تحولات كبرى على جميع المستويات، فكرية وصناعية وحتى مادية حيث أصبحت تتوفر على الكثير من السبل لمداخيل

---

[1] كار بركلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1948، ص429-435.

جعلت الأروبي يخرج من حالة الفقر والضعف وعصور الجهل والظلام إلى عصور مهدت لحضارة قوية ومميزة لاحقا.

فمنذ أن قامت الدولة العثمانية وتوسع حكمها وهي تطمح إلى حكم إمبراطوري وواسع لا حدود له ولهذا كان وضع الدولة المملوكية المزري والضعيف والمتناحر يعزز هذا المطمع رغم أنه كان يبدو في ظاهره يمثل تنافسا بين قوتين حيث اتسمت العلاقة في البداية بين الدولتين بطابع الحذر والهدوء بفعل الاحتكاك الناتج عن الجوار أو بفعل العوامل الإقليمية الناتجة عن التنافس المستمر بين الدول الكبرى في ذلك العصر.

كما أن العامل الديني القوى آنذاك كان كفيلا بأن يؤجج حالة الصراع والتناحر، خاصة الصراع المذهبي الفقهي الذي انتشر في العالم العربي كالنار في العشيم رغم أن كلا الدولتين كان سنى العقيدة وعلى مذهب أهل السنة إلا أن الخلاف المذهبي نخر بقوة في دولة المماليك، حتى ظهر التحيز الواضح في سياسة الأمراء لمذهب على حساب مذهب مما كان يزيد من قلاقل العامة ويؤجج الخصومات في مجتمع يطغى عليه الطابع الديني بقوة، فقد كان القاضي الشافعي يقدم على سائر المذاهب حتى فرض المماليك للقاضي الشافعي أربعة نواب، بينما فرضوا لباقي المذاهب نائبين إثني، أما على الضفة الأخرى عند العثمانيين فقد كانت الأفضلية للمذهب الحنفي، ويذكر أن موضوع التعصب للمذاهب في ذلك العصر كان ظاهرة عامة بين العلماء والمشتغلين في أغلب بلاد المسلمين حيث وصل التعصب و التزمت إلى حد أنه كان لكل جماعة محرابهم وإمامهم الخاص حتى في المسجد الواحد، وقاضي يتحاكمون أمامه على مذهبهم الذي هم فيه.[1]

---

[1] المقريزي، محمد بن علي ، ***السلوك لمعرفة دول الملوك***، ج 6، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، 1956، ص1177.

وقد جاء هذا الاختلاف بين الدولة المملوكية والعثمانية من باب الاستقلالية والتميز وحتـــى لا يكون أحدهم تابعاً للآخر، من حيث أخذ القرارات التي تتعلق بالشرع، وقـــضايا الإفتـــاء التي تتناول بعض الأمور المستجدة التي بات يقتضيها التطور الحاصل في الدولة الإسلامية في ذلك العصر.

ومن الأمور التي عكرت صفوة العلاقات بين الدولتين، إيواء الخارجين عن النظام،حيث قام السلطان الأشرف قايتباي بتوفير ملجأ للأمير محمد بن السلطان مراد بن محمد بن عثمان شقيق السلطان بايزيد من أبيه، وكان قد رفض التنازل عن السلطنة لاعتقـــاده بأنـــه أحق بالسلطنة من أخيه، وكان ذلك بدعم أمه التي ساندته في هذا الأمر وقـــد وصـــف لنـــا ذلك المؤرخ المعاصر أنه عندما ذكر قدوم محمد أخ السلطان العثماني بايزيد إلى دمشق جُهزَ له استقبال حافل ومنح تشريفات سلطانية، لكن السلطان بايزيد اعتبر ذلك تعديا على شخصه من طرف دولة أخرى قد يؤدي إلى قطع العلاقات الدبلوماسية، وإعلان الحرب، فكانت هذه الحادثة أول احتكاك مباشر وحقيقي بين العثمانيين والمماليك.[1]

طبعا هناك ملمح آخر مهم يتعلق بسبب سقوط حكم المماليك على يد العثمانيين وسيطرتهم على مصر كجزء مهم ومحوري في العالم الإسلامي، وهو الأطماع الإيرانية للدولة الصفوية التي كان يقودها الشاه إسماعيل الصفوي الذي كان يريد زعامة العالم الإسلامية بحجة حمايته بعد تضعضع الحكم المملوكي وقصوره عن حماية نفسه وبقايا العالم الإسلامي من التهديدات الخارجية، والانتكاسات الكثيرة، فحتى مواسم الحج لـــم يكن أمراء المسلمين والمماليك على وجه الخصوص قادرين على تنظيمها لعدة سنوات.[2]

---

[1] أكمل الدين احسان أوغلى، ***الدولة العثمانية تاريخ وحضارة***، استانبول، 1999، مجلد 2، ص29.

[2] بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص 447.

لكن الدولة السنية العثمانية لم تكن لتقف متفرجة وهي ترى أن هذا الشاه الصفوي قد مس دعامتين أساسيتين في حكم المماليك طالما كانتا سبب لولاء المسلمين لهم وهي أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم رعاة المذهب السني الذي تعرض في إيران إلى ما يشبه التطهير المذهبي على يد الشاه الصفوي اسماعيل حيث لم يحرك المماليك ساكناً إزاء ذلك، واقتصر دورهم على استقبال الفارين من وجه الصفوي. أما الأساس الثاني وهو أن المماليك كانوا يعتبرون أنفسهم حماة الحرمين الشريفين وهي ميزة انفرد بها حكم المماليك فترة من الزمن عن باقي السلاطين.

فقد جرت العادة أن تكسى الكعبة في كل عام على نفقة السلطان المملوكي، لكن شاه إيران أراد أن يستغل ضعف وفقر المماليك ليتولى كسوة وحماية الكعبة ويحظى بهذه الصفة ويكون صاحب السبق في ذلك لما لها من تقدير وأهمية في العالم الإسلامي. في غضون هذا الوضع لم يكن لدى المماليك أمام هذه التهديدات إلا اللجوء إلى المصالحة والتهدئة، أو الإغراء والرشوة بالهدايا النفيسة، التي لم تثني الشاه الصفوي عن مواصلة التحدي ومحاولة إعلان الحرب على المماليك رغم كل المهادنة التي كانوا عليها.

فكان هذا الوضع السياسي المهادن والموقف العسكري الضعيف هو الدافع الأساسي والمحرك للسلطان سليم العثماني في التوجه إلى مصر لحمايتها من المد الشيعي، وتخليصها من حكم متهلهل وضعيف إلى جانب طبعا أطماع عميقة للسيطرة على قلب العالم الإسلامى واكتساب أهم صفة معنوية في هذا العالم وهو لقب حامي الحرمين الشريفين.

بعدما ساءت العلاقة بين العثمانيين والمماليك، وفشلت محاولات آخر السلاطين المماليك قنصوة الغوري في عقد الصلح مع السلطان العثماني "سليم الأول" أو إبرام معاهدة سلام، تأكد الغورى من رغبة سليم الأول في الاستيلاء على ملكه، فلجأ إلى التحقق من قواته في الجبهة

السورية وخرج بجيش كبير من مصر ورابط به في حلب، فاستغل سليم الأول الفرصة وعقد ديوان الوزراء والعلماء واستقر على اعلان الحرب بعد أن يرسل إلى الغورى رسالة يعرض عليه فيها الدخول تحت طوعه وكان الغرض من الرسالة اذلال قنصوة الغوري وجره للحرب. وعندما علم الغوري بخروج سليم لملاقاته، أرسل إلى والى دمشق يأمره جمع قواته ومعه أمراء الشوف ولبنان حيث كان ملتقى الجيشان عند سهل "مرج دابق" بالقرب من حلب في 24 من أغسطس 1516م. هناك كان تعداد الجيش العثماني فوق كل تصور حيث أنزل هزيمة نكراء بخصمه الغوري وتم قتله ففتح هذا الانتصار للعثمانيين الباب لدخول دمشق ودخلها السلطان سليم الأول بسهولة، وهناك بدء في التجهيز لغزو مصر والقضاء على الدولة المملوكية نهائيا بعد أن احكم سيطرته على الشام بعد أن قام المماليك في مصر بتنصيب "طومان باى" سلطانا، حيث أخذوا يعدون العدة لصد العثمانيين، إلا أن تكاسلهم وتقاعسهم كان كفيلا بسقوط الدولة وهزيمتهم في معركة الريدانية ومن ثم استيلاء العثمانيين على مصر التي دانت لهم لقرون وحكموها بتوجيه من الباب العالي بالأستانة.

**3- <u>المرحلة الاستعمارية</u>: بين الحملة الفرنسية سنة 1798م والاستيطان الإنجليزي 1881م**

لا شك أن هذين الحدثين في تاريخنا العربي يمثلان مفصلين زمنيين غاية في الأهمية والخطورة، لما لهما من تبعات كبيرة لم تؤثر فقط على فكرنا وأدبنا العربي فحسب ولكن هاته الحملات والهجمات الاستعمارية تسببت في تغييرات جذرية وحاسمة في البلاد العربية وربما يمثل يكون هذين الحدثين أسوأ ما عرفه تاريخنا العربي والإسلامي ككل، فهما أسوأ من المد المغولي العنيف الذي كان تمثلت مضاره في الجوانب المادية البحتة مما سببه من قتل وإحراق وتشريد، إلا أنه لم يكد يصل إلى جذور هذه الأمة أو يخترقها في عقلها ودينها كما فعل

الاستعمار الأجنبي الذي بدأ بحملاته المتوالية حتى انقض على هذا الأمة كليا فدخلها عنوة واستعمرها واستغلها ولم يكتفي بذلك فحسب ولكنه أعمل آلته الفكرية والعقلية والتعليمية ليخلخل فكرنا ويزعزع إيماننا.

وقد كان دخول الاستعمار لبلاد العرب أهم مفصل تاريخي غير خارطة هذه البلاد بل لقد غير جذريا بعض نواحي التفكير العقلي عند العرب.

**المعيار الديني:**

أما فيما يتعلق بالمعيار الديني الذي ألزم به بروكلمان نفسه لعرض مادته الأدبية، فهو حصره لهذه المادة ضمن دائرة الإسلام فقط، حيث نظر بروكلمان إلى اللغة العربية أو الأدب العربي عموما على أنهما القالب والمظهر الأساسي للثقافة الإسلامية، فأخرج بذلك من عمله كل الكتابات والأعمال التي صدرت عن اليهود والنصارى والتي اختصت فقط بهم وبعقائدهم وإن كتبت باللغة العربية، يقول بروكلمان:"... فإذا أردنا أن لا ينمو هذا الكتاب نموا غير محدد، وجب أن نحدد هذه المادة الضخمة فتخرج إذا عن دائرة نظرنا، كتب النصارى واليهود الذين استخدموا العربية لصالح معتقداتهم فحسب..."[1]، وبهذا يكون بروكلمان قد حدد الأدب العربي ضمن السياق الإسلامي أو ضمن دائرة الأدب الصرف، فوجد الأدباء من النصارى واليهود الذين لم يتوجهوا بكتاباتهم إلى إخوانهم في العقيدة مكانا في عمله الضخم.

وبالفعل فقد أحصى بروكلمان لكثير من الشعراء والأدباء غير المسلمين أعمالهم وحقق فيها وعرضها في سياقها التاريخي العادي، فذكر شعراء نصارى ويهود في عصر الإسلام الأول، مثل الأخطل وربيعة بن نجوان أعشى بني تغلب وكان نصرانيا، ويحي الدمشقي آخر كبار

---

[1] بروكلمان، ج 1، 1ص 5.

العلماء بعقائد المسيحية وكان والده صاحبا لعبد الملك بن مروان، وقد تأثر بعض علماء الكلام من المرجئة والقدرية ببعض آرائه العقائدية، ورغم أن له كتبا في عقائد المسيحية إلا أن بروكلمان لم يذكرها [1].

أما في مجال الترجمة فقد أفرد بروكلمان في كتابه هذا بابا خاصا بعنوان المترجمون تحت الباب الحادي العشر، والملاحظ أن أغلب أو جل من ذكرهم بروكلمان لم يكونوا مسلمين وهذه حقيقة تاريخية معروفة فيما يتعلق بدور العلماء المسيحيين واليهود في ترجمة بقايا التراث الإنساني قبل الإسلام سواء كان يونانيا أو فارسيا، وهو دور عظيم مكن الفكر العربي والإسلامي من إحداث ثورة علمية هائلة آنذاك. وقد أحصى بروكلمان حوالي 15 مترجما كلهم من نصارى العرب ومن بين من ذكرهم بروكلمان المترجم الكبير قسطا بن لوقا البعلبكي وهو من نصارى الملكية والذي ترجم مجموعة هائلة من الأعمال اليونانية، وحنين بن إسحاق أشهر مترجم في التاريخ الإسلامي وهو نصراني من مواليد الحيرة وقد كان طبيبا خاصا للخليفة العباسي المتوكل، وأشهر ما ترجم هذا الطبيب كتاب جالينوس في الطب إلى جانب مجموعة أخرى من الرسائل اليونانية الطبية. كما أحصى بروكلمان من جملة المترجمين المترجم المشهور أبو بشر متى بن يونس.

أما فيما يتعلق بتأثير الإسلام نفسه كدين على الفكر العربي فلم يبدأ في رأي بروكلمان إلا مع بداية وقيام الدولة العباسية، حيث أن روح الإسلام لم تسد فعليا إلا مع بداية الحضارة العباسية، التي بدأت فيها المقومات الإسلامية تفرض روحها كليا على أنماط الحياة والفكر داخل العالم الإسلامي، خاصة مع ظهور الكثير من المدارس الفكرية والجدل العقائدي والفقهي عموما.

---

[1] بروكلمان، ج 1، ص 256.

وهذا المعيار الديني هو الذي جعله بروكلمان مقوما من مقومات الدولة العباسية باعتبارها جسدت الروح الإسلامية في ثقافتها وشعرها وكان ظهورها هو الفيصل الزمني بين ما هو جاهلي وبين ما هو إسلامي، كما أشرنا سابقا إلى ذلك في الحديث عن المعيار الزمني.

## المعيار المكاني (الجغرافي):

يمثل البعد الجغرافي في عملية التأريخ الأدبي إشكالية حقيقية بالنسبة لأي مؤرخ عربي أو إسلامي عموما يريد أن يتعامل مع تراث غير عادي من حيث الاتساع والتعدد المكاني، خاصة في الفترات المتقدمة من عمر هذا التراث الذي كان العالم الإسلامي يكاد يكون فيه دولة واحدة أو إمبراطورية ذات قطبين أو ثلاث على الأكثر وهو ما يجعل عملية الحصر الثقافي أو الأدبي له عملية طويلة وشائكة، خاصة وأن الظاهرة العلمية كانت ممتدة تقريبا إلى كل نقطة في هذا العالم، حيث كانت كل مدينة في هذا العالم الإسلامي المتسع لها علماؤها وقلاعها العلمية.

من هنا نجد أن البعد الجغرافي قد يمثل عائقا تقنيا في عملية الحصر والترتيب، أو قد يكون عاملا مساعدا من حيث ترتيب المواد وسهولة الوصول إلى المادة العلمية.

لكن مع أفول الدولة الإسلامية الواسعة وظهور إمارات ودويلات عديدة عربية وإسلامية، أخذ العالم الإسلامي بعدا جغرافيا جديدا تماما، أصبح التأريخ لآدابه يحتاج إلى رؤية جديدة، رغم أن الكثير ممن ألفوا لهذا التراث من الكتاب المعاصرين اعتمدوا إلى حد كبير الطريقة التقليدية في التأليف والتصنيف وعلى ذات المنوال دون التفكير في صياغة طريقة جديدة تجمع بين ما هو قديم وما هو محدث في العالم الإسلامي.

فيما يخص التقسيم الجغرافي أو تحديد الدول والمناطق التي أنتجت عبر تاريخها كل ذلك التراث الضخم والذي اعتمده بروكلمان في أغلب أجزائه من العمل، نجد أنه يخضع في حقيقته لمعايير حضارية وتاريخية معروفة في العالم الإسلامي حيث تم التركيز فيها على نقاط جغرافية مهمة كانت معروفة منذ القدم، كمصر، الجزيرة العربية، سوريا، العراق، المغرب، الأندلس .....إلخ.

وهذا المعيار المكاني الذي يطغى على أغلب أبواب الكتاب خاصة في الأجزاء التالية أو الملاحق، ليس هو فقط الموجه لحيثيات العمل، فالموضوعات أيضا كانت معيارا حاضرا، فبعد أن يحدد بروكلمان نوع الموضوع المختار يبدأ بسرد مادته العلمية حسب كل منطقة أو دولة بما ييسر فعلا عرض المادة أو الوصول إلى المعلومة المبتغاة بسهولة، وهو ترتيب مناسب إلى حد كبير بالنسبة لأي باحث، لأنه يساعده في الوصول إلى مادته بطريقة أو بأخرى في ظل التنوع والتشعب الكبير الذي يتميز به التراث العربي، وهي ربما قد تكون خطة أو تجربة جاءت من خبرة عالم كبير مثل بروكلمان الذي عمل كثيرا في مجال الأرشفة والضبط الببليوغرافي، لأن عملية الوصول إلى المراجع أو المعلومات عملية صعبة وتحتاج إلى طرق عدة للوصول إليها، ولهذا كان التركيز نسبيا في أبواب الكتاب عند بروكلمان على الجانب الجغرافي مهما إلى حد كبير إلى جانب طبعا الموضوعات الأساسية والمعروفة.

وهو في الحقيقة معيار ملحوظ ومميز إذا ما قارناه ببقية الأعمال الكبرى للرافعي مثلا أو شوقي ضيف، واللذين ركزا على الموضوعات وأعمال المؤلفين دون مراعاة الجانب الجغرافي في عملية التبويب مما يعيق الباحث أو القارئ قليلا عن استيعاب كل ذلك الكم المهول والمسرود من المعلومات التي تشتمل في أغلبها أعلاما وعناوين وبلدانا شتى مما تجعلنا هذه الشبكة المعلوماتية في حاجة إلى تنظيم أو خريطة أكثر وضوحا، وإن كان الدكتور

شوقي ضيف قد استدرك ذلك في عمله الضخم والمميز، فجعل الأجزاء الأخيرة من كتابه عبارة عن معالم جغرافية حيث أفرد أجزاء للدول والإمارات والتي جعل لكل دولة منها بابا كالشام ومصر والسودان والجزائر....إلخ.

طبعا الملاحظ في هذا الأمر الذي نهجه الدكتور شوقي ضيف في أجزائه الأخيرة من كتابه تاريخ الأدب العربي أنه حينما وضع الدول كمواضيع أو أبواب فإنه قد وضع نفسه في مأزق لكونه أخذ مسلكا آخر خرج به عن دائرة الأدب، حيث تحول إلى الكتابة التاريخية الصرفة عن كل دولة من هذه الدول وذلك ربما كمقدمة للحديث عن مجالات الأدب والثقافة في كل دولة من هاته الدول، وبهذا لم يعد كتابه إلى حد ما كتابا عن تاريخ الأدب ولكن كتابا ثقافيا عاما بامتياز.

وبهذا نجد أن طريقة بروكلمان في العرض قد تكون أيسر وأكثر عملية لكونها اشتملت في أبوابها على كثير من المعالم الجغرافية.

**المعيار الكمي:**

عادة ما تشكل كل بقايا الشعوب والحضارات السابقة مادة علمية وتاريخية لفهمها ودراسة أحوالها وحقائقها بما في ذلك النقوش والجداريات والعملات وغيرها، وهذا ما لا يزال يتم حتى الآن على مستوى بعض الحضارات والثقافات البائدة التي اندثر منها كل شيء ولم يبق هناك إلا طلاسم أو حفريات أو نقوش تستدعي أعمارا وأجيالا وإمكانيات عالية حتى يمكن أن نستشف أو نفهم أو نقف على حقيقة ما أو سبق علمي لهذه الحضارة أو تلك، وهو الأمر الذي لا نشهده في حالة الحضارة العربية الإسلامية على وجه التحديد، لما تتميز به من ثراء

وضخامة في تراثها الموروث مما أغنى المؤرخين والباحثين والأثريين عن التنقيب في المجهول والمطموس.

من هنا وجدنا كيف اقتصر تاريخ بروكلمان للأدب العربي وإحصاؤه لمادته العلمية على ما لا يزال باقيا من مؤلفات كاملة أو شبه كاملة، وذلك لضخامة الموروث العربي وما تمتاز به اللغة العربية من ثروة لفظية هائلة، وبهذا أخرج بروكلمان أي مواد أخرى تستند إليها عادة بعض اللغات الفقيرة أو الميتة كالنقوش والرسائل والوثائق[1]. أما الكتب الكثيرة التي فقدت ولم يبق منها سوى نصوص مبعثرة فقد أخذها بروكلمان بعين الاعتبار خاصة ما حدد منها مجرى نمو الأدب العربي على نحو حاسم.

أما الكتب المفقودة فلم يشملها بإحصائه، لأن ذلك سيدخلنا في سلسلة غير متناهية تجعل من عمله ينمو نموا غير محدود ويخل بالعمل كله، خاصة وأنها كتب كثيرة وكثيرة جدا.

هناك أيضا أمر مهم أشار إليه بروكلمان يتعلق بالناحية الكمية لعمله وهو الدراسات الحديثة في مجال الأدب العربي والتي اعتبرها بروكلمان أكبر من أن تدخل في دائرة عمله، لأنها تستحق عملا مفردا ومستقلا بذاته، كما أنها تدخل حسب رأيه ضمن خطة جديدة لكتابة تاريخ للأدب العربي بالمعنى الحديث في علم الأدب.

كما أن هذه الدراسات الكثيرة والمتنوعة أصبحت تمثل فنا كتابيا جديدا يعتمد بالدرجة الأولى على الأخذ بالرؤية الغربية وربما في أحسن الأحوال ربط اللغة العربية بالثقافة الغربية ومحاولة التقريب بينهما، وهو الأمر الذي أثرى من جديد مجال الأدب العربي بشكل يكاد يكون غير متوفر لأي لغة أخرى سواء عن طريق الترجمة أو عن طريق الدراسة والبحوث،

---

[1] بروكلمان، ج 1، ص 4.

وبهذا لم يكن من الممكن لبروكلمان عرض كل تلك المادة الجديدة والتي لا تتوقف والتي يصعب معها تحديد مجالاتها أو اختصاصاتها.

وإن كان قد استثنى بروكلمان الأعمال المتعلقة بالشعر على وجه الخصوص خاصة تلك التي تمت في الربع الأخير من القرن 19م وهذا قياسا على ما هو مأخوذ به عند شعوب الثقافة الأوربية الحديثة التي يتداخل الشعر عندها عبر كل المراحل الزمنية.

**المعيار اللغوي:**

بدأ عالم الناطقين والمؤلفين بالعربية مع نهاية القرن التاسع عشر يعرف جهودا معتبرة في مجال الترجمة من لغات أخرى إلى اللغة العربية، وهذا على غرار الكثير من اللغات الأخرى التي دأبت على ترجمة كل جديد إلى لغتها الأم خاصة في العصر الحديث الذي تميز بثورة في أدوات المعرفة وطرق الوصول إليها أو اكتسابها، من وسائل طباعة وأدوات علم ووفرة الورق والنسخ والكتابة عموما مما جعل عالم الترجمة عالما قائما بذاته مقارنة بحقب زمنية سابقة شحت فيها الترجمة إلا ما كان من أمر الحضارة العربية التي كانت الترجمة فيها حدثا مميزا. من هنا حظيت اللغة العربية نسبيا بعدد وافر من الأعمال المترجمة إليها، بالإضافة طبعا إلى الدراسات الكثيرة والمتنوعة حول الأدب العربي التي تمت بلغات عديدة غير اللغة العربية مما أثرى مكتبة الأدب العربي من جديد بحصيلة علمية هائلة جعلت عملية الإلمام بها أو حصرها عملية فوق كل جهد، وهذا ما جعل بروكلمان يخرجها من دائرة بحثه وإحصائه، لأنها في نظره تدخل ضمن الدراسات المستقبلية للأدب العربي، أو ضمن خطة جديدة ينبغي أن توضع لهذا الأدب.

من هنا قرر بروكلمان أن يقتصر عرض مادته على ما تم كتابته بلغة عربية خالصة منذ البدايات وحتى العصر الحديث، خاصة وأن تاريخه يتعلق بالأدب العربي وجوانبه الأساسية

وهذا هو جوهر عمله وإن لم يكن أدبا عربيا صرفا كما هو الحال وكما هو ملموس ولكن الطابع التراثي هو الذي جعله يدخل في مادته كل ما كتب باللغة العربية من أدب ولغة وتاريخ عام وفلسفة وطب وغيرها من العلوم العربية القديمة التي استعملت اللسان العربي كأداة للتعبير والصياغة.

لا شك أن هذا المعيار اللغوي كان مهما لتحديد هوية وأبعاد هذا العمل الضخم، فهناك عدد معتبر من الأعمال التي كتبت بغير العربية إما بغرض التعليم أو التفسير أو الدرس والمناقشة وهذا أمر تحفل به مكتبات العالم الإسلامي في نقاط عدة كتركيا وإيران والهند، حيث أن هناك الآلاف من الكتب التي كتبت بهذه اللغات حول قضايا في اللغة العربية أو قضايا متصلة بها ضمن علوم دينية لهذه الشعوب وهذا أمر طبيعي لدى أمم لا يزال تعليم اللغة العربية فيها أمر أساسي ومهم لاعتبارات دينية بالدرجة الأولى، من هنا كان من الصعب أن يدرج في هذا التأريخ أو التصنيف كل عمل متصل باللغة العربية كتب بغير هذه اللغة وإلا كنا سنجد أنفسنا أمام مهمة علمية مستحيلة أو شديدة الصعوبة والتعقيد والتداخل، وبهذا خرج من دائرة بروكلمان كل عمل تم بغير اللغة العربية إلا فيما ندر أو ما كان يستحق الإشارة والتنويه.

ورغم أن عرضه كان يقوم على جميع جوانب التراث العربي الإسلامي، إلا أنه أخرج من دائرته ما كتب بلغات أخرى كالفارسية والتركية والأوردية لأنها تمثل بعدا آخرا ومختلفا يدخل ضمن دائرة التراث الإسلامي وهذا يحتاج إلى عمل أوسع وأضخم بكثير ربما تقوم أجيال أخرى، كما أنه شأن كل لغة من هذه اللغات لتظبط تراثها الإسلامي حتى يحدث لدينا تكاملا تراثيا مستقبليا، ولهذا كان من المنطقي ومن الإنساني الاقتصار على جانب من هذا التراث المدون باللغة العربية الخالصة يخرج عن دائرته باقي اللغات، كما أن اللغة العربية تميزت بشرف خاص لكونها تدور حول أصول مصادر هذا التراث التي هي عربية خالصة

وهذا هو ما أكسبها كل هذا التميز والتفرد والرسوخ والتنوع والثراء، حتى كأنه لم يعد لباقي اللغات ما تقوله أو تضيفه لهذه الأصول، وإن كان هذا الأمر لا يلغي دور هذه اللغات التاريخي ومدى الثراء الذي حققته للتراث الإسلامي ككل، بل إن لغة كالفارسية تكاد تضارع العربية فيما أنجزته وكتبته وأضافته للمكتبة الإسلامية ولهذا وجدنا كيف اهتم المستشرقون بوضع وترتيب مادة التراث الفارسي الإسلامي تماما كما هو الشأن مع التراث العربي.

طبعا هذا البعد اللغوي انسحب أيضا على معظم الدراسات الحديثة التي تمت بغير العربية والتي أثرت المكتبة العربية الحديثة أيما إثراء خاصة ما ترجم من هذه الدراسات إلى اللغة العربية من جديد، والتي كان من الصعب على بروكلمان وهو يضع أول وأحدث تأريخ للأدب العربي من أوليته إلى غاية العصر الحديث أن يكون في مقدوره حصر كل ذلك الكم المهول من الدراسات المتعددة لغويا حول اللغة والأدب العربي عموما.

ولهذا لم يكن بوسع بروكلمان أن يحصي كل ما كتب بلغات أخرى أو تعلق باللغة والأدب العربي منذ الاحتكاك الغربي بالعرب و حتى العصر الحديث، واكتفي بالأعمال العربية اللغوية الخالصة قديما وحديثا دون أن يدخل حتى ما هو مترجم أو ما درس حديثا حول اللغة العربية لأن هذا يحتاج في رأيه إلى رؤية علمية جديدة أو مشروع متكامل بأهداف جديدة تنطلق من مذاهب حتى جديدة، وهذا للأسف ما لم يتم حتى الآن في تاريخنا الأدبي.

## المبحث الثالث: خطة بروكلمان

قبل أن نتكلم عن خطة بروكلمان الأساسية في عمله لا بأس أن نعرض لبعض الملاحظات المهمة التي تحدد مسار هذه الخطة والتي تساعد على فهم أوسع لطريقة بروكلمان العلمية في عرضه كما أنها تساعد على تحرك بحثي أفضل داخل خارطة هذا العمل الضخم والمتشعب.

**ملاحظات عامة عن عمل بروكلمان**

**ملاحظة 1**: هناك إضافات مهمة كتبها بروكلمان باللغة العربية قبل وفاته بقليل ليست موجودة في النص الأصلي (الألماني) أشار لها المترجمون عدة مرات ضمن حواشي الكتاب كزيادة في التنويه والتحقيق وإثراء لكتاب بروكلمان، فمثلا: عندما أشار بروكلمان في معرض حديثه عن الشعر الغنائي في أغاني الصيد عند بدو العرب، ذكر أن الصيد لم يكن عندهم رياضة أو

متعة وإنما كانوا يمارسونه كنوع من التغلب على خشونة العيش. وقد ذكر المترجم بأنه أخذ هذه الإضافة من النسخة العربية التي كان بروكلمان بصدد كتابتها بنفسه قبيل وفاته والتي اقترح خطتها على الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية سنة 1948 م.[1]

**ملاحظة 2**: رغم التشابه الكبير الذي يلحظه القارئ بين عمل بروكلمان وعمل سيزكين المحدود (المتصل فقط حتى حوالي القرن الخامس الهجري فقط) إلا أن عمل بروكلمان يتميز بكونه أكثر شمولا وتغطية لكل العصور، كما أنه سهل العرض بما يتسنى للباحث أن يطلع على أغلب ما كتب أو قيل عن مادة الموضوع الذي هو بصدد البحث فيه، مع ضرورة مراعاة العودة حتما إلى مراجعة الإضافات المهمة التي قدمها سزكين فيما بعد ليصبح كلا العملين يكملان بعضهما البعض.

**ملاحظة 3**: فيما يتعلق بكثرة الأخطاء التي ظهرت فيما بعد في عمل بروكلمان، فهي قد تكون متداركة ومنقحة في عمل سزكين نفسه والذي قد يكون مغنيا بالنسبة للباحث ككل عن عمل بروكلمان ضمن العصور التي عالجها سزكين، لكن عندما يتوقف عمل سزكين يبدأ عمل بروكلمان من جديد والذي للأسف لم يظهر عمل مضاهي أو موازي بما ينقحه أو ينسخه. وقد كان من المنطقي أن يوجد في مثل هذا النوع من الأعمال أخطاء قد تكون حتى جسيمة، لكننا بصدد عمل غير محدد ومحصور بل هو ضارب في الأزمنة والأمكنة بما يستحيل على بشر أن يستدرك أو يلاحق كل معلومة وردت فيه، خاصة إذا كانت الظروف العلمية لبعض البلاد غاية في السوء والإهمال، بل ويتعذر على الباحث الجاد أن يجد طريقا ميسرا للمعلومة سوى الاعتماد على مصادر جانبية أو معلومات مهلهلة غير دقيقة، حيث تظهر هذه الحالة المزرية جيدا في وضع التراث العربي منذ القديم وحتى أيامنا هذه في نموذجين كاليمن والجزائر اللتين

---

[1] بروكلمان، ***تاريخ الأدب العربي***، ج 1، ص 48.

ما زال وضع المخطوطات فيهما غاية في التشرذم والتشتت والإهمال، فكيف يكون بمقدور بروكلمان أن يتلافى أو يتحقق من معلوماته في هذا الشأن وهو ينجز عمله هذا مع بدايات القرن الماضي. وللأسف حتى المعلومات المتواضعة التي ذكرها بروكلمان عن مصادر المخطوطات في الجزائر والتي منها ما هو معلوم ومعروف في فهارس العالم للمخطوطات ومنها ما هو خاص بخزائن لعلماء وأفراد مثلا في الجزائر، والتي عندما جئنا نتحقق منها لم نجد لها امتدادا يذكر، فقد أصبحت بعض هذه الأماكن والمكتبات الخاصة التي أشار لها بروكلمان أثرا على عين، والتي لا نعرف إلى الآن مصيرها، هل ضمت إلى مكتبات عامة أو وطنية، أم لا تزال طي الكتمان والإهمال.

## خطة بروكلمان الأساسية:

نظرا إلى أن بروكلمان أراد أن يقدم إلى الباحث في مجال الأدب العربي دليلا عمليا متطورا ووافيا، فإن طريقة العرض كانت تحتاج إلى ابتكار حقيقي أو نظرة فنية جديدة لم يسبق لها أحد، خاصة بعد أن عادت للتراث العربي روحه من خلال جمع مخطوطاته وإن تفرقت في مكتبات العالم إلا أن ذلك كان من حسن الأقدار، حيث توزعت جهود الباحثين في كل بلاد الدنيا لدراسة هذا التراث الذي كان يصعب أو يستحيل على العرب وهم في حالة مزرية من التخلف والجهل أن يقوموا على دراسة أو تحقيق كل ذلك الموروث الضخم.

في ظل هذه المعطيات الجديدة التي توفرت للتراث العربي، كان بروكلمان في حاجة إلى خطة علمية دقيقة أو طريقة مبتكرة لعرض هذه المادة المتنوعة والغزيرة، ولهذا نجده قد ركز إلى حد بعيد على الجانب المعلوماتي الصرف إلى جانب مداخلات علمية دقيقة ووافية بما يقتضيه

المقام. خاصة وأن مثل هذا العرض الجديد كان ضروريا بعد أن خرج تراث العرب من بلادهم وأصبح تحت أيدي أجنبية بشكل مريب ومفزع، والذي كنا معه عربا وغير عرب في حاجة حقيقية إلى التعرف عليه بشكل جديد من خلال تكوين فكرة عامة عنه أولا ومن ثمة تقديم دراسات متنوعة عنه لاحقا وهذا هو المبتغى الذي سعى بروكلمان إلى تحقيقه ما أمكن في عمله "تاريخ الأدب العربي".

طبعا كان الهدف الأساسي من هذا العمل هو تعريف القارئ أو الباحث بالدرجة الأولى في آداب العرب على أكبر قدر ممكن من الإنتاج الفكري العربي على اختلاف الأصول والأوطان ضمن خريطة عرض متداخلة نسبيا إلا أنها كانت منظمة إلى حد بعيد وإن كثرت فيها الرموز والأرقام، ولكنها ضرورة علمية لا مناص منها مع موروث إنساني ضخم وكثير ومتنوع.

كانت خطة بروكلمان الأساسية في هذا العمل تعتمد أو تقتصر فقط على تقديم وإعداد مواد مهمة لمساعدة الباحث والمطلعين في مجال الأدب العربي في البحث عن تراجم المؤلفين وأخبار الكتب في التراث العربي القديم والحديث نسبيا.

لقد عمل بروكلمان في عرض مادته العلمية على التركيز في أهم مكونات وأصول الأدب العربي بالتقديم إليها بشكل موجز ودقيق ومن ثمة عرض كل منتوج أدبي لهذه المكونات بحسب ما تيسر له من مادة أينما كانت في العالم، وقد عمل بروكلمان على مراعاة التسلسل الزمني للمؤلفين ضمن إطار جغرافي واسع لهم دون إخلال أو خلط، شمل أصول منشأهم أحيانا أو البيئة التي عاشوا فيها كمبدعين.

**وكان عرضه وإحصاءه يقوم على الآتي:**

1- وضع مقدمة أساسية وموجزة لكل وحدة أدبية شكلت محورا للإنتاج الأدبي عبر العصور، هذه المقدمة عبارة عن عصارة علمية اختصرت كل النقاش العلمي منذ القديم حتى العصر الاستشراقي.

2- ذكر اسم المؤلف ونبذة دقيقة عنه تعتمد على تاريخ الميلاد والوفاة ومراحل التعلم بالنسبة للشخصيات اللاحقة في الحضارة العربية الإسلامية مع التعرض إلى أهم الشيوخ والمؤثرات الحقيقية في حياة المؤلف، مركزا أحيانا على المشاهير بشيء من التفصيل.

3- عرض المخطوطات العربية المتعلقة بكل وحدة أدبية أو شخصية تاريخية، مع تحديد أماكن وجود مخطوطات المؤلف في مكتبات العالم وظروف تحقيقها (المحقق، سنوات ومكان النشر).

4- ذكر أهم المصادر والمراجع التي استقى منها بروكلمان معلوماته عن المؤلف. مع التركيز دائما على الدراسات الاستشراقية.

5- ذكر أغلب أعمال المؤلف المشهورة عنه وحتى المحتملة.

6- ذكر الترجمات التي تمت لهذه المخطوطات إلى غير العربية (فارسي/ إنجليزي / فرنسي ...إلخ) مع تحديد مترجمها ومكان وتاريخ نشرها.

## المبحث الرابع: عرض تفصيلي لكتاب بروكلمان

**الكتاب الأول:**

تناول بروكلمان في الكتاب الأول أدب اللغة العربية الجاهلي والذي قسمه إلى ثلاثة أبواب، حيث بدأ الباب الأول بعرض لبدايات الأدب العربي منذ ما قبل الإسلام (الجاهلية) حتى ظهور الإسلام والذي اعتبره تراثا عربيا قحا يعبر تعبيرا حقيقيا عن الروح البدوية العربية قبل اختلاطها اللاحق بعناصر غير عربية. وتضمن هذا الباب عشرة فصول امتدت حتى ظهور الدعوة المحمدية، وقد أفرد في هذه الفصول تعريفا وإحصاء لأولية الشعر العربي وأولية الرواية العربية ثم أولية النثر العربي حيث ذكر أهم الشخصيات الأدبية من شعراء وخطباء

عرب قبل الإسلام، مع حصر لأهم مصادر أعمالهم من خلال المخطوطات أو الأعمال التي تمت حولهم، خاصة وأننا نتكلم عن أهم وأخطر مرحلة حاسمة في أدبنا العربي.

أما الباب الثاني فقد خصصه للأدب العربي بدأ من عصر النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أي ما بعد ظهور الإسلام، وهو مفصل لا شك مهم لكنه من الواضح عند بروكلمان أنه ما يزال يدخل في حقبة الأدب العربي الجاهلي خاصة وأننا نتكلم عن مرحلة لم يتبلور فيها بعد أي منتوج أدبي شعري عربي مع ظهور الإسلام والدعوة المحمدية، وقد قسم هذا الباب أيضا إلى عشرة فصول، كان أهمها فصل عن القرآن ومصادر مخطوطاته حول العالم وأهم الدراسات القديمة والحديثة عنه خاصة من قبل المستشرقين، وفصل عن الشعراء المخضرمين وأخيرا فصل عن أدب علوي منحول.

أما الباب الثالث فقد خصصه بروكلمان للعصر الأموي باعتباره عصرا ممتدا لما قبل الإسلام وما بعده والذي لم يعرف فيه الأدب العربي حسب رأي بروكلمان تغييرات حقيقية أو جذرية في مكوناته أو طبيعته بل إن الروح القبلية والبدوية الجاهلية قد استمرت في هذا العصر إلى حد ما. وقد قسم بروكلمان هذا الباب إلى عشرة فصول تحدث من خلالها عن رموز الشعر في هذا العصر حيث أفرد فيها فصلا للأخطل وفصلا للفرزدق وفصلا لجرير وكان الفصل السابع للشاعر ذو الرمة الذي يمثل بشعره أقوى انعكاس للروح البدوية لكونه سلك مسلك الشعراء البدو في شعره رغم أن هناك في أشعاره ما ينم عن كونه حضريا، خاصة وأنه عايش أهل المدائن واقترب منهم. ولكن بروكلمان اعتبره آخر الشعراء ممن ذهب مذهب البدو في القصيد وبهذا يكون ذو الرمة أبرز شاعر عربي عكس الروح القديمة للشعر الجاهلي في العصر الأموي.[1]

---

[1] بروكلمان، ج 1، ص 220.

**الكتاب الثاني:**

تناول بروكلمان في هذا الكتاب أدب اللغة العربية الإسلامي وقد قسمة إلى بابين، الباب الأول يبدأ من عصر النهضة العربية (حوالي 750م حتى سنة 1000م)، أي منذ قيام الدولة العباسية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، وهذا هو ما يعرف بالعصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية على جميع المستويات، وقد تضمن هذا الباب تسعة عشر فصلا تكلم من خلالها المؤلف عن شعراء هذه الفترة الخصبة من أدب العرب في بغداد والجزيرة العربية والشام ومصر والأندلس وشمال إفريقيا، كما تكلم عن نشوء مدارس اللغة العربية وتطورها وروادها. أما الفصل الخامس فقد أفرده بروكلمان للتاريخ الذي بدأه بالسيرة النبوية حتى تاريخ الأندلس. كما جعل فصلا للحديث النبوي، تكلم فيه عن أوائل الرواية وأصحاب الصحاح. أما الفصل التاسع فقد خصصه بروكلمان للفقه الإسلامي ومدارسه الكبرى (سنة، شيعة، إمامية، قرامطة...إلخ) وحتى المذاهب المندثرة. جعل بروكلمان الفصل العاشر للقرآن بدأه بأصحاب القراءات والمفسرون، أما الفصل الحادي عشر فقد خصصه للعقائد وما انبثق عنها من مدراس كلامية ومتكلمين.

أما الفصل الثاني عشر فقد جعله بروكلمان للتصوف، الذي بدأه بالإشارة إلى أهم مصادره ودراساته الحديثة في الإطار الغربي، وهذا لمدى الاهتمام الشديد والجدل المثار الذي عرفه هذا المجال الديني من قبل الدارسين والمستشرقين الغربيين، وقد قدم بروكلمان لهذا الفصل بمداخلة تاريخية دقيقة عن تأثيرات المحيط والثقافات الأخرى في مسميات ومسارات هذا الاتجاه الديني الخصب والذي لم يكن بأي حال غريبا على الفكر الإسلامي تماما كما هو الحال مع جميع الديانات السابقة التي عرفت هذا السلوك العقائدي والأخلاقي بما يعلو أو ينقص من ديانة إلى أخرى. وقد كان بروكلمان يتوقف عند كل شخصية مهمة في هذا المجال

بسحب تأثيرها التاريخي أو ما يثار حولها من جدل كما هو الحال مع الإمام الجنيد والحلاج وما حفلت به الدراسات عبر العصور.

كما أفرد بروكلمان لكل من الترجمة والمترجمين والفلسفة والرياضيات وعلم الفلك والتنجيم والجغرافيا والطب والعلوم الطبيعية والخفية فصلا مستقلا، أما آخر الفصول في هذا الكتاب فقد خصصه بروكلمان للموسوعات العربية الأولى التي عرفها التراث العربي، كمفاتيح العلوم وجوامع العلوم وغيرها من أمهات الكتب العربية.

ويبدأ بروكلمان الباب الثاني بعصر جديد سماه عصر ما بعد الفترة القديمة للأدب الإسلامي يمتد من حوالي 1000م إلى 1258م، وهو العصر الذي بدأ الأدب العربي فيه يضعف ويسير نحو الجمود خاصة في الجانب الشعري بسبب النقد اللغوي وسيطرة قالب القصيدة الذي كان يغري بمحاكاة الشعر القديم. وهذا العصر يمثل بداية حقيقة لعصور انحطاط الأدب العربي الذي وصل إلى مداه بعد اكتساح المغول لأغلب بلاد العرب.

في هذا الباب وضع بروكلمان مقدمة مهمة ودقيقة عن مسارات الأدب العربي وتأثيراتها التاريخية العميقة بدء من هذه المرحلة ووصولا إلى العصر الحديث، فاعتبر مثلا ابتكار الشاعرين ابن الفارض والبهاء زهير لنوع من الشعر مزجا فيه القوالب القديمة مع أنماط الحياة والتقاليد السائدة في عصرهما عاملا مؤثرا ومستمرا في تسلسل الشعر العربي وسهولة ارتباطه بالشعر الحديث لقرب أسلوبهما من الحياة وتحرره نسبيا من القيود رغم كل مظاهر الصنعة والتكلف الأدبي الخاوي المضمون أحيانا. وربما نجد في شعر العصر الحديث نماذج قوية لاستمرار تأثير هذين الشاعرين اللذين عاشا تحت رعاية وعطف بعض أمراء القصور الصغيرة التي كان يعج بها العصر الأيوبي في مصر. أما في مجال التاريخ فقد تأسف بروكلمان لكون البهرجة التي تطغى على كتابة الدواوين قد أثرت في كتابة التاريخ ووضوح

عرضه، باستثناء كتاب التاريخ العام، الذين يرى بروكلمان أنهم في الأعم الغالب لا يحترمون كثيرا المنجزات العقلية لأسلافهم، وهي وجهة نظر عميقة وربما غير مسبوقة، أو ربما يكون رأي بروكلمان هذا واحدة من فلسفات ابن خلدون العبقرية. أيضا تكلم بروكلمان في هذه المقدمة الدقيقة عن دور الغزالي الحاسم في خصومات علم الكلام والفلسفة عموما.

قسم بروكلمان هذا الباب إلى ثمانية عشر فصلا استهلها بالشعر والشعراء، ولكنه في هذه الحقبة نجده قد أفرد لأول مرة فصلا عن شعراء إيران، لأنها كانت قد استقلت عن مركز السلطة في بغداد، لكن الشعر العربي احتفظ بمكانته ورعاية الحكام فيها.

**الكتاب الثالث:**

أما الكتاب الثالث فكان خاصاً بالتراث الإسلامي في فترة تالية، خصص بروكلمان قسماً من هذا الكتاب للفترة الواقعة بين الغزو المغولي ودخول السلطان سليم مصر سنة 1517. وكان عرضه لهذه الفترة على أساس العلوم المختلفة في كل إقليم على حدة. فجعل مصر والشام وحدة جغرافية وحضارية واحدة، وتحدث عن كل علم في الإطار المصري الشامي في تلك الفترة، وأفرد للعراق والجزيرة باباً ثانياً، وتناول في الأبواب التالية المناطق الآتية: شمال الجزيرة العربية، وجنوب الجزيرة العربية، وإيران، والهند والترك والدولة العثمانية، والمغرب العربي وإسبانيا الإسلامية.

وبهذا أدخل البعد الجغرافي في عرضه بعداً جديداً ينضوي تحت العصر وينضوي تحته الفرع من فروع العلم .

أما الفترة التالية في الكتاب الثالث فتناولت بالمنهج نفسه التراث العربي ابتداء من دخول السلطان سليم مصر سنة 1517 إلى حملة نابليون بونابرت سنة 1798، والتزم بروكلمان بالتقسيم الجغرافي في عرضه لهذه الفترة. ويلاحظ أنه أفرد فصلاً للسودان في العصر

العثماني، ولم يفعل هذا في المراحل السابقة، وهو في هذا يراعي طبيعة التراث الذي كان يقوم بتصنيفه .

أما القسم الثالث في الكتاب فكان مخصصاً لما بعد حملة نابليون، ودار الحديث مفصلاً عن مصر وسوريا في العصر الحديث، وأقل تفصيلاً عن العراق، وتضاءلت المادة أمام بروكلمان وهو يبحث عن التراث العربي في جزيرة العرب وإيران وأفغانستان والهند والمغرب والسودان.

وهكذا انتهى عرض بروكلمان لهذه المادة المتشعبة تخصصاً، الممتدة تاريخياً، المترامية جغرافياً. أما الملحق الذي أعده بروكلمان ذيلاً لكتابه هذا فقد أكمل فيه ما فاته في العمل الأصلي من ذكر المؤلفات أو إكمال المخطوطات حتى صار الكتاب أكثر كمالاً ودقة. وقد خصص بروكلمان في الملحق كتاباً رابعاً تناول فيه الأدب والحياة الثقافية في العالم العربي الحديث في كل الأقطار العربية حتى نشوب الحرب العالمية الثانية، ولم يتجاوز بروكلمان في عرضه للعصر الحديث إطار الأدب والثقافة الإنسانية ليتحدث عن العلوم المختلفة، كما كان دأبه في المجلدات السابقة. وهكذا أسهم بروكلمان في بحث التراث العربي وعرضه وتحقيقه من عدة جوانب: وصف مجموعات وتحقيق مخطوطات وكتابة فصول موجزة في تاريخ الأدب العربي سنة 1901 ثم 1954.

لقد أصدر بروكلمان عمله هذا في مجلدين أصليين وثلاث ملاحق لها، لكن هذه الملاحق لا تلغي الأجزاء الأولى لأنها مجرد إضافات وزيادات أو تعليقات رأى المؤلف ضرورة وضعها ضمن أجزاء مستقلة حتى يبقى العمل محافظا على بنيته ككل. وبالتالي لا بد من استشارة الأصل والملحق معا جنبا إلى جنب أثناء السعي إلى معلومة ما أو البحث عن مادة علمية عند بروكلمان وإن كان في الأمر مشقة لكن هذا ما أملته الضرورة على بروكلمان آنذاك دون أن

يتم للأسف استدراك هذا الأمر، إلا ما كان من أمر العمل المترجم الذي حاول التوفيق بين الأصل والملحق ولكن للأسف لم تكتمل حتى الآن عملية الترجمة.

**ملاحظات عامة على الكتاب:**

- استبعد بروكلمان من كتابه كل ما كتب بالعربية من الأعمال المسيحية و اليهودية التي تتصل بالعبادات والتي لا تستخدم إلا في الكنائس و البيع.
- وضع رموزًا للمكتبات، في هيئة قوائم نجدها في أول أجزاء كتابه، حتى لا يكرر اسم المكتبة مطولا.
- أثبت الحروف اللاتينية التي يستخدمها في أسماء الكتب و المؤلفين ووضع المقابل العربي لها في قائمة في أول كتابه.
- ذكر نحوًا من عشرين ألف مخطوط في كتابه.
- اعتماده على فهارس المخطوطات جعله يقع في نفس الأخطاء و الأوهام التي وقع فيها أصحاب هذه الفهارس.

## المبحث الخامس: مصادر بروكلمان في كتابة "تاريخ الأدب العربي"

### نظرة على المصادر بين عمل بروكلمان وعمل سزكين:

بما أن أقرب نموذج لتاريخ الأدب العربي لبروكلمان هو عمل سزكين الذي عدل التسمية فيه إلى تاريخ التراث العربي ليكون أكثر دلالة ومنطقية، فقد ارتأينا في هذا المقام الوقوف على مدى التفاوت بينهما من حيث المصادر ومقدار الإضافات والزيادات التي زخر بها عمل سزكين، خاصة وأنه جاء بعد فترة تيسرت فيها للباحثين ضمن مجال التراث العربي الإسلامي عموما آفاق جديدة وامكانيات كبيرة كما ظهرت مجموعات جديدة من المخطوطات إلى جانب طبعا الدراسات الوفيرة التي تمت حول هذا التراث على الصعيدين العربي والغربي

الاستشراقي، بما مكن عالما قديرا وضليعا مثل سزكين أن يقدم جديدا معتبرا للبحث العلمي التاريخي حول الأدب العربي. وهو ما نلمسه من حجم التحقيق والتدقيق الموجود في عمل بروكلمان بما يجعله متفوقا إلى حد كبير على عمل بروكلمان لولا أنه توقف عند نقطة زمنية تجعلنا نعود إلى عمل بروكلمان من جديد.

من البديهي القول أن هناك تفاوت كبير بين هذين العملين بالتحديد من حيث المصادر التي توفرت لكليهما، ومدى التفوق والثراء الذي يميز عمل سزكين عن عمل بروكلمان ضمن الحقبة الزمنية المحددة التي توقف عندها عمل سزكين (القرن الرابع الهجري)، والذي أكد معه مرارا أنه يعتبر عمله "تاريخ التراث العربي" عملا تكميليا لعمل بروكلمان "تاريخ الأدب العربي" وهو أمر واضح ومسلم به، رغم أن سزكين قدم مواد علمية وأبواب أخرى جديدة كليا بما يجعل عمله مختلف إلى حد كبير عن بروكلمان، وهو أمر طبيعي جدا حدث مع بروكلمان نفسه عندما توفرت له مصادر جديدة جعلته يصدر معها عبر عقود ملاحق ضخمة لعمله الأصلي، وهو الذي سيحدث حتما مع عمل سزكين نفسه رغم ما يتميز به عمله من قوة وأصالة ونزاهة علمية وصبر كبير بما يجعله إنجازا عالميا بامتياز لولا أنه جاء محدودا، وهذا ما يجعل عمل بروكلمان يعود دائما إلى الواجهة من جديد لأنه عمل شمل كل العصور التاريخية لآداب العرب حتى العصر الحديث (أي حتى قبل وفاة المؤلف بسنوات قليلة).

طبعا يبدو من حيث المصادر المشار إليها في كل عمل من هذين العملين أنها تختلف بحسب الجديد الذي حدث وتوفر ونشأ في داخل العالم الإسلامي نتيجة الكشوفات الجديدة للمخطوطات في أنحاء العالم أو ضبط فهارسها وترتيبها والذي كان يتم ولا يزال بشكل دوري في متاحف ومكتبات العالم خاصة ضمن العالم المتطور الذي أبدع أيما إبداع في الاهتمام بهذه المخطوطات.

فمن الواضح أن المادة العلمية التي توفرت واجتمعت في داخل مكتبات تركيا وعواصمها العلمية (كاسطنبول مثلا) قد أحدثت ثورة من حيث المصادر والمعلومات الجديدة التي توفرت لسزكين بما جعلته يفكر في تقديم عرض جديد، رغم أنه كان ينوي أن يجدد عمل بروكلمان بما تهيأ له من جديد، فكانت الخطة أن يضيف ملحقا إلى عمل بروكلمان وفق مخطوطات مكتبات إسطنبول وهي مادة غزيرة ومهمة، وكان ينوي أن يشترك معه في هذا العمل الأستاذ الكبير رشر وهو حجة في تاريخ التراث العربي، والذي جمع وحقق ونقح بدوره مادة هائلة أثناء عمله بالمكتبة السليمانية بإسطنبول، ولكن العمر لم يكن يسمح له بذلك فتنازل للأستاذ سيزكين عن مادته ليتفرغ له هذا العمل الكبير وحده.

وبعد فترة وجيزة قرر سيزكين أن يعدل من خطته ليصدر كتابا مستقلا لتاريخ التراث العربي، حيث قام بدراسة كل المواد المتاحة والتحقيق فيها من جديد وراجع كل ما ذكره بروكلمان وأضاف له معلومات جديدة ومكملة مثل: تاريخ المخطوطات، عدد أوراقها وصفحاتها، وعدد أجزائها. وبهذا يكون عمل سيزكين المتعلق بالمرحلة الزمنية التي توقف عندها (القرن الرابع الهجري) عملا دقيقا ومضبوطا وموسعا عن عمل بروكلمان بما يجعلهما عملان متلازمان لا يمكن للباحث الجاد أن يستغني عن أي منهما، فهما مكملان لبعضهما خاصة عمل سيزكين الذي لا بد من الرجوع إليه بأي حال من الأحوال.

وتتميز مصادر سزكين بوصف أكثر دقة وتوسع لها خاصة، للمخطوطات منها من حيث عدد أوراقها وأماكن تواجدها مع رموزها طبعا.

وإن كانت هذه الزيادات من سزكين لا تمثل حقيقة إنقلابا علميا من حيث مصادر التراث العربي ككل، إلا أنها تعد استكمالا مفيدا للباحث الذي يريد أن يطوي مشكلة ما هو بصدد البحث فيه نهائيا، فبعد مراجعة واستشارة عمل سزكين فإنه لا يعود بوسع الباحث أن يجد عند

غيره جديدا حقيقيا، فقد غطى سزكين ببحثه واستقصائه وتدقيقه كل جوانب هذه المصادر سواء من حيث ارتباطها العربي القديم أو من حيث تحقيق المستشرقين لها حتى عصر المؤلف.

فعدا عن المصادر التي ذكرها المؤرخون وعلى رأسهم بروكلمان، فقد أضاف سزكين بعض الأنواع الجديدة من هذه المصادر خاصة ما تعلق منها بالشعر وإن كان سزكين يرى أنها ما تزال في حاجة إلى رؤية واضحة أو دراسة أكثر تحقيقا وتدقيقا.

وقد زاد سزكين إلى قائمة المصادر الأساسية بعض العناوين التي لا نجدها عادة المؤرخين، تحت مسميات جديدة أضاف لها الكثير من المراجع القديمة والحديثة التي لم يذكرها بروكلمان في كتابه ولم يذكرها حتى المؤرخين الذين جاءوا بعد بروكلمان، ومن أهم تلك المسميات كتب المعاني التي تم تصنيفها وفق معان ومفاهيم محددة مثل كتاب الخيل والسباع والطعام والضيافة والتي نجدها في كتب القدامي كابن قتيبة والعكسري. وقد أحصى سزكين في هذا الصدد حوالي ثلاثة وثلاثون كتابا.

أيضا أفرد سزكين في كتابه من مصادر الشعر القديم كتب مناقب العرب ومثالبها وأبطالها ومآثرها ونقائصها، وهي تدخل ضمن كتب "أيام العرب" في الجاهلية حيث يرجع بعض هذه الكتب إلى القرن الأول الهجري ككتاب "مثالب العرب" لزياد بن أبيه (المتوفى سنة 53 هـ)، وقد بلغ مجموع ما أحصاه في هذه الكتب 12 كتابا. كما ذكر سزكين أيضا كتب النقائض التي تروي في طياتها الكثير من الشعر العربي القديم وإن كان يعد استكمالا لمختارات الشعر الجاهلي الأساسية.

وقد جعل سزكين كتب الأدب العربي أو الثقافة العربية عامة مصدرا مهما لدراسة الشعر الجاهلي وإن كانت لا ترقى إلى أهمية كتب المختارات والدواوين، لأنها تضم في حالات

كثيرة مادة قيمة لا نجدها في الكتب الأخرى، ونجد مثلا حيا لها في كتب مثل البيان والتبيين للجاحظ وعيون الأخبار لابن قتيبة والكامل للمبرد والعقد الفريد لابن عبد ربه.

فيما يلي سنقدم فكرة عن مدى التفاوت أو الجديد الذي حصل في هذا العرض مقارنة مع عرض بروكلمان.

الشعر الجاهلي: الشعراء الستة: لقد ذكر بروكلمان حوالي 4 مصادر للشروح القديمة على دواوين الشعراء الستة  أما سزكين فقد أضاف في هذا الباب مصدرا خامسا فقط ولشارح مجهول أيضا.

# الفصل الخامس

# النزعة الاستشراقية في عمل بروكلمان: قراءة في أهم آرائه

**مقدمة:**

إن معالجة الميول الخاصة لمن عنوا بتراث العرب والمسلمين من طرف المستشرقين لهي أمر غاية في المشقة والصعوبة، ذلك أن الروح العامة التي طبعت علماء الإستشراق لم تكن في مجملها محايدة ونزيهة وعلمية، خاصة ممن حركتهم دوافع ضمنية لدراسة بعض جونب هذا التراث، إما بدافع النقد والتقليل من شأنه أو بدافع الرغبة الذاتية في المعرفة، التي غالبا ما كان العامل العقائدي يحول دون حياد هذا العالم أو ذاك، خاصة ضمن بعض المدارس

الاستشراقية التي لم تتحرر من المنطلقات المغرضة والمحددة لها سلفا كما هو واضح في الحالة الفرنسية والانجليزية التي كانت لها سياسات استعمارية انعكست حتى على الجانب العلمي، إلا ما كان من بعض العلماء الذين حاولوا الإنصاف ما استطاعوا على الرغم من التضييق والتعتيم الذي عرفته أعمالهم، وهذا للأسف ما جعل عموم المسلمين والعرب على وجه الخصوص ينفرون أو يرفضون بالجملة عمل هؤلاء، بل ويحذرون منه، حتى أنك تجد بعض من شعوب المجتمعات العربية ممن يضعون جميع أهل الاستشراق في ضفة واحدة، ولا ينظرون إليهم إلا بعين الريبة مهما قالوا أو أنصفوا، كما هو معلوم عن تيار متشدد جدا تتزعمه حقيقة بعض التيارات السلفية التي للأسف لم تكتفي بالتحامل على أي عمل استشراقي، بل هي تتحامل حتى على بعض رموز وشيوخ الإسلام والعربية من علماء المسلمين أنفسهم، فكيف والحال مع علماء ليسوا على ملتنا الإسلامية، وهذا في الحقيقة هو ما يحول بيننا وبين استقراء جديد ومتأن ومفيد لحقبة طويلة من عمل استشراقي قاده فطاحل من علماء اللسانيات والتاريخ على اختلاف مشاربهم وعقائدهم، والذين لم يعد أمامنا سوى أن نعترف لهم بكامل الشكر والتقدير على ما بذلوه وما قدموه من خدمة لهذا التراث رغم كل الأخطاء، ونعذرهم فيما أساءوا فهمه أو رفضوه بداعي من الميول العقدية أو بعض القناعات الشخصية، مع الحرص على توضيح ذلك والرد عليه في هدوء دون أن نسعى إلى السب أو الشتم أو التقليل من جهود هؤلاء.

طبعا لا بد أن نعترف في هذا السياق أن هناك مشكلة نفسية ودينية تحكم الكثير ممن اشتغل بتراث العرب والمسلمين، وهي دخولهم إلى هذا التراث وكثير من الأحكام المسبقة تحكمهم تجاه بعض القضايا المهمة سواء ما تعلق منها بفكر ولغة أو عقائد ودين، وقلما استطاع أحد التخلص من بعض هذه الرواسب رغم كل ما يجده من منطق أو حق أو علم مضاد لما كان

يعتقده أو يعرفه وهذه هي عين المشكلة، فكلنا كبشر تحكمنا معتقدات ومسلمات وعادات ومفاهيم يصعب على الكثير التحرر منها بما فيها نحن المسلمين الذين نهاجم هؤلاء المستشرقين ونعيب عليهم تعصبهم وتحاملهم، بينما نحن في الحقيقة والواقع أشد منهم تحاملا على أديانهم وعاداتهم ومعتقداتهم، لأننا ننظر إليهم على أنهم أهل ضلال وليسوا من الحق في شيء، وفي الحقيقة أن كل منا ينظر إلى الآخر بنفس النظرة، بما فيها أصحاب نحل وملل غير أهل الديانات السماوية، وهذا للأسف ما يغيب عن أذهان الكثير من الباحثين والدارسين العرب والمسلمين في نظرتهم إلى المستشرقين وهم يتوقعون منهم أن يكونوا بنفس القناعة والإيمان وحتى الحب أحيانا، وهذا من أعجب الميول النفسية لدينا، بينما نجد في القرآن أعظم آيات الحوار وتقبل الآخر وتفهمه واحترامه بشدة، وللأسف هناك قواعد عامة وضعها بعض عباقرة الإسلام من فقهاء وأصوليين لم نعد نلقي لها بالا أو وعيا، فقد قالوا قديما "لا ذنب بعد الكفر"، ولقد أصبح جديرا بنا أن نستقي من تاريخنا مواقفا ناصعة الدلالة تعيننا أكثر على فهم الذات الإنسانية في صراعاتها الطبيعية، بما يجعلنا أقرب إلى الروح العلمية وتقبل الآخر مهما كان متعنتا أو مختلفا عنا، أليس جديرا بنا أن نتمعن كثيرا في قول سهيل بن عمرو لرسول الله أثناء كتابة وثيقة صلح الحديبة عندما كتب: "هذا ما اتفق عليه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو، فرد عليه سهيل قائلا: لو كنت آمنت بك لما قاتلتك"، هذه هي ذات الجملة أو الحكمة التي نحتاج أن نطبقها مع الآخرين ممن يشتغلون على تراثنا أو فكرنا، خاصة وأنهم يناقشون أفكارا وأقوالا وعلوما لا يعتقدون فيها كما نعتقد ولا ينظرون إليها بنفس القدسية، وينبغي أن نتسآءل، ماذا لو عالجنا نحن مسائلا تتعلق بدينهم وعاداتهم ربما قد نتحامل عليها بنفس القدر وربما سخرنا من بعض أفكارهم كما سخر الكثير منهم عن بعض قضايانا الدينية أو قلل من شأن منجزاتنا العلمية والحضارية.

سنحاول في هذا الفصل استكشاف الرأي الحقيقي لدى بروكلمان حول بعض المسائل الخلافية والجدلية في تاريخ الأدب العربي سواء ما تعلق منها بمسائل لغوية صرفة أو وجهات نظر عامة في الفكر العربي والإسلامي للوقوف على مدى النزعة الاستشراقية عند بروكلمان أو مدى حياديته، خاصة وأن عمل بمثل هذا التنوع والثراء لا يخلو من مسائل خلافية والتي لا بد أن يكون فيها لعالم مثل بروكلمان رأي خاص، رغم أنه يبدو للوهلة الأولى عملا إحصائيا خالصا ولكن المتصفح له سيجد أن بروكلمان قد حرص على أن يختصر مداخلاته قدر ما يمكن ولكنها كانت تتميز أيضا بعمق شديد، وهذا يدل على مدى قدرة هذا العالم على فعل ذلك نتيجة الخبرات العالية التي وصل إليها بعد عمر طويل إلى جانب تمكنه المنهجي والعلمي خاصة ضمن بعض القضايا اللسانية التي كان له فيها باع وبحث ومؤلفات سابقة ورصينة.

لقد ضمن بروكلمان في مقدمة كتابه الأول حزمة دقيقة ووافية من المفاهيم والحقائق الأساسية المتعلقة باللغة العربية وبالتاريخ العربي العام، وهي تمثل خلاصة الفكر الاستشراقي والرؤية المعاصرة لآداب العرب منذ القدم وحتى عصر المؤلف، ورغم قصر هذه المقدمات البروكلمانية إلا أنها تعكس عمق الفكرة وأساس النقاش الدائر في أهم قضايا الأدب العربي التي سوف نعرض عددا منها لنستشف حقيقة الموقف العلمي منها عند هذا العالم والمؤرخ الحصيف، ونقارنها بعدد من الآراء التي جاءت في بعض الدراسات والأعمال التاريخية بعد بروكلمان.

## أصل وأساس اللغة العربية:

طبعا هذا واحد من أهم وأقوى البحوث العلمية التي سبق لبروكلمان أن كتب وبحث فيها بشكل مستقل ووافي كما ذكرنا سابقا في كتابه الموسوم بـــ "فقه اللغات السامية" الذي يعتبر موسوعة نادرة في مجال اللغات المقارنة، خاصة بين اللغة العربية وباقي اللغات السامية كاللغة العبرية

والسريانية، التي كتب فيها أيضا الرافعي بشيء من التفصيل في كتابه "تاريخ آداب العرب" الذي أصدره بعد عمل بروكلمان بسنوات، وقد حاول الرافعي أن يكون بحثه هذا موسعا ومؤسسا، خاصة وأنه اعترف بقصر باع العرب في هذا النوع من البحث اللساني المقارن، الذي برع فيه الأوربيون، نتيجة اشغالهم الموسع في البحث في الأديان والعادات والتاريخ عموما والتي حاولوا أن تكون فيها أبحاثهم قائمة على قواعد وأصول مقررة كسائر العلوم، وهذا ما ألجأهم إلى البحث في اللغات لأنها الدليل السالك لدراسة أي تراث إنساني، ومن هنا نشأ علم الفيلولوجيا وعلم دراسة الأساطير، ويؤكد الرافعي هذا السبق الغربي عموما فيقول:"ولم نجد لأحد من علماء العربية في التاريخ الإسلامي كله بحثا يشبه ما وضع من تلك العلوم، حتى ولا في لهجات العرب أنفسهم ومعارضة بعضها ببعض، لأنهم لم ينظروا إلى اللغة بالعين الزمنية (التاريخ) التي تطمح إلى كل أفق، بل أخذوها على المعنى الديني الثابت الذي لا يتغير".[1]

منطلقا من هذه الشهادة نرى أهمية رأي بروكلمان حول أصل اللغة العربية وتأسيس دورها التاريخي في الجزيرة العربية قبيل نزول القرآن كظاهرة لغوية مستقلة، لكون بروكلمان سبق له بسنوات التحقيق والتدقيق التاريخي في هذا المجال في أكثر من بحث، كما أنه عالم فيلولوجي بامتياز، وهو الأمر الذي قل له نظير بين اللغويين المعاصرين سواء من المستشرقين أو العرب المحدثين، ولهذا وإن قصر القول في هذه المسألة ضمن مقدمة كتابه إلا أنه يمثل حقيقة عصارة علمية غاية في الدقة والإيجاز. وقد سبق لبروكلمان أن بحث مسألة تاريخ اللغات السامية بحثا مفصلا وطويلا، وهو عمل مقارن من الطراز الفريد بين اللغات الثلاث الشهيرة، العربية والعبرية والسريانية، والذي وقف فيه بالبحث والتنقيب على حقائق

---

[1] الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، ج 1، ص 57.

مهمة ودقيقة، الشيء الذي ربما قد يكون حتى آنذاك لم يتحقق على يد عالم عربي بالمستوى الذي عمل عليه بروكلمان وعمل عليه الكثير من الدارسين الغربيين للتحقيق بالدرجة الأولى في أصالة اللغة العبرية التي تكرست لها الدراسات الكثيرة منذ أكثر من قرنين من الزمان، أي منذ بداية حركة الاستشراق في أوروبا وأيضا منذ بداية التحقيق اللاهوتي في جامعاتها الذي عمل طويلا على دراسة العهود الدينية القديمة، خاصة ما تعلق منها بتاريخ التوراة والكتب المقدسة والتراث العبري عموما، الذي كثيرا ما ارتبط بتاريخ المنطقة العربية، ومن ثمة ربطته الدارسات الغربية باللغة العربية التي تكرست هي الأخرى في دراسات اللغويين الأوربيين لخدمة اللسان العبري، ومن هنا توفر للغة العربية رصيد من الدراسات المقارنة بما أوضح الكثير من الحقائق التاريخية حولها وحقق في مسارها الزمني الطويل، خاصة القديم جدا منه الذي تزامن البحث فيه مع تاريخ اللغة العبرية القديم وهو الأمر الذي لم يكن منه بد أبدا، لارتباط هاتين اللغتين بأصل واحد إلى جانب وجودهما التاريخي والمكاني المتزامن.

لقد أوجز بروكلمان الحديث في مقدمة كتابه عن أصالة اللسان العربي المتفرع عن الأصل السامي بكونه احتفظ بكل خصائص هذا الأصل لأسباب جغرافية فرضها الطابع الانعزالي لسكان شبه الجزيرة العربية الذين حافظوا على نقاء سلالتهم لتوطنهم العميق داخل هذه الجزيرة رغم أنهم كان لهم احتكاك حضاري على الحدود الساحلية لأراضي الحجاز، خاصة من قبل القبائل العربية التي أنشأت مدنا وإمارات على أطراف الصحراء إلا أنهم كان لهم تطلع دائما إلى لغة عرب البدو الرحل، حيث كان العرب المتوطنين في إمارتي دمشق والحيرة يميلون دائما إلى أشعار وقصيد أهل نجد. إضافة إلى أنه قد ربطت بينهم قبل مجيء الإسلام وحدة معينة في أفكار الديانة والعادات مما جعل منهم أمة واحدة[1].

---

[1] بروكلمان، ج 1، ص 42.

ولكن رغم ذلك لم ينفي بروكلمان إسهامات غير البدو من عرب أقاموا في مدن وأحياء ضمن إمارات عربية نشأت في أطراف الصحراء العربية كانت تمثل امتدادا لدولتين عظيمتين هما الفرس وبيزنطة الرومية فيما كان يعرف بإمارتي دمشق والحيرة، يقول بروكلمان:" وَتُؤَيِّد لَنَا ذلك أَيْضًا لُغَة شِعْرهم، اَلَّتِي يُسْهِم فِيهَا اَلْعِبَاد مِنْ نَصَارَى اَلْحَيْرَة بِمِثْل نَصِيب رُعَاة اَلْغَنَم اَلْوَثَنِيِّينَ مِنْ قَبِيلَة هذيل فِي جِبَال اَلْحِجَاز جَنُوبِيّ مَكَّة، عَلَى حِين يَبْدُو أَنَّ أَهْل دِمَشْق كَانُوا يُسْهِمُونَ فِي هَذِهِ اَللُّغَة بنَصِيب اَلْآخِذ فَحَسب، إِذْ كَانَ أُمَرَاء غَسَّان يُحِبُّونَ أَشْعَار أَهْل نَجْد وَقَصَائِدهمْ اَلطَّنَّانَة فِي مَدِيحهمْ ".[1]

ويبدو أنه على الرغم من وجود لهجات كثيرة إلا أن لغة الشعر القديم كانت لغة فنية قائمة فوق هذه اللهجات التي كانت تغذيها بين الحين والحين، وهذا ما جعلها تحافظ إلى حد كبير على كل خصائص الأصل السامي، ويرى بروكلمان أنه لا توجد لغة من لغات الأصل السامي تتميز بمرونة ودقة في التعبير عن العلاقات التركيبية مثل اللغة العربية، كما يرى أنها رغم واقعيتها الشديدة في وصف الأشياء إلا أنها تتأجج بروحانية تمكنها من التعبير عن أرق أحاسيس الحب وأقوى خوالج الشعور بالرجولة، يقول بروكلمان:" وَقَدْ اِسْتَوْعَبَتْ لُغَة اَلشِّعْر هَذِهِ كُلّ خصَائِص اَلْأَصْل اَللُّغَوِيّ اَلسَّامِيّ أَكْمَلَ اِسْتِيعَاب، وَإِنْ لَمْ تَحْتَفظ فِي جَمِيع نَوَاحِيهَا بِأَقْدَم اَلصِّيَغ وَالْقَوَالِب، وَلَمْ تُضَارِعهَا لُغَة مِن نَسَبهَا اَلسَّامِي فِي مُرُونَتهَا فِي اَلتَّعْبِير عَنْ اَلْعَلَاقَات اَلتَّرْكِيبِيَّة. وَهِيَ مَعَ وَاقِعِيَّتهَا اَلتَّامَّة فِي وَصْف اَلْأَشْيَاء تَتَأَجَّج بِرُوحَانِيَّة تُمَكِّنهَا مِنْ اَلتَّعْبِير عَنْ أَرَق أَحَاسِيس اَلْحُب، وَكَذَلِكَ عَنْ أَقْوَى خَوَالِج اَلشُّعُور بِكَرَامَة اَلرُّجُولَة".[2]

---

[1] بروكلمان، ج 1، ص 42.

[2] بروكلمان ج1، ص 43.

وبهذا يكون بروكلمان قد وضع يده إلى حد كبير على أحد أسرار القوة والعظمة في هذه اللغة التي اختارها الله لتكون وعاء للوحي ولغة للقرآن هذا الكتاب الذي سيقدر له أن يكون الكتاب الخالد والمستمر إلى يوم الدين، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى خصوصية هذا اللغة.

طبعا كأي لغة يدخل فيها العامل الإنساني، فإن اللغة العربية تأثرت بطبيعة الإنسان الذي استعملها وتكلم بها وأضاف لها أو عطل منها مفردات وتراكيب، ولهذا يرى بروكلمان أنه رغم اكتناز اللغة العربية وثراء مفرداتها إلى أن ذلك لا يدل على ثقافة عقلية رفيعة، كما يحب علماء العربية أن يطنبوا في وصفها، أي بمعنى أن قوة وثراء هذه اللغة لا يعكس حالة من التطور والرقي الاجتماعي بما يجعلنا ننظر إلى هذا العربي البدوي بأكثر مما يمثله محيطه، خاصة وأن براعته اللغوية اقتصرت على الوصف الظاهري الدقيق للأشياء، حيث امتاز العرب الرحل أو البدو بوصف الظواهر وخصائص المحيط البدوي وصفا دقيقا ومميزا، مما أثرى مفردات وتراكيب هذه اللغة أيما إثراء، ولكنه في الجانب الآخر حسب رأي بروكلمان لم يقوى هذا البدوي على تطوير أو اختراع ألفاظ تعبر عن المعنويات العامة والألفاظ الكلية، يقول بروكلمان:" وَلِهَذَا لَمْ تَقْوَ اَلْعَرَبِيَّة عَلَى اِخْتِرَاع أَلْفَاظ تُعَبِّر عَنْ اَلْمَعْنَوِيَّات اَلْعَامَّة وَالْمَدَارِك اَلْكُلِّيَّة، بَلْ اِكْتَفَت بِالْإِكْثَارِ مِن اَلصِّفَات وَالْخَصَائص. وَكَانَ ذَلِكَ أَحْسَن زِينَة تَزْدَان بِهَا قَصَائِد اَلْعَرَب اَلْقُدَمَاء، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ دَلِيلًا عَلَى وَعْي وَاسِع اَلْأُفُق، بَلْ وَعْي ضَيِّق مَحْصُور لَمْ يَنْهَض بَعْد لِتَجْرِيد اَلْمَعَانِي اَلْكُلِّيَّة وَاسْتِخْلَاصهَا".[1]

**قوالب الشعر (فن العروض):**

[1] بروكلمان، ج 1، ص 43.

يقر بروكلمان أن أقدم القوالب الفنية العربية هو السجع، أي النثر المقفى المجرد من الوزن. ويبدو أن النقوش اليمنية تدل على اتجاهات إلى استعمال القافية. وليس لدى الأحباش من قوالب اللغة الفنية سوى التقفية، أي استعمال السجع. والسجع هو القالب الذي كان يصوغ العرافون والكهنة فيه كلامهم وأقوالهم، كما جاء في القرآن. واستعمل الحكم الحضري قالب السجع البدائي في الهجاء حتى على عهد بني أمية. وترقى السجع إلى بحر الموجز، المتألف من تكرار سببين ووتد ليسهل على السمع، ويبلغ أثره في النفس. يقول بروكلمان أن بعض علماء العروض ينكرون عد الرجز من الشعر، وفي الواقع يبدو أن الرجز في الجاهلية كان يلبي حاجة الارتجال فحسب. ولم يستخدمه بعض الشعراء في منافسة الأوزان العروضية الكاملة إلى في زمن الأمويين. ومن الرجز نشأ بناء أبحر العروض على مصراعين وقافية في الثاني.

ولكن هناك رأي يرى أن العرب عرفت قواعد شعرها وأبحره، كما نقلت الرواية موقف ورد الوليد بن المغيرة على المشركين عندما وصفوا القرآن بالشعر فنفى الوليد أن يكون كذلك، روى إبن فارس "أن المشركين لما سمعوا القرآن قالوا إنه شعر، فقال الوليد بن المغيرة منكرا عليهم، لقد عرضت ما يقرؤه محمد على إقراء الشعر، هزجه ورجزه، وكذا وكذا، فلم أره يشبه شيئا من ذلك، يعلق ابن فارس فيقول: أيقول الوليد هذا وهو لا يعرف بحور الشعر؟"[1] لكن الذي يعنينا في نص ابن فارس، بغض النظر عن فهمه لطبيعة عمل الخليل، هو الإشارة الواضحة إلى معرفة الجاهليين بقواعد الهزج و الرجز وكذا وكذا، وفي هذا الاتجاه لدينا نص أكثر تفصيلا ووضوحا للأخفش في كتابه "القوافي" يقول فيه : "سمعت كثيرا من العرب يقول : جميع الشعر قصيد ورمل ورجز، أما القصيد فالطويل والبسيط التام والكامل التام والمديد

[1] بكار، يوسف حسين، بناء القصيدة في النقد العربي القديم، دار الأندلس، بيروت، ص 9.

التام والوافر التام والرجز التام، وهذا ما تغنى به الركبان، ولم نسمعهم يتغنون إلا بهذه الأبنية وقد زعم أنهم يتغنون بالخفيف والرمل كل ما كان غير هذا من الشعر، وغير الرجز فهو رمل، والرجز عند العرب كل ما كان على ثلاثة أجزاء وهو الذي يترنمون به في عملهم وسوقهم ويحدون به".

يبدو هذا النص شديد الأهمية لأنه يقطع بأن العرب كانت تعرف إما مجملا أو تفصيلا الفارق بين أنواع شعرهم أو حتى بين أوزان هذا الشعر، كما أن هناك نص آخر يضيف إلى معرفة العرب هذه معرفة أخرى بالتقطيع، والنص له روايتان إحداهما يدخل الأخفش في سلسلة إسنادها، يقول أبو بكر القظاعي: تكاد تجزئة الخليل تكون مسموعة من العرب، فإن أبا الحسن الأخفش روى عن الحسن أنه قال: سألت الخليل بن أحمد عن العروض فقلت له: هلا عرفت لها أصلا، قال: نعم مررت بالمدينة حاجا بينما أنا في بعض طرقاتها ، إذ أبصرت بشيخ على باب يعلم غلاما ، وهو يقول له: قل:

نعم لا نعم لا لا نعم لا نعم نعم نعم لا نعم لا لا نعم لا نعم لا لا

قال الخليل: فد نوت منه فسلمت عليه، وقلت: أيها الشيخ ما الذي تقوله لهذا الصبي؟ فذكر أن هذا العلم شيء يتوارثه هؤلاء الصبية عند بلوغهم، وهو علم عندهم يسمى التنعيم، لقولهم فيه نعم، قال الخليل: فحججت، ثم رجعت إلى المدينة فأحكمتها.

ربما يكون هذا النص الذي روي عن الخليل الفراهيدي هو أقرب النصوص إلى العقل والمنطق، لأنه يتضمن فكرة أن يكون لبعض رواد العرب دراية بهذه البحور والأوزان كما رأينا في حالة الوليد بن المغيرة الذي رشحه قومه ليحكم على حقيقة القرآن، وهذا ربما لأنه كان من القلائل الذي يعرفون الفرق بين أنواع السجع والشعر ومن ثمة يستطيع التفريق بينها وبين القرآن.

ولعل هذا الرأي يدعمه نص الأخفش في كتابه الذي يعتبر أقدم ما وصلنا من كتب عن كيفية وضع العروض والذي يقول فيه: " أما وضع العروض فإنهم جمعوا كل ما وصل إليهم من أبنية العرب فعرفوا عدد حروفها ساكِنها ومتحركِها، وهذا البناء المؤلف من الكلام هو الذي تسميه العرب شعرا، فما وافق هذا البناء الذي سمته العرب شعرا في عدد حروفه ساكنةَ ومتحركةً فهو شعر، وما خالفه وإن أشبه في بعض الأشياء فليس اسمه شعرا". وأهمية النص تكمن في أنه يشير إلى الطريقة التي عمد العرب بها إلى تمييز الشعر عن باقي الكلام باختيار عدد من الأبنية والألفاظ وجعلوها الأساس الذي وضعوا عليه هذا الفن العروضي.

أما الأوزان العروضية فيرى بروكلمان أنه بلا شك تم بناءها بتأثير فن غنائي وإن كان بدائياً، يقول بروكلمان:"ويتضح مظهر ذلك الفن على الخصوص في الحداء بالركبانية، قال أبو جعفر:"إذا قال أحدهم الشعر بالركبانية أكفاً، والركبانية أن يتغنى به ويقطع كما يقطع العروض" وقال نابغة بني شيبان:

وحوك الشعر ما أنشدت منه يزايل بين مكفئه الغناء

فينفى سيئ الإكفاء فيه كما ينفى عن الحدب الغثاء

ولكن تبقى قضية العوامل التي أثرت في نشوء أوزان الشعر العربي هي محل نقاش وتفسيرات عديدة التي حول الكثير ربطها بمشي البعير أو بالأحرى خطو قائد البعير. ولكن بروكلمان رفض مثل ذلك الربط يقول:" وقد ضل بعض العلماء في بحثهم عن روابط بين أنواع من العروض وبين سير الإبل. ولم تسفر هذه المحاولات بطبيعة الحال عن نتيجة. على أنه يبدو أيضاً أن محاولة الكشف عن الروابط بين بحور العروض المختلفة بعضها مع بعض

من ناحية، وبينها وبين مرتبتها السابقة في دائرة بحر الرجز من ناحية أخرى، لم تتضح بعد للباحث غير المتحيز".[1]

وفي الحقيقة إن قضية الأوزان العربية تمثل إشكالية كبيرة في الفكر الإستشراقي، حيث نجد أن الكثير من المستشرقين قد حاولوا التشكيك في عبقرية هذا النظم الشعري الذي تميزت به القصائد العربية عموما، ولكن المشكلة الكبرى كانت في حقيقة البناء العروضي المتكامل الذي استقي من ذلك التراث الشعري الكبير، فكانت الفكرة الجوهرية في نقاشاتهم التاريخية هي استكثار ذلك الإبداع المنظم على العقل العربي، فحاولوا مرة نسبته إلى العروض اليوناني ومرة إلى العروض الهندي، ولكن كان واضحا أن ذلك غير صحيح البتة، لا تاريخيا ولا حتى قياسا ملموسا له داخل هذه اللغات.

وكما رأينا في الفصل المتعلق بإسهامات العلماء الألمان، كيف كان رد المستشرق فايل جوتهولد حول هذه القضية، حيث اعتبر أن مثل هذا النظام العروضي لا ينطبق إلا على اللغة العربية.

طبعا الملاحظ هنا في هذه القضية أن بروكلمان كان أيضا من المدافعين الأقوياء على أصالة النظام العروضي العربي، ففي معرض حديثه عن قوالب الشعر العربي رد على أحدهم بقوة وهو يقول:" ... وَمِنْ اَلضَّلَال اَلْمُبِين مَا زَعَمَهُ تكاتش[2] مِنْ أَنَّ عُرُوض اَلْعَرَب نَشَأَ عَلَى أَسَاس شعْر اَلْيُونَان. فَإِنَّ اَلرَّجْز لَا يُشْبِه اَلْعرُوض اَلْيُونَانِيّ اَلثُّلَاثِيّ اَلتَّفْعِيلَات إِلَّا شَبَهًا ظَاهِرًا، وَمِمَّا

---

[1] بروكلمان، ج 1، ص 52.

[2] ياروسلوس تكاتش (1871–1927) مستشرق نمساوي، تخصص في الدراسات اليونانية، اهتم بتحقيق وترجمة "فن الشعر" لأرسطو وقد ترجمها من العربية إلى اللاتينية.

يَدُلّ عَلَى أَنَّ اَلْعَرُوض اَلْعَرَبِيّ نَشَأَ نَشْأَة مُسْتَقِلَّة فَنّ اَلشِّعْر عِنْد اَلْبَرْبَر، اَلَّذِي أَخَذَ يَنْمُو نُمُوًّا شَبِيهًا بِفَنّ اَلْعَرَب"[1].

وبعد أن ساق نماذج عديدة للبحور العربية من قصائد الشعراء الجاهليين القدامى، أقر بأن هذا الفن كان يعتمد على ما يشبه القانون أو القواعد الثابتة، يقول بروكلمان: "عَلَى اَلرَّغْم مِنْ أَنَّهُ لَا تَزَالُ تَعُوزنَا بُحُوث شَامِلَة لِفَن اَلْعُرُوض عِنْد قُدَامَى اَلشُّعَرَاء، يُمْكِن أَنْ نُقَرِّر اَلْيَوْم بِحَقّ أَنَّ هَذَا اَلْفَنّ كَانَ يَعْتَمِد عِنْدهمْ عَلَى قَوَاعِد ثَابِتَة"[2].

## طبيعة الشعر الجاهلي:

رغم أنه وقع نقاش كبير حول طبيعة الشعر في الجاهلية وطبيعة الموضوعات التي شغلت ذهن العربي قديما، إلا أنه يكاد يكون هناك شبه اتفاق حول بساطة ومحدودية هذا الشعر من كونه اقتصر على التصوير الفني البسيط لحياة البداوة مركزا بذلك على وصف الطبيعة أو حيوان أو اثنين، فكان أغلب هذا الشعر في نظر بروكلمان يدور على وصف الجمل باعتباره هو محور حياة العربي البدوي الكثير الترحال، فملك كل حياته وكان محور أوصافه وتشبيهاته مما ألهب رغبة الشاعر العربي في تصويره تصويرا فنيا فريدا يشبه في ذلك حالة الإلهاب التي وقعت لشعراء الهند في عصر الفيدا في وصف البقر واستلهام روح الثور.[3]

ورغم أن بروكلمان بدأ كلامه في معرض الحديث عن طبيعة الشعر الجاهلي بهذه الحقيقة الجزئية، إلا أنه يرجع ويؤكد على صواب رأي نولدكه الذي اعتبر أن الشعر العربي القديم لم يركز إلا على وصف المهاة والعير من حيوان الوحش، أما غيرهما فلم يذكروه أصلا. وهذا إقحام غريب لرأي نولدكه في هذه المسألة من قبل بروكلمان الذي يبدو بعض الشيء متناقضا

---

[1] بروكلمان، ج 1، ص 52.

[2] نفس المرجع.

[3] نفس المرجع، ص 56.

في هذه المسألة. فقد حفل الشعر القديم أيضا بوصف أنواع أخرى كثيرة من الحيوانات، أكثرها على الإطلاق الخيل مثلا التي حظيت عند العرب بمكانة عالية وظهر ولههم بها في أشعارهم فشبهوها بأوصاف كثيرة من جنس السباع والنعام وغيرها من الأوصاف الدقيقة كما هو واضح في هذه القطعة البديعة من معلقة امرؤ القيس:[1]

مكر مفر مقبل

مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

كميت يزل اللبد عن حال متنه

كما زلت الصفواء

بالمتنزل

مسح إذا ما السابحات على الونى أثرن غبارا

بالكديد الممركل

على العقب جياش كأن اهتزامه إذا جاش فيه

حميه غلي مرجل

يزل الغلام الخف عن صهواته ويلوي

بأثياب العنيف المثقل

درير كخذروف الوليد

أمره تتابع كفيه

بخيط الموصل

[1] الزوزني، أبو عبد الله الحسين، ***شرح المعلقات العشر***، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1983، ص 64.

له أيــــــــطلا ظبــــــــــــي وساقا نــــــــــــــــعامــــــــــة

وإرخـــــــــــــــــاء سِرحــــــــانٍ وتـــــــقريــــــــب

تـــَـــــتـفُــــــــلِ

ضليع اذا اســـــــــــتدبـــــــــــرته ســــــد فـــــــــرجه بضاف

فــــــــويـــــــق الأرض لـــــــــيـــــــــس بأعزل

وقد أكثر الشعراء العرب في وصف أغلب الحيوانات ككلاب الصيد، والأسد والذئب كقول الشاعر طفيل الغنوي عندما شبه فرسه بذئب:

كسيد الغضا العادي أظل جراءه على شرف مستقبل الريح يلحب

ولهذا يمكن القول أن شعر العرب لم يقتصر فقط على وصف المها أو الفرس أو وصف الجمل الذي يصر الكثير من المستشرقين على اعتباره هو وحده محور القصيد العربي القديم، فهذا لا يكفي ليكون الشاعر موضوعيا وواقعيا إلى هذا الحد، لأن العربي بطبيعته كإنسان كان في حاجة إلى أن يتعدى بتوصيفه لأشياء أخرى في هذا الشعر تفوق وصفه أو ولعه بحيوان واحد، فهذا مظهر طبيعي محدود الجمال، ولهذا نجد كيف وظف الشاعر العربي القديم فن الشعر ليتحدث عن نفسه أكثر وعن حضوره وسط كل تلك الحياة الجافة، فكان شعر الفخر والاعتزاز بالذات أيضا محورا أساسيا في شعر العرب الجاهلي.

فقد رأينا مدى اعتداد شاعر شاب كطرفة بن العبد بنفسه في معلقته الخالدة والرائعة والتي جعلته في نظر النقاد واحدا من أهم شعراء العصر الجاهلي إن لم يكن أشعر شعراء الجاهلية، خاصة وأنه برع في وصف الناقة بما ليس له مثيل على الإطلاق إلى جانب فخره الشديد بنفسه.[1]

[1] بروكلمان، ج 1، ص 92.

## المرأة في الشعر العربي:

أيضا هناك أمر أغفله النقاد قليلا في الحديث عن طبيعة الشعر الجاهلي، وهو حضور المرأة ووصفها في الشعر الجاهلي القديم، فإذا عرفنا طبيعة الرجل البدوي الذي أقفرت صحراءه عن كل شيء جميل، نجد أنه لم يبق له سوى ذلك المخلوق الجميل الرقيق ليكون واحته الحقيقية حتى يصورها ببديع ألفاظه، ويودعها خوالجه ومكنوناته، وهو الذي ملك زمام اللغة أيما امتلاك، فإذا كان العربي شحيحا عن وصف المرأة باعتبارها رفيقته وصنوه ليل نهار، فعن ماذا يا ترى سيعبر أكثر وأكثر؟ ولهذا لم يكن مقنعا أن يحصر النقاد والمؤرخون طغيان هذا الشعر عن وصف الحيوان بل واقتصاره على حيوان أو إثنين لا أكثر.

وربما يكفي الشعر القديم شرفا وحضورا راقيا وجماليا أن كل شعراء العصر الجاهلي كانوا يفتتحون قصائدهم ويستهلونها بذكر امرأة، والتشبب بها، (إمرؤ القيس/فاطمة، النابغة/أم أوفى، طرفة/خولة، عنترة/عبلة، الحارث بن حلزة/أسماء ...إلخ)، ولم يكن هذا الشاعر الفارس أو ذاك يأنف من أن يصرح عن حبه وولعه وولهه وميله لفلانة وعلانة وهي كلها حالات من الضعف الإنساني الجميل والمحمود. بل إن الحب والعشق رغم أنه متجه إلى المرأة إلا أنه لم يكن شيئا يزري بالرجال في عصر كانت تدفن فيه هذه المرأة وهي مولودة أو رضيعة، وإن كان هذا الملمح الجاهلي الشديد القسوة لم يكن يمثل كرها أو ازدراء للمرأة، كما لم يكن معمما على جميع الأسر العربية القديمة، بل كان استثناء في حياة العرب البدو رغم الوثنية التي كانوا عليها، لأن دفن البنات كان يتم لأسباب مادية بحتة، كالخوف من الفاقة والفقر كما ذكر ذلك القرآن نفسه، "ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق"(الإسراء آية 31).

وقد حظيت هذه المرأة في شعر العرب بأوسع المعاني وأقوى الألفاظ، التي كان الشاعر يستقيها من عالمه المادي، فشبهها بالشمس والبدر والبقرة والظبية والقطاة وشبه شعرها بالعناقيد والحيات ووجهها بالدينار ورائحتها بالمسك وريقها بالخمر والعسل...إلخ.[1]

فهاهو الشاعر الجاهلي علباء بن أرقم يشبه إمرأة بالظبية تشبيها غير عادي، فيصور جمال حركتها بالظبية وهي تمد عنقها إلى شجر السلم الناظر فيقول:[2]

فيوما توافينا بوجه مقسم كأن ظبية تعطو إلى ناظر السلم

وهاهو الشاعر سويد بن أبي كاهل يقدم إخراجا جميلا ومبتكرا في تشبيه امرأته بالشمس فيقول:[3]

حرة تجلو شتيتا واضحا كشعاع الشمس في الغيم سطع

ورغم أن غزل إمرؤ القيس في المرأة فاق حد العفة، إلا أن تشبيهاته الرائعة ترسم صورا أخرى مهمة للأدب عن المرأة حين ترغب وعن ضعفها أمام الرجل الغاوي، وهذا التشبيب من امرؤ القيس يعد لوحة من اللوحات الخالدة في الأدب الإنساني رغم أنه صنف في أدب المجون ولكنه أدب رفيع اللغة وإن كانت إيحاءاته شديدة الدلالة والإثارة قليلا، إلا أنها لم تصل أبدا درجة الإباحية كما يحلو لبعض المتشددين أن يصفها:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

فَتُوْضِحَ فَالمِقْراةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُها لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وشَمْأَلِ

تَرَى بَعَرَ الأرْآمِ فِي عَرَصَاتِهَــا وَقِيْعَــانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُـــلِ

---

[1] ضيف، شوقي، ***تاريخ الأدب العربي***، ج 1، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية والعشرون، 2003، ص 221.

[2] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج 1، ص 222.

[3] نفس المرجع، ص 229.

كَأَنِّي غَدَاةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُــوا ... لَدَى سَمُرَاتِ الحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ

وُقُوْفاً بِهَا صَحْبِي عَلَّي مَطِيَّهُــمُ ... يَقُوْلُوْنَ لاَ تَهْلِكْ أَسَىً وَتَجَمَّــلِ

وإِنَّ شِفَــائِي عَبْــرَةٌ مُهْرَاقَــةٌ ... فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ

كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ الحُوَيْرِثِ قَبْلَهَــا ... وَجَــارَتِهَا أُمِّ الرَّبَابِ بِمَأْسَــلِ

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ المِسْكُ مِنْهُمَــا ... نَسِيْمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرَيَّا القَرَنْفُلِ

فَفَاضَتْ دُمُوْعُ العَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً ... عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَّ دَمْعِي مِحْمَلِي

أَلاَ رُبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِــحٍ ... وَلاَ سِيَّمَا يَوْمٍ بِدَارَةِ جُلْجُــلِ

لقد أفاضت الدراسات الادبية في تأكيد حضور المرأة في المخيال العربي القديم وحول صورتها الحقيقية الصادقة الرائعة التي جسدها الشعراء الجاهليون، ويؤكد هذه الحقيقة تلك الصور الشعرية الرقيقة التي نستشعر جماليتها في مقاطع القصيدة المتعددة سواء أكانت في مقدمات هذه القصائد الغزلية أم في لوحات متفرقة كالطلل أوالطيف أو الظعن، الى غير ذلك من اللوحات الفنية التي كان الشاعر يستلهمها من المرأة، فيبالغ في اظهار جمال الحبيبة التي ملكت القلب ويخلع عليها آيات من الحسن والبهاء الى حدٍ قد يصور بها الحبيبة آلهة جمال أو اسطورة من الحسن والفتنة.

وإن كان يعتمد وصف الشعراء في وصف المرأة على التصوير المادي الذي يكشف بسهولة وصراحة عن المراد من هذا الوصف أو ذاك وبالاخص اذا كان يصف المرأة التي احبها فيسبغ عليها أروع صور الجمال وأبهى آيات الحسن وكأنهم اتفقوا على هذه الاوصاف التي نراها مكررة فنراها دائماً بيضاء في ريعان الشباب نشأت في رحاب النعيم، مثلما صورها عمرو بن كلثوم:

على آثارنا بيض كرام  نحاذر ان نفارق او تهونا

ومثل قول الاعمش:

ووجهاً كالفِتاق ومسبكراً  على مثل اللجين وهن سود

وبريشة فنان متمكن يصور الشاعر العربي إمرأة طويلة القامة بضة الجسم لا غليظة ولا دقيقة اللحم، عفيفة لم يمسها أحد، هي لعوب تسحر مع السمار وتلهو بروحية شفافة خفيفة كما صورها قيس بن الخطيم:

رد الخليط الجمال فأنصرفوا  ماذا عليهم لو انهـــم وقفوا

لو وقفوا ساعة تسألهـــــــم  ريث ضحي جماله السلف

فيهم لعوب العشاء آنسة الدل  عروب يســـــودها الخلف

بين شكول النساء خلفتـــــها  قصد فلا جهلـــة ولا قضف

وشاعر أخر يصور لنا كيف عنيت هذه المرأة بشعرها فسرحته وأرسلته وعقصته أو جعدته وصبغته بالحناء أو بالزعفران ودهنته بالعطر فجاء منسدلاً طرياً لماعاً ناعما، فهي تزهو به وتتباهى وتحب أن يراه الناس وهذا ما أكده سحيم في توصيفه:

وما دمية من دمي ميسنا  ن معجبة نظراً و اتصافـــا

بأحســـن منها غداة الرحيـــــــــــل  قامت ترائيك وصفاً غدافا

وكانت المرأة ذات الشعر الجعد (الكثيف) تتباهى هي الاخرى بسواده واسترساله وغزارته وكثافته لأنه يشبه العناقيد المسندة على الدعائم ، وهذا ما صوره النابغة:

وبفاحمٍ رجلٍ اثيثٍ نبتـــه  كالكرم مال على الدعام المسُند

كما صوره شاعر آخر:

وعلى المتن منها واردٌ  حسنُ النبت أثيث مسبكر

وقال شاعر آخر أيضا في وصف الشعر:

امت تريك غداة البين منسدلاً  تخاله فوق متنيها العناقيدا

وانظر كيف صور الشاعر قيس بن الحدادية ألم وحسرة وشوق محبوبته، خافقة القلب وكيف جرى دمعها حتى اختلط بالكحل السحيق:

نثرت على فيها اللثام واعرضت  وأمعن بالكحل السحيق المدامعُ

وقد يغرق الشاعر في خياله فيجعل الحلي يستمد لمعانه واشراقه من ترائب محبوبته، كما وصف النابغة الذبياني مشهد حبيبته وهي على الهودج متأهبة للرحيل:

صفحت بنظرة فرأيت منها  تحية الحذر واضعة القرام

ترائب يستضيء الحلي فيها  كجمر النار بُذر في الظلام

كأن الشذر والياقوت منهـــا  علـــى جيداء فاترة البُغـــام

وكان لا بد للنساء من الولوع بأنواع الطيب والمعطرات فلجأن الى التطيب بالمسك الزكي والزنبق والكافور أو التخضيب بالحناء الى أدق الامور كبياض أسنانهن وعذوبة ألقهن وطيب رائحة أفواههن فقد كن لأجل هذا يقضمن الضرم بأطراف أسنانهن الذي كان بمثابة سواك لهن:

هل ترى من ظعائن باكرات  كالعدولي سيرهـــن القحام

واكتات يقضمن مـــن قضيب  الضرم ويشفى بدلهن الهيام

في حين أن هنالك امرأة أخرى منعمة مترفة كما وصفها الشاعر زهير تحاول أن تريه بنانها المخضوب بالحناء مما يدفعه على العجب بهذا التناسق الرائع:

خودٌ منعمة انيق عيشهـــــا  فيهـــــا لعينك مكلأ وبهاء

وكأنها يوم الرحيل وقد بـــدا  منها البنـــان يزينـــه الحناء

بردية في الغيل يغزو اصلها ظلٌ اذا تلع النهـــار ومـــاء

ويرى بروكلمان أن الشعر الجاهلي عرف أيضا بعض الأنواع الأخرى من الشعر كالهجاء والرثاء، بالإضافة إلى كونه لم يقتصر على التوسع في استخدام الثروة اللفظية والمعاني الدقيقة الصائبة ولكن أحيانا كان يستعين باستعمال المؤثرات السطحية المعتمدة على الرنين والموسيقى اللفظية، إلى جانب الالتزام بوحدة القوافي.[1]

وقد دافع بروكمان قليلا عن أصالة هذا الشعر بكونه كان شعرا عربيا خالصا إلى حد كبير ولم تدخله مؤثرات أجنبية كما زعم بعض العلماء الغربيين بأن النسيب العربي يعود إلى شعر القصور اليونانية بالإسكندرية كما ذهب إلى ذلك بورداخ.

وقد نفى بروكلمان أيضا أن يكون الشعر الجاهلي قد تأسس بغرض الكسب، أو بربط معنى القصيد في اللغة العربية بلفظ التسول كما اقترح جورج ياكوب[2] الذي فسر كلمة القصيدة بمعنى "شعر التسول"، فقد رفض بروكلمان هذا المعنى لكونه لا يصح إلا في عصر الانحلال والاضمحلال. وقد اعتبر بروكلمان أن اختيار هذا المعنى من طرف لاندبرج[3] مغالاة وزعم غير صحيح، لأنه مما لا ريب فيه أن هذا الغرض والقصد لم يكن في القديم أصلا، وقد يكون هذا الغرض بحسب التعريف الأصلي للكلمة غرضا من أغرض السحر والذي تحول مع

---

[1] نفس المرجع، ص 58.

[2] جورج ياكوب (1862–1937) مستشرق ألماني، حصل على درجة الدكتوراه من جامعة ليبتسك عام 1887م بعنوان "تجارة العرب في بحري الشمال والبلطيق خلال العصور الوسطى"، كتب عن "حياة البدو في الجاهلية بحسب المصادر الأصلية" طبع سنة 1895م. وقد اعتبر عالم تركيات كبير لاهتمامه باللغة التركية وآدابها، ويعتبر مؤسس الدراسات التركية في ألمانيا.

[3] لاندبرج كارلو (1848–1929) مستشرق سويدي حصل على الدكتوراه من جامعة ليبتسك بألمانيا سنة 1883م. اختص بدراسة اللهجات العربية والعامية.

الوقت إلى غرض سياسي ثم صار يستعمل بأوسع معاني الكلمة في جميع أغراض الحياة الاجتماعية.[1]

## رواية الشعر العربي:

تمثل مشكلة المشافهة والكتابية حجز الزاوية لدى أي تراث، ورغم أن هناك الكثير من النظريات التي صيغت في هذا الإطار الفيلولوجي، إلا أن تطبيقها على السياق اللغوي العربي القديم لا يزال محدودا جدا قياسا على ثقافات أخرى استطاعت أن تفك به الكثير من المبهمات حول قضايا أدبية قديمة كما حصل تماما مع الثقافة اليونانية القديمة وما بات يعرف فيها بالمشكلة الهومرية، التي أصبحت أفضل أو أقوى نموذج لنظرية المشافهة، إلى جانب طبعا النظريات الموضوعة عن الشعر الشفهي والتي للأسف لم تطبق حتى الآن على الأدب العربي، إلا في أضيق الأمثلة، وهو الأمر الذي منع حتى الآن من وجود رؤية حقيقية جديدة للأدب العربي، خاصة وأننا لا نزال حتى الآن ننظر إلى الأدب القديم نظرة كلاسيكية بحتة، هذا فضلا عن إيماننا الجازم بكتابته، وهذا ما يفسر كل ذلك العنفوان الذي عرفه العصر الحديث فيما يتعلق برواية هذا الأدب القديم.

أما فيما يتعلق بأوائل الرواية أو الكتابة فقد كان أهل اليمن يعرفون الكتابة وينقشونها على الحجارة منذ ما يزيد على ألف عام قبل الميلاد. ولا ندري هل استعملوها أيضاً في أغراض الحياة الخاصة، أو في تسجيل الفن الكلامي بوجه خاص، على مواد أكثر تعرضاً للتلاشي والضياع من الحجارة؟ وليست أراضي الشمال في نجد وتهامة غنية بالنقوش والآثار الكتابية مثل بلاد الجنوب، وإن وجدت دلائل على بعض اتجاهات الحياة الدينية في النقوش المسماة

---

[1] نفس المرجع، ص 59.

تسمية غير دقيقة بالنقوش الثمودية واللحيانية، وكذلك في النقوش الصفوية على مقربة من دمشق. وكلها مكتوبة بخط قريب من خط الألف باء اليمني قبل الإسلام بزمن طويل.

وقد وجد على قبر امرئ القيس نصب تذكاري حجري يعود إلى حوالي سنة 328 م، وهو مكتوب بخط مشتق من الآرامية، وربما كان هذا الخط مستعملا حينذاك في أغراض الحياة الخاصة من شئون التجارة وغيرها، ولعل عِبَاد الحيرة النصرانيين كتبوا جانباً من أشعار شعرائهم أيضاً بهذا الخط. فلا عجب إذاً أن تكون هناك أبيات كتبت في داخل الجزيرة العربية قبل الإسلام وبعده. ومن ثم يعد خطأ من مرجليوث وطه حسين أن أنكرا استعمال الكتابة في شمالي الجزيرة العربية قبل الإسلام بالكلية، ورتبا على ذلك ما ذهبا إليه من أن جميع الأشعار المروية لشعراء جاهليين مصنوعة عليهم، ومنحولة لأسمائهم.

ولكن الحديث عن الكتابة يعود بنا إلى دور الرواية الشفوية، لأنها كانت هي الأساس الذي نقل إلينا كل ذلك التراث. فقد كان لكل شاعر جاهلي كبير على وجه التقريب راوية يصحبه، يروي عنه أشعاره، وينشرها بين الناس، وربما احتذى آثاره الفنية من بعده، وزاد عليها من عنده. وكان هؤلاء الرواة يعتمدون في الغالب على الرواية الشفوية ولا يستخدمون الكتابة إلا نادراً. فكان لهم الدور الأكبر في نشر الشعر بشكل أوسع والتعريف بالشاعر وشعره على نطاق كبير. ولهذا لم يمكن التحرز عن السقط والتحريف، وإن لاحظنا أن ذاكرة العرب الغضة في الزمن القديم كانت لا تضاهى من حيث الحفظ والاستيعاب قياسا على ذاكرة العالم الحديث. ولكن لم يبدأ جمع الشعر العربي إلا في العصر الأموي، وإن لم يبلغ هذا الجمع ذروته إلا في العصر العباسي، رغم أن مبدأ التحري في توثيق الرواية، والتدقيق في النقل اللغوي على النحو الذي نعرفه اليوم لم يبدأ إلا في عصور إسلامية لاحقة.

تعتبر مسألة رواية الشعر الجاهلي القديم واحدة من أهم القضايا التي شهدت جدلا ونقاشا كبيرا على مر العصور بدء من قدامى العلماء العرب وانتهاء بالمستشرقين ومن لف لفيفهم من المفكرين والباحثين العرب الذين استفاضت بهم الدراسات الحديثة حول هذه القضية.

ولكن هذه المسألة تبقى على طرفي نقيض رغم كل ما قيل وكتب فيها، فكل القرائن والدلائل تعضد فكرة أصالة هذا الموروث وتثبت تواتر نقله، لكنه في الجهة المقابلة يحمل أيضا قرائن علمية بما ينفي عنه قدمه وربما أصالته وإن كانت في ضعفها وهشاشتها لا تقارن بكل ما يثبت أصالة وصحة ثبوت هذا المروي الشعري الكبير والناصع في صنعته.

ورغم أن معاول التشكيك في هذا الموروث الشعري الضخم قولا ورواية كلها آتية من جبهة الاستشراق عموما إلا أن هناك الكثير من علماء الاستشراق من دافع بقوة وحياد علمي ممنهج على أصالة الشعر العربي القديم ووضع آليات لغوية وتاريخية للدفاع عن هذا الموروث الشعري القديم سواء استقاها من كتب القدامى أو بما وصلت إليه الأبحاث المعاصرة خاصة ضمن مجال الدراسات الأدبية المقارنة الحديثة التي ما زال الأدب العربي في حاجة إلى الاستفادة منها بشكل أفضل مما هو عليه الآن.

وهنا لا بد أن نشير إلى تميز الدراسات الألمانية في هذا المبحث الخطير، ومدى عمق هذه الدراسات التي صدرت عن عظماء الفيلولوجيا الألمان مثل تيودور نولدكة، ووليم آلورد، وأرش برورويلنش، وفرتس كونكوف وأخيرا كارل بروكلمان الذي أفاد من كل هؤلاء الفيلولوجين. حيث تعد دراساتهم أعمق الدراسات العلمية التي تمت حول موضوع الرواية في الشعر العربي القديم كما أنها تتميز بحس نقدي عالي جدا، خاصة وأن كل هؤلاء العظماء كانوا على دراية كافية إن لم تكن خارقة باللغة العربية وبتاريخ هذه اللغة إلى جانب لغاتهم الأم وعدد آخر من اللغات الشرقية بما جعلهم أقدر وأكفأ على المقارنة والتحقيق وتطبيق

المنهج العلمي الصحيح على قضايا لم يسبق للأدب واللغة العربية أن عالجها بالطرق الحديثة التي عرفتها الكثير من اللغات الأوروبية. من هنا كان للعلماء الألمان دور كبير ونزيه وعلمي إلى حد كبير في قضايا شائكة جدا ضمن الأدب العربي، فعالم كنولدكه، يعتبر بحق أعظم المستشرقين لكونه كان ذو ألمعية فكرية خارقة في مجال اللغات الشرقية التي كان يتقنها تمام الإتقان (العربية–السريانية–العبرية) إلى جانب إطلاعه الواسع على الآداب اليونانية، وقد كان مهتما منذ صغره باللغة العربية والنحو العربي، ثم اشتغل على دراسة الشعر العربي القديم، حتى أصبح واحدا من أعلم المستشرقين بهذا الشأن الذي قدم فيه دراسات لغوية عالية المستوى والعمق، حيث استعان في دراساته عن رواية أو صحة الشعر الجاهلي العربي بنتائج البحث التي تمت في بقية اللغات السامية وبالمقارنة مع تم من دراسات وبحوث في الآداب الأخرى كالأدب اليوناني والأدب الألماني مع الاعتماد على مراجع عربية قديمة وآراء العلماء العرب منذ قرون، قبل أن تصبح قضية الرواية العربية للشعر القديم حكرا على مرجليوت وطه حسين اللذين لم يأتيا بجديد مطلقا في هذه القضية، سوى أنهما تطرفا في عرض الرأي الآخر وهو الأمر الذي لا نجده مطلقا في الدراسة التي قدمها نولدكه قبلهما بعقود من الزمن حول صحة الشعر الجاهلي بعنوان "من تاريخ ونقد الشعر العربي القديم" (1861م).[1]

لم يكن نولدكه وحده رائدا في هذا المجال الحيوي من الدراسات العربية فقد قدم وليم آلورد أيضا دراسات نادرة وعميقة حول صحة القصائد العربية القديمة، وهي تتميز باطلاع عميق ورؤية لغوية بارعة من رجل امتلك ناصية اللغة العربية فقها وأدبا وليس أدل على هذا من ترجماته لعدد من القصائد العربية لفطاحل الشعراء إلى اللغة الألمانية، إلى جانب قدرته الفائقة

---

[1] Th. Nöeldeke, *Beiträge zur Kenntniss der Poesie der alten Araber*. Hannover 1864, Hildesheim 1967.

على التحقيق الفيلولوجي الدقيق لنصوص الشعر العربي القديم، كل هذا الاقتدار العلمي واللغوي جعله حجة في الشعر الجاهلي ترجمة ودراسة وتحقيقا[1].

طبعا الذي يهمنا في هذا المبحث العميق هو موقف ورأي بروكلمان باعتباره واحدا من أعلام المستشرقين وبما يمكن أن يضيفه قوله في حسم هذه المسألة لصالح أصالة الشعر العربي القديم من حيث الصنعة والقول ومن حيث النقل والرواية التاريخية له.

يبدو واضحا أن بروكلمان يميل إلى كون الشعر العربي الجاهلي شعر أصيل وضارب في القدم والقول حتى وإن تم جمعه وكتابته في وقت متأخر ولكن هذا في رأيه لا يجعله كله منحولا أو مصنوعا كما أدعى مرجليوت وطه حسين، حيث اعتبر بروكلمان رأيهما خطأ واضحا في الجملة.

وقد ركز بروكلمان على دور الرواية الشفوية في نقل الشعر الجاهلي كما مدح قوة الذاكرة العربية القديمة قياسا على ما تتميز به الذاكرة العربية الحديثة.[2]

أما فيما يتعلق برواية هذا الشعر نفسه أو كتابته فهي حتما ليست على درجة من النزاهة الكاملة فقد عرفت بعض التشوهات أو التغيير العمدي، بما جعل بعض الرواة ينسبون أشعارا إلى هذا الموروث القديم أو يحرفون بعضا منه لأسباب دينية أو قبلية ولكنها لعبت في رأي بروكلمان أدوارا ثانوية بما لم يجعل هذا الشعر كله عرضة للتحريف أو التشكيك، خاصة إذا عرفنا أن الذي قام وحرص على نقل وكتابة هذا الشعر القديم هم العلماء المسلمون أنفسهم رغم كل ما جاء في هذا الشعر والذي اشتمل جزء منه حتى على أسماء الأصنام وعبادتها.[3]

---

[1] بدوي، عبد الرحمن، ***دراسة المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي***، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1، 1979. ص 213.

[2] بروكلمان، ج 1، ص 65.

[3] نفس المرجع، ص 66.

# الفصل السادس

## الترجمة وطريقة عمل المترجمين

## وقفة مع وضع الترجمة العربية الراهن

إن ترجمة أي عمل أدبي أو علمي تقتضي عادة قدرا كبيرا من النزاهة والتحري والأمانة التي تبعث كلها على الثقة والركون العلمي إلى النص المترجم بما يجعل الباحث يشعر بالاطمئنان العلمي وهو يستند إلى هذا العمل المترجم أو ذاك، وهي مسألة تعود إلى شخصية المترجم وطبيعة العمل المراد ترجمته، إلى جانب طبعا العامل اللغوي ومدى سلاسته والباع الذي حققته أي لغة مترجم إليها من لغة ما.

لا شك أن تاريخ الترجمة المعاصر من أي لغة إلى اللغة العربية، ليس بذلك الزخم العلمي المرجو، خاصة إذا كنا نتكلم عن هذا الأمر منذ أكثر من قرن كامل، حيث كان الوضع العلمي والأدبي والسياسي للعالم العربي غاية في السوء والانحطاط وربما لا يزال كذلك نسبيا إذا ما قارناه بالتحولات التاريخية والسياسية التي شهدها العالم العربي، رغم كل تلك الجهود العلمية التي بذلها بعض فطاحل العلماء العرب في مجال الترجمة إلى اللغة العربية وما أحدثته هذه الترجمة من ثورة وتغير في مسارات الأدب العربي الحديث، ولكنها تبقى في الإطار العام جهودا فردية لم ترق بعد لتكون منهجا سياسيا جديدا أو تطورا علميا مشهودا داخل دول هذا العالم العربي، إلا من بعض الدول التي حصل لها بعض الوعي العلمي مما جعلها تقوم على تبني بعض المشروعات الجادة في عالم الترجمة. ولكنها تبقى جهودا حثيثة قياسا على ما توفر للمعرفة منذ عصر النهضة حتى الآن، فلا يزال التقصير العربي شديدا في مجال الترجمة وخير شاهد على ذلك هو نموذج "تاريخ الأدب العربي" لبروكلمان الذي لم تكد تكتمل ترجمته إلى العربية حتى وقت قريب والتي بدأت على أيدي بعض المترجمين الأفذاذ منذ خمسين عاما. ولو نظرنا إلى الوضع الآن لوجدنا أن الأمر اليوم أصبح أكثر صعوبة وصبرا، خاصة بعد أن شح أو انحسر جانب التمكن اللغوي المزدوج، فربما نجد أحدا يتقن اللغة الأم

جيدا لكنه ضعيف على صعيد اللغات الأجنبية، وقد نجد هناك من العرب من يتقن إحدى اللغات الأجنبية بشكل مكتمل ومبدع ولكنه ضعيف في لغته العربية الأم، وبالتالي يصبح شأن الترجمة ضعيفا أو مستحيلا، خاصة في مثل هذه العقود الأخيرة مما حرمنا من الإطلاع أكثر والمعرفة بآخر مستجدات المعرفة.

وللأسف لم يبدأ الاهتمام بهذا المجال الحيوي إلا مع بداية الخمسينات رغم أن الكثير من الأعمال المتنوعة التي صدرت من مدارس الاستشراق المختلفة قد بدأت منذ أواسط القرن التاسع عشر، خاصة ما تعلق منها بالأدب والشعر العربي إلى جانب طبعا الدراسات الدينية الكثيرة والتي ربما لا يزال الجانب الأكبر منها لم يترجم إلا ما تعلق منها ببعض القضايا الحساسة مثل أصالة وكتابة الشعر الجاهلي القديم وقضية الوحي وكتابة الحديث أو ما تعلق ببعض الأسماء اللامعة في عالم الاستشراق مثل أعمال جولدسهير ومرجليوت وشاخث، مما جعل هذه الترجمات ترجمات انتقائية بامتياز، فحتى الآن لم ننتهي من حصر وترجمة ودراسة هذا الفكر الإستشراقي ككل رغم مرور عقود وعقود على هذا الإرث الفكري الغربي الجديد نسبيا بما يجعلنا نتقدم خطوة أخرى بجهودنا الذاتية.

ورغم ذلك نجد أن بعض الدراسات الألمانية على وجد التحديد والتي ترجمت إلى العربية حتى الآن قد لعبت دورا حاسما في دراسة الأدب العربي الحديث ككل، ليس فقط على مستوى النقاش الاستشراقي عامة ولكنها لعبت دورا أساسيا حتى داخل الحيز العربي رغم ضآلة وضعف المتنوج المترجم عموما، ولكن القليل منه كان له صدى كبير ومؤثر في طبيعة وتكوين الدراسات الأدبية الجديدة التي بدأ يعرفها الأدب العربي الحديث. حيث استطاع بعض المترجمين الجادين والمتمكنين منذ الخمسينات نقل بعض أهم الدراسات الألمانية حول الأدب العربي مثل الدكتور عبد الرحمن بدوي الذي كان يجيد الألمانية لغة وفقها إلى جانب براعته

وقوته وشاعريته العربية التي قل لها نظير في العصر الحديث والذي نقل إلى الأدب العربي عيونا من الأدب الألماني شعرا وفلسفة، كما ترجم عددا من بعض الدراسات المهمة الأخرى لبعض العلماء الألمان حول التراث العربي.

ويعتبر عبد الرحمن بدوي من الرواد الأوائل في مجال الترجمة مع لفيف آخر من المترجمين الكبار الذين ملكوا زمام اللغة الألمانية واللغة العربية بشكل قوى وكبير مثل الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة، عبد الحليم النجار، رمضان عبد التواب، بكر يعقوب، محمود فهمي حجازي وغيرهم، ولكن للأسف، نجد أن كل ما قدمه هؤلاء هو جهد قليل لا يكفي بما يزخر وينوء به التراث الاستشراقي، بل هو في حاجة إلى هبة فكرية من هذه الأمة ووعي سياسي من دولها المتعددة التي لا بد أن تسخر جيشا من الباحثين المترجمين لإكمال ومواصلة جهود السابقين حتى ننتهي من صياغة فكرية جديدة لتراثنا وأدبنا العربي في إطار هذه الحقبة الاستشراقية المهمة التي أعقبت عصر النهضة الأوروبية والتي جاءت بعد نكسات تاريخية وانهيارات علمية تلاحقت تترى في تاريخ هذه الأمة منذ سقوط بغداد والتي لا تزال تلقي بظلالها على فكرنا ووضعنا العربي حتى الساعة.

## ترجمة "تاريخ الأدب العربي" لبروكلمان

لقد كان بروكلمان هو "المبادر الأول" لترجمة كتابه الألماني الأصل، حيث كان ينوي جديا ترجمة عمله هذا إلى العربية بنفسه، ولعل هذا الحافز العجيب تولد لديه لأنه كان يشعر بالأسف لكونه قدم كل هذا الجهد حول الأدب والتراث العربي بلغة غير العربية، مما لم يمكن الباحثين العرب من الاطلاع على مثل هذا الجهد الجبار الذي نذر بروكلمان نفسه لأجله طوال خمسين عاما، والذي ربما كان بروكلمان يتمنى معه أن يحظى بتقدير واعتراف وسمعة علمية أوسع من تلك التي عرفتها الدوائر العلمية المحدودة داخل أوروبا عن كتابه.

بدأ بروكلمان بوضع خطة مبدئية دقيقة وخاصة لترجمة كتابه إلى العربية، اختلفت كثيرا عن الأصل الألماني، وهذا لأسباب منطقية ومعروفة مر بها هذا الكتاب الألماني كتابة وطباعة، والذي استمر صدروه على ذلك الشكل الغريب، أي بقاء الأجزاء الأصلية كما هي، أما الجديد فيصدر على شكل ملحق حتى وصل عددها إلى ثلاثة ملاحق ضخمة، لا تغني عن الأصل، وهذا لأسباب تجارية بحتة وشروط تعسفية من صاحب دار النشر كما ذكر بروكلمان والذي لم يكن يستطيع الانتظار حتى ينهي بروكلمان كل الأجزاء بإضافاتها المهمة، ولهذا اضطر بروكلمان إلى أن يقدم لصاحب الدار أي عمل ينتهي منه، وهذا ما جعل عمله قليلا ما مشوشا أو متداخلا أو متعبا إلى حد ما، فإذا كنت تبحث عن أي مادة علمية فلابد من البحث أولا في الجزء الأصلي ثم الانتقال بالضرورة إلى الملحق الخاص به أو المكمل له والذي قد يكون فيه معلومات جديدة ليست في الجزء الأصلي، وهذا الأمر هو الذي جعل بروكلمان يلجأ معه إلى خطة مغايرة في ترجمة الأصل إلى العربية والتي كانت تعتمد على طريقة المزج بين الأصل والملحق، بما يكون عملا متناسقا موحدا ومتسلسلا.

ولكن العمر لم يكن ليسمح للشيخ بروكلمان الذي قارب على الثمانين أن يقوم على مثل هذه الترجمة التي بدأها بنفسه ووضع لها خطتها المناسبة، ولهذا ما أن وصلته أنباء عن مشروع عربي لترجمة عمله هذا عن طريق الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية الناشئة آنذاك حديثا، حتى رحب بالفكرة وأرسل موافقته المجانية وإذنه بالترجمة، بل وأرسل أيضا إلى هيئة الجامعة الجزء الذي ترجمه هو إلى اللغة العربية التي كان يتقنها بشكل مذهل بل وكتبه أيضا بخط يده الرائع، وهذا ما يدعو إلى العجب من شخصية هذا الباحث الدءوب الذي لم يكل أو يضعف حتى وافته المنية.

ولقد ذكر المترجم عبد الحليم النجار الذي كان أول من بدأ بترجمة الكتاب الألماني سنة 1948 والذي عمل فيه وفق خطة بروكلمان الأساسية، أنه وجد في الجزء الذي ترجمه بروكلمان بنفسه ملاحظات وتصحيحات وزيادات ليست موجودة في الأصل الألماني أخذها هو كلها بعين الاعتبار[1].

منذ أن انطلقت عملية ترجمة عمل بروكلمان وحتى توقفها المؤقت مع بداية التسعينيات ووضع الترجمة فيه يبدو معقدا ومتعثرا ومتداخلا، وهذا لأسباب عديدة تعود بالدرجة الأولى إلى طبيعة وتعدد المترجمين لهذا العمل الضخم إلى جانب طبعا نقص التمويل أحيانا أو توقفه إما لأسباب تعود إلى تعاقب المترجمين وصعوبة الانطلاق في كل مرة من جديد وإما لأسباب سياسية كالهزة الكبرى التي حدثت داخل الجامعة العربية وفروعها نتيجة انتقالها من القاهرة إلى تونس بعد معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية التاريخية التي زلزلت الساحة العربية والتي كانت لها انعكاساتها على جميع الأصعدة، منها الصعيد الثقافي الذي تأثر بلا شك بمثل ذلك التحول السياسي الكبير.

طبعا لم يكن مشروع الترجمة يمشي بوتيرة ثابتة للأسباب التي ذكرناها قبلا، ولكن العائق الأكبر كان يعود حتما إلى نقص كوادر الترجمة، خاصة ونحن نتكلم في إطار غياب سياسة ممنهجة للترجمة داخل العالم العربي ككل، فضلا عن توفر مترجمين أكفاء، حيث أن العديد ممن قاموا بمحاولات لترجمة هذا العمل كانوا قد انطلقوا بدوافع شخصية وعصامية لتعلم اللغة الألمانية وتواجدوا في ألمانيا للدراسة سنوات طويلة كانت غاياتهم فيها علوم وبحوث أخرى غير التضلع في مجال الترجمة. ولكن الأدب استفاد منهم لاحقا خاصة وأنهم كانوا على ذلك المستوى اللغوي المزدوج النادر هذه الأيام.

---

[1] بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج 1، ص س.

ولكن رغم كل تلك العوائق إلا أن هؤلاء الرواد لم يدخروا جهدا في خدمة التراث العربي ونذروا معظم وقتهم وحياتهم لترجمة العديد من الأعمال الألمانية بما فيها كتاب بروكلمان الذي كانت ترجمته عملية فوق كل جهد أو تصور، وهذا يعود لطبيعة هذا العمل المعقد والمتداخل والذي تطغى عليه الأرقام والرموز والتكرار ولا مجال فيه للصياغة الذاتية أو الإبداع الشخصي للمترجم كما حدث مع الكثير من الأعمال الأخرى التي تفنن فيها المترجمون بما جعل ترجمتهم أحيانا تفوق العمل الأصلي.

كما ذكرنا سابقا أن أول من وضع لبنة في ترجمة عمل بروكلمان كان الدكتور عبد الحليم النجار الذي انطلق في عمله هذا سنة 1948 م فأصدر منه ثلاثة أجزاء بين سنتي 1959م و1962م ثم توقف العمل بانتقاله إلى جوار ربه.

ثم انطلق العمل مجددا بتحفيز من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية للباحثين العرب لترجمة هذا العمل الذي اعتذر عنه العديد من الباحثين الأكفاء نذكر منهم الدكتور حمدي زقزوق الذي تخرج من الأزهر في مصر ثم سافر إلى ألمانيا حيث أتم دراساته العليا فيها، وكان من البارعين في اللغة الألمانية إلى جانب طبعا تمكنه في اللغة العربية ولكنه لم يساهم في ترجمة عمل بروكلمان للأوضاع السياسية التي ألمت بالمنطقة العربية عام 1979م التي أعاقت كثيرا من تواتر عمل الترجمة كما شهد بذلك الدكتور زقزوق.[1]

وهكذا انطلقت عملية الترجمة من جديد على يد الأستاذين الجهبذين الدكتور السيد يعقوب بكر والدكتور رمضان عبد التواب اللذين اقتسما العمل بشكل متناوب حيث قام كل واحد بمراجعة

---

[1] زقزوق، محمود حمدي، ***الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري***. دار المعارف، القاهرة. 1997. ص 69.

عمل صاحبه وتبادلا التصحيح والتنقيح فأصدرا سنة 1983 الجزء الرابع، ثم قام الدكتور رمضان عبد التواب بترجمة جزء آخر من عمل بروكلمان وراجع ترجمته هذه الدكتور السيد يعقوب بكر فأصدرا الجزء الخامس من "تاريخ الأدب العربي".

ثم قام الدكتور السيد يعقوب بكر بترجمة الجزء السادس الذي تمت مراجعته من طرف زميله الدكتور رمضان عبد التواب، ولكن للأسف توفي المترجم السيد يعقوب بكر قبل أن يصدر هذا الجزء من مطبعة دار المعارف المصرية، وبهذا نضب معين آخر من أهل الترجمة العظام، فقد كان الدكتور السيد يعقوب بكر واحدا من رواد الترجمة وعالما بلغات عدة خاصة اللغات السامية إلى جانب علمه الواسع وتمكنه في اللغة العربية.

وفي أواخر التسعينات انطلق العمل في الترجمة من جديد مع فريق جديد ترأسه الدكتور محمود فهمي حجازي، الذي واصل الترجمة على نهج أسلافه من المترجمين وإن كان الأمر قد أصبح أكثر يسرا وسهولة مقارنة مع الأجزاء الأولى التي أودعها بروكلمان خلاصة آرائه كما ساهم في وضع خطة الترجمة، حيث تحول الأمر إلى ترجمة متواصلة ومتداعية لتكمل باقي فصول تاريخ الأدب العربي الذي لم يعد يزخر بما كانت تزخر به العصور السابقة بعد أن شح معين هذا الأدب وقل علماؤه الأفذاذ فأصبح السرد العام لمراحل الأدب عبر العصور هو النمط العام للكتابة، فلم يعد يتوفر لدينا ذلك النقاش الحاد أو الجدل الفكري حول بعض القضايا الأدبية إلا نادرا أو من خلال موضوعات برزت في واجهة التراث العربي الإسلامي واستمر العطاء فيها ولو بشكل ضعيف ولكنها تضمنت أسماء لامعة وقوية كمجال التصوف أو كتابة التاريخ الخاص لبعض الدول والإمارات أما على الصعيد الأدبي فلم يعد هناك ما يعكس قوة وإبداعا مثل سابق العصور والعهود، من هنا وجدنا كيف تحول التأريخ للأدب العربي إلى مجرد عرض ببليوغرافي لأعمال ومؤلفين عبر عصور ما يعرف بعصور

الانحطاط الأدبي والتي لم تمثل في مجمل التاريخ الأدبي استمرارا حقيقيا له حتى في مجال الشعر الذي ظهر فيه الضعف والتهلهل إلى حد بعيد. وعليه فإن أمر ترجمة باقي عمل بروكلمان إلى اللغة العربية لم يكن سوى استكمالا لهئية العمل العربي كله وإلا يصبح هذا العمل مشهوها ومعيبا وربما لاقيمة له إذا ما قارناه بالعمل الأصلى خاصة وأن الترجمة تحولت مع باقي الأجزاء إلى عمل روتيني متعب وغير خلاق ولكنه كان حتمية ضرورية ليصبح لدينا نسخة عربية كاملة وربما هذا أحد أسباب التواهي والتقاعس عنها لولا إصرار القائمين على شأن الترجمة خاصة منظمة الثقافة والتربية لدى الجامعة العربية.

**مقارنات على الترجمة:**

من الواضح أن بروكلمان قد أضاف الكثير والكثير من المعلومات والزيادات في الجزء الذي وضعه خصيصا باللغة العربية، وهذا الأمر يكاد يكون جليا وملموسا عندما نقارن بين الأصل الألماني والعمل المترجم خاصة في الجزء الأول منه، فهناك الكثير من المعلومات والزيادات التي لا نجدها في العمل الألماني لبروكلمان سواء في الجزأين الأصليين أو الملاحق الثلاثة.

فمثلا في الجزء الأول المكتوب باللغة العربية نجد تفصيلا من المترجم (وربما بإشارة من المؤلف نفسه) عن أهم المصادر التي اعتمد عليها المؤلف في التأريخ للأدب العربي والتي ذكر فيها مراجعا جديدة حول تاريخ الأدب العربي ظهرت في العالم العربي بعد طبع بروكلمان كتابه الأصلي ككتاب "تاريخ الآداب العربية" للرافعي وأيضا جورجي زيدان والزيات وغيرهم من أصحاب الدراسات الجديدة كدراسة المؤلف الروسي كراتشكوفسكي في عمله الرائد "تاريخ الأدب الجغرافي العربي" الذي أفاد منه بروكلمان والمستشرقون أيما إفادة خاصة وأنه أعطى للأدب العربي بعدا جديدا لم يسبقه إليه أحد، من هنا وجدنا هذا الزخم الجديد الذي ظهر في ملاحق بروكلمان والذي جعله يشير إليها بعين الجدية والاهتمام في

محاولته للترجمة العربية حيث ارتأى المؤلف حصر هذه المصادر الجديدة في النسخة العربية استغلالا للمقام والفرصة التي تسنت له والتي أصبح من المتعذر إلحاقها في الأصل الألماني، الذي لم يعد ممكنا طبعه بصورة مغايرة مرات ومرات.

ففيما يتعلق بالقسم السادس الخاص بمصادر معرفة الشعر الجاهلي نجد أن هذه المصادر قد توسعت كثيرا في النسخة العربية قياسا على ما ذكره بروكلمان في أصله الألماني وهذا ما وفق المترجم في حصره ووضعه في سياق تاريخي واحد جمعه من الجزء الأول الأصلي والملحق الخاص به وما كتبه فيما بعد بروكلمان بنفسه في الجزء العربي المترجم، وبهذا يكون الجزء الأول من "تاريخ الأدب العربي" الذي ترجمه عبد الحليم النجار وساهم بروكلمان بجزء من ترجمته جزءا وافيا ومكتملا في إطار هذه الحقبة التاريخية المهمة من تاريخ الأدب والتراث العربي ككل والمتعلقة بأولية اللغة العربية وتاريخها اللساني السامي بالإضافة إلى الشعر والرواية ومن ثمة إغناء مصادر هذا الأدب القديمة منها والجديدة، وهي كلها مواضيع أو مادة علمية غاية في الأهمية في تاريخنا الأدبي، لأنها تحدد مسار ونمو الأدبي العربي بشكل حاسم، من هنا يكاد يكون هذا الجزء أخطر ما في عمل بروكلمان، ولحسن الحظ أنه وضع بصمته الأدبية والتاريخية في هذا الجزء الأدبي الحساس قبيل رحيله مع الجهد الكبير والعملاق الذي بذله المترجم عبد الحليم النجار وفريقه خاصة إذا ما قارناها بالصعوبات التي قد تعترض القيام بهذا الأمر لأول مرة في ظل الظروف الصعبة وشح الإمكانيات وسوء التواصل أحيانا التي انطلق فيها هذا المشروع العلمي الجبار والعظيم.

ولا نبالغ إذا قلنا أن الأجزاء الأولى من النسخة العربية لتاريخ الأدب العربي قد تكون من حيث الترتيب والثراء وسهولة التعامل معها أفضل من الأصل المترجم، وإن كان هذا الأمر يبدو منطقيا، لأنه ونحن بصدد ترجمة عمل مشتت نسبيا ومجدد في نواحي أخرى يمكن

للمترجم أن يضع خطة دقيقة يتلافى بها كل أخطاء وعيوب ونقص العمل السابق، ولكن هذا كله لا يقدح في أصالة وقوة وضخامة عمل بروكلمان الألماني الأصل، خاصة وأن الترجمة تعثرت كثيرا ولم تكتمل حتى وقت قريب جدا، بما أفقد هذا العمل المترجم بعضا من الأهمية والحضور العلمي له بين الباحثين العرب وغير العرب، كما أن خطته ومنهجه الجديد جعله وكأنه عمل مغاير ومختلف عن الأصل الذي لا يمكن الاستغناء عنه بأي حال من الأحوال، خاصة لمن هو يجيد اللغة الألمانية ويستطيع التعامل مع عمل بروكلمان.

الملاحظ أن هناك بعض الأخطاء التقنية أو الشكلية موجودة في الأصل الألماني تم تصحيحها وتداركها في النسخة العربية من قبل المترجمين، فمثلا نجد في الجزء الأول من الأصل الألماني ظهور مادة القسم الخامس تحت مسمى القسم الرابع الذي ورد تكراره مرتين بما أخل بالترتيب العام لباقي الأقسام وهو ما قد يشوش الباحث في هذه النسخة الألمانية.

هناك أيضا بعض التغييرات الاصطلاحية قد اعتمدها المترجمون ربما بشكل مغاير للأصل الألماني فيما يتعلق ببعض الأبواب والأقسام، وهذا أمر طبيعي بحسب اختلاف اللغتين واختلاف الثقافتين العربية والأوروبية، فكان لزاما أن يلجأ المترجمون إلى اعتماد مصطلحات تاريخية وجغرافية أصيلة داخل الثقافة العربية، ولم يكن هناك من داعي لترجمتها حرفيا، فمثلا هناك أقسام أو أبواب جاءت في الأصل الألماني تحت مسمى "شعراء شمال أفريقيا" و"شعراء إسبانيا" ولكن المترجمين لم يتقيدوا بهذه المسميات فوضعوها تحت عنوان شعراء المغرب وشعراء الأندلس، وهذا لأن مثل هذه المسميات الجديدة عند بروكلمان لم تكن معروفة في التاريخ العربي إلا حديثا، ولكن المتأمل يجد أن هذه الاصطلاحات المختلفة بين النسختين العربية والألمانية موفقة ومبررة، فبالنسبة لمن يتعامل من غير العرب مع عمل بروكلمان الألماني فإن كلمة شمال أفريقيا أعم من كلمة المغرب التي ربما يتوهم غير العربي فيظنها بلد

ما يعرف اليوم بالمملكة المغربية، ولهذا وضع بروكلمان مصطلحا أكثر عموما وشمولا، أما تسمية قسم شعراء إسبانيا في النص الألماني فلأن القارئ غير العربي لا يعرف ما يسمى ببلاد الأندلس، ولكن العربي يعرف جيدا هذا المسمى التاريخي والغني والحافل بالإنجازات في حضارتنا، من هنا لم يقم المترجمون بالترجمة الحرفية بل حاولوا أن يستدركوا ويجتهدوا في عرض مادة الكتاب المترجم بشكل أدق وأوضح وأقرب إلى روح الحضارة العربية الإسلامية.

أيضا من مجالات الاجتهاد والتوفيق في هذه الترجمة على صعوبتها وتعقدها هو حرص المترجمين على تصحيح أو التعليق على بعض الحقائق التاريخية والأفكار الواردة في سياق النص الألماني والتي كانت تعكس ربما نظرة المؤلف أو نظرة من كان ينقل عنهم والتي هي بلا شك حصيلة عن وجهات نظر استشراقية بحتة، ولكن المترجمين لم يكتفوا بالترجمة والنقل الحرفي لعمل بروكلمان، بل لقد علقوا في حواشي العمل المترجم على كثير من المسائل الحساسة في فكرنا العربي الإسلامي والتي لم يكن من الممكن المرور عليها دون التعليق أو إبداء وجه الخطأ أو الخلط أو سوء الفهم من قبل بعض الدارسين لهذا التراث من غير العرب وغير المسلمين.

فهناك الكثير من المسائل اللغوية والعقدية والدينية عموما التي التبست على المؤلف وكان من المناسب التعليق عليها، فمثلا في الباب الثاني من الكتاب الأول في معرض الحديث عن عصر النبي (صلى الله عليه وسلم) أورد بروكلمان فقرة تتحدث ربما بشئ من الإنكار أو التقليل من دعوة محمد والتي لا يمكن لأي مسلم عربي طبعا أن يستسيغها حيث يقول بروكلمان: "واستخدم محمد في دعوته أساليب الكاهن، كما عزا على غراره أحوال غيبوبته وما يصدر في هذه الأحوال من تصريحات إلى رفيق ذكر فيما بعد أنه الملك جبريل، واعتقد

أنه رسول الله إليه..."[1] وهنا علق المترجم على هذا القول بكيل من الاتهامات لبروكلمان بأنه يعجز عن إدراك أساليب البيان العربي ودلالاتها وإشعاعاتها التي لا يراها إلا الذوق العربي الأصيل، كما أنه لا يستطيع أن يستوعب مقومات شخصية محمد الصادق الذي هو أبعد عن أحوال الكاهن كما أن أسلوب القرآن مختلف كل الاختلاف عن تعبير الكهان... إلخ.

طبعا من الواضح أهمية مثل هذه المداخلات التصحيحية من المترجمين ولكن ينبغي أن لا ننسى أن بروكلمان لا يمكن أن يكون بكل هذا التجرد العلمي، فهو يبقى في قرارة نفسه مسيحي الديانة والعقيدة وليس بالضرورة أن يعتقد ما نعتقده كمسلمين أو يسلم بالضرورة بأشياء ننظر إليها بحكم ديننا على أنها حقائق أو الحق نفسه. ولهذا نجد أنه لا بأس بهذا التصويب من قبل المترجمين على أيه حال.

ولكن في الإطار العام تبقى الترجمة في هذا العمل وفية ودقيقة إلى حد كبير رغم صعوبتها وتشعبها، كما أن الأخطاء في النقل تكاد تكون قليلة نسبيا مقارنة بحجم المادة وضخامة العمل بالإضافة إلى وجود ذلك الكم المهول من الأرقام والرموز والإحالات إلى جانب الأعلام والأعمال الصادرة باللغات الأوروبية والتي يصعب ترجمتها كلها وحرفيا ولهذا نجد أن الكثير منها قد نقل كما هو ضمن السياق العام للكتاب وضمن الحواشي والهوامش، خاصة وأن بروكلمان اعتمدها في عمله بشكل أساسي، فهو قد ركز من الناحية النقدية التحليلية على أغلب الدراسات الاستشراقية والجهود الغربية في دراسة وتاريخ الأدب العربي والتراث الإسلامي عموما.

---

[11] بروكلمان، ج 1، ص 134.

# الفصل السابع

## الأدب الجزائري في عمل بروكلمان

**مقدمة:**

بما أن مشروع هذا البحث سيتم تقديمه على مستوى جامعة الجزائر، فقد ارتأيت أنه من المناسب أن تكون لنا فيه وقفة مع موضع وحضور التراث الجزائري في عمل بروكلمان ككل، خاصة أدب الجزائر في العصر الحديث والذي للأسف لم يتعرض له بروكلمان إلا بعمل أو عملين وهو الأمر الذي يستحق منا معالجة جادة للوقوف على أسباب هذا الغياب أو الإهمال الذي لا شك أنه غير مقصود، أو حتى غير منتظر أو معول عليه كثيرا من رجل اجتهد طوال خمسين عاما في وضع مصنف تاريخي ضخم لأغلب آداب العرب منذ ما قبل الإسلام وحتى العصر الحديث.

وقد كان حرص بروكلمان على أن يضع لأدب العصر الحديث ملحقا كاملا، وهو عمل لم يضاه حتى الآن من حيث الشمول والعموم عبر جميع المراحل الزمنية، خاصة وأنه جهد متأخر لرجل أنهكه البحث العلمي والجمع الدءوب لمادته وهو في أواخر عمره، فلم يكن في مقدوره أن يعرض لكل باب أو أمة ما لديها من تراث إلا حسبما ما تيسر له العلم والإطلاع عليه ولهذا وجدنا كيف أنه تكمن من عرض أغلب الأعمال الأدبية للمجتمع المصري على وجه التحديد حيث أشار إلى لفيف معتبر من الأدباء والشعراء والمسرحيين المصريين حتى المغمورين منهم وهذا ربما يعود للحراك العلمي والأدبي والسياسي الطاغي لمصر في العصر الحديث، إلى جانب طبعا الاحتكاك الملموس لمصر بحركة الإستشراق وانتقال المستشرقين

إليها باستمرار وتواجدهم المكثف فيها بما جعل الساحة المصرية غنية بالتآليف والنشر ومعرفة الغربيين بواقع الثقافة المصرية الحديثة مقارنة مع باقي البلاد العربية التي كانت تمر بعزلة ثقافية وسياسية شديدة حتى كأنها ميتة.

ورغم أن مصر كانت كمثيلاتها من البلدان العربية الأخرى من حيث الوطأة الاستعمارية والحماية الأجنبية عليها إلى أنها استطاعت أن تفلت من قبضة التغريب الأدبي والثقافي الذي عانت منه بلاد أخرى بشكل غريب وغير مبرر كما هو الحال مع عموم المغرب العربي وحال الجزائر بشكل استثنائي مع آلة ثقافية جهنمية كالآلة الفرنسية، والتي جعلت الجزائر في نظر أشقائه العرب بلدا خارج السياق العربي أو وجها آخر للثقافة الفرنسية، خاصة مع حالة التغريب الشديد التي كانت تظهر في أبسط تفاصيل الحياة العامة للمجتمع الجزائري.

وربما لو قارنا مثل هذه المعالجة الباهتة لتراث الجزائر الحديث في أعمال أخرى مع عمل بروكلمان لربما وجدنا أن بروكلمان قد أشعل شمعة في ظلمة هذا الأدب قياسا على غيره من الدارسين الذين لم تصل جهودهم وهمهم إلى ما وصل إليه بروكلمان، فأغلب الكتب التي كتبت عن تاريخ الأدب العربي، خاصة من أهل المشرق لم تتعدى مراحلا تاريخية بعينها، بل إن الكثير من هذه الأعمال لم تملك رؤية إحصائية معمقة لمجمل آداب العرب، فالرافعي لم يتعدى تأريخه منطقة الأندلس، وإن كان عمل الرافعي لا يندرج عمليا في ظاهرة التأريخ العام ولكنه تصنيف لأبواب وفنون العربية كلها، دون أن يدخل فيها عامل الإحصاء لأعمال الأدباء العرب ككل وليس فقط الجزائر، ولهذا لا يمكن اللوم أو التعويل كثيرا على عمله هذا والذي تتشابه معه بقية الأعمال الأخرى التي أطلقت نفس المسمى "تاريخ الأدب العربي" على نفسها مضاهاة لعمل بروكلمان الذي هو على الإطلاق أول تأليف حقيقي في هذا المجال ولكن

للأسف ابتعدت هذه التآليف كلها عن منهج بروكلمان ولم تتطور أو تكمل ما انفصم أو نقص في عمل بروكلمان.

فكل الأعمال التي ظهرت بعد بروكلمان هي ذات طابع تحريري تعليمي متقارب، لأن أغلبها قد وضعت لغايات تعليمية أو وصفية للغة العربية وما نتج عنها من آداب متنوعة ارتكزت جلها على الشعر، سواء ما كتبه الرافعي أو جورجي زيدان أو أحمد أمين أو أحمد حسن الزيات، والتي للأسف لا ترقى أن تكون تاريخا شاملا لآداب العرب قياسا على العناوين التي اعتمدتها والتي اعتبرها مؤرخ عميق النظرة مثل بروكلمان كتبا ضئيلة القيمة يقصد أكثرها إلى أغراض التعليم.[1]

وحتى آخر الأعمال التي صدرت من الباحثين والمؤرخين العرب، لم تتطور بما يكفي لتكون أكثر شمولا ودقة ومنهجية وقربا من روح التأريخ العلمي الذي كنا ولا نزال ننشده لتراثنا العربي الزاخر. فهاهو أخر المؤرخين الكبار مثل شوقي ضيف لم يخرج كتابه القيم "تاريخ الأدب العربي" عن المنهج الذي اعتمده أسلافه من الكتاب أمثال الرافعي وأحمد أمين، وحتى المعايير التي اعتمدها تبدو قليلا مشوشة ومتداخلة، كما أنه لم يخرج عن إطار الوصف والاستطراد والتعمق في تفاصيل تاريخية وثقافية بحتة وعامة تبعد عن الخط التأريخي الأدبي لتدخل في مناقشة المسائل العلمية بأدق تفاصيلها.

ومع احترامنا الشديد لمثل هذا العمل الكبير لشوقي ضيف إلا أنه هو الآخر لم يستطع أن يبلغ شأو بروكلمان في تغطية تاريخية حقيقية لمجمل آداب العرب منذ البدايات وحتى العصر الحديث.

---

[1] بروكلمان، ج 1، ص 34.

ورغم أن شوقي ضيف حاول في الأجزاء الأخيرة من عمله استدراك بعض نقائص التأريخ للأدب العربي من جوانب عدة إلا أن ضخامة المادة وتشعبها وتشتتها لم يصل به إلى غاياته النهائية، خاصة ما تعلق منها بأدب العصر الحديث لكثير من الدول العربية بصورتها الجغرافية الحالية، على الرغم من أنه أفرد أجزاء كاملة للأدب العربي في عصر الدول والإمارات، ومنها الجزائر التي لا شك أنه رسم لها صورة تاريخية وصفية عامة وحدد منتوجها الأدبي والفكري عبر قرون متقدمة ولكنه للأسف لم يتعد بجهده هذا مرحلة زمنية تاريخية. كما تميزت دراسة شوقي ضيف للأدب الجزائري بعمومية تاريخية لم تقف على حقيقة وجود تلك الأعمال المتبقية وتلك الشخصيات الأدبية والعلمية التي لم يصلنا الكثير من منتوجها الفكري عمليا وهو الأمر الذي كان بروكلمان يحرص دوما على التقصي منه والتثبت كما أنه كان المعيار الحقيقي لعرض مادته كما ذكرنا سابقا في فصل معايير كتابة تاريخ للأدب العربي عند بروكلمان.

طبعا لا يمكن أن نفسر مثل هذا القصور من المؤرخين العرب وغير العرب ممن حاولوا وضع تاريخ عام للأدب العربي منذ بدايات القرن العشرين، إلا بتقصير ذاتي من كل مجتمع عربي في التعريف بتراثه أولا ثم بغياب تنسيق عربي لإصدار دورية علمية تختص فقط بالتعريف لأهم ما نتج في عالم الأدب العربي في العصر الحديث منذ ظهور الطباعة وحتى الآن، وهو الأمر الذي لم يمكن تحقيقه عبر الكثير من الأعمال التي نذرت نفسها لكتابة تاريخ للأدب العربي.

لكن الذي ينبغي التنويه به هو أنه قد تم تأليف الكثير من الكتب والمصنفات الكبرى التي تتحدث عن الأدب القومي لكل مجتمع عربي منذ بداياته وحتى العصر الحديث وهذا ربما ما

سيسهل علينا لاحقا وضع موسوعة شاملة وحقيقية لتاريخ الأدب العربي عبر كل الأزمنة وفي كل مكان.

## المخطوطات العربية في الجزائر:

لقد بدأ بروكلمان عمله بادئ ذي بدأ بسرد أهم المصادر التي اعتمد عليها لتراجم المؤلفين والمؤلفات في جميع مادة البحث التي عرضها في كتابه والتي كان أهمها على الإطلاق فهارس المخطوطات العربية في جميع أنحاء العالم والتي ذكرها بروكلمان مرتبة حسب حروف المعجم.

فيما يتعلق بالمخطوطات العربية الموجودة في الجزائر فقد أحصى بروكلمان حوالي خمسة مواضع لأماكن تواجدها عبر كامل التراب الجزائري، فذكر أولا تلمسان التي أشار لها المستشرق كور ضمن الفهرس العام الذي وضعه للمخطوطات المحفوظة بمكاتب الجزائر سنة 1907م، ومنها مدرسة تلمسان[1]. كما أحصى بروكلمان الجزائر العاصمة على موضعين، "جزائر أول" فهرس من عمل فانيان سنة 1893م (مخطوطات مكتبة متحف الجزائر)[2]، و"جزائر ثان" فهرس من عمل محمد بن شنب 1909م (مخطوطات الجامع الكبير)[3]، ثم ذكر

---

[1] A. Core, *Catalogue des manuscrits arabes conserves dans les principales bibliothèques*. Médrasa de Telemcen. Algier 1907.

[2] E. Fagnan. *Manuscrits de la bibliothèque-Musée d'Alger*. Paris 1893. (Catalogue général. Bd. 18)

[3] M. Ben Cheneb, *Catalogue des manuscrits arabes conserve dans les principales bibliothèques algériennes*. Grande Mosquée D'Alger, Rue de la Marien. Algier 1909.

بروكلمان مدينة الجلفة التي كانت تحتوي مكتبة باش آغا وقد ذكرت في فهرس من عمل رينيه باسيه سنة 1884م[1].

ولكن هذا الحصر لم يأت على جميع النقاط التي يمكن أن تتواجد فيها المخطوطات في الجزائر، فقد قام بعد ذلك فؤاد سزكين بحصر أكثر من 27 موضعا في كتابه "تاريخ التراث العربي" في الجزء المخصص لمجموعات المخطوطات العربية في مكتبات العالم، وهذا بعد أزيد من خمسين عاما على عمل بروكلمان، فقد تسنى لسزكين الكثير من المعلومات وهو جهد في الحقيقة مقدر ومثمن من هذا العالم والمحقق والمؤرخ الفذ الذي استطاع أن يكمل الكثير من النقائص ويصحح الكثير من الأخطاء في عمل أستاذه بروكلمان.

الملاحظ أن الكثير من الأماكن التي ذكرها أو أشار إليها سزكين لم تعد معلومة الهوية ولا نعرف مصير المخطوطات التي كانت فيها، وما هو موقف الهيئات العلمية من حقيقة هذه المكتبات التي أشار لها المؤرخون منذ أكثر من قرن بداية مع بروكلمان ونهاية بجوزيف شاخت وفؤاد سزكين، وربما قد تكون هذه المجموعات قد انتقلت إلى مكان موحد أو ضمت إلى أرشيف المكتبة الوطنية، ولكن المؤسف له أنه حتى الآن لم يتم اعتماد سياسة واضحة وجادة تجاه المخطوطات العربية في الجزائر خاصة تلك التي لا تزال تملكها عائلات أو مكتبات خاصة.

وكل ما نعرفه عن المخطوطات العربية في الجزائر هو وجودها ضمن أماكن عامة ومعروفة الآن أكثر من السابق مثل المجموعة التي تتواجد ضمن المكتبة الوطنية والتي لا يزال لها نفس الفهرس الذي وضعه فانيان رغم محاولة القائمين في المكتبة على إصدار نشرات دورية

---

[1] R. Basset. *Les manuscrits arabes du Bach Agha de Djelfa*. In: Bulletin de correspondance africaine 1884. V–VI. 363–375.

لعدد من المخطوطات لديها إلى جانب محاولة لوضع فهرس جديد، والذي لم يصدر حتى الآن، كما أنه لا يوجد لدينا إلى اليوم فهرس عملي يحصي بالتدقيق جميع المخطوطات الموجودة في التراب الجزائري ووضعها العلمي والمادي.

طبعا فيما يتعلق بالمجموعات المتناثرة هنا وهنا سواء لدى مؤسسات علمية أو عائلات فحالها ليس بأفضل من حال مجموعة المكتبة الوطنية أو مجموعة أدرار باعتبارها واحدة من مراكز المخطوطات في الجزائر، فمجموعة مثل مجموعة المخطوطات الموجودة في بني يزقن في مدينة غرداية للشيخ أطفيش وأبناءه لا تزال بنفس الوضعية القديمة دون وجود فهرس حقيقي وعملي لها أو محاولة ضمها لباقي المجموعات التي تزال هي الأخرى منفصلة كالمجموعة الكبيرة الموجودة في مدينة أدرار رغم الجهود التي يقوم بعض الباحثين الجامعيين أو الأحرار لدراسة الكثير منها والتعريف بها إلى جانب الملتقيات العلمية التحسيسية بها.

أيضا هناك مجموعة من المخطوطات لا بأس بها توجد في الزاوية الشهيرة بمدينة الهامل التاريخية لم يذكرها بروكلمان في مصادره للمخطوطات، أما سزكين فقد ذكرها ضمن كتب رينيه باسيه عن المخطوطات العربية في زاوية الهامل.[1]

وتنسب هذه المجموعة إلى الأسرة القاسيمية التي تحاول منذ سنوات وضع فهرس لها، والذي صدر بالفعل سنة 2006م بدار الغرب الإسلامي.

وربما تكون هذه الفهرسة من أهم وأحدث الأعمال المتعلقة بوضع المخطوطات في الجزائر كما أنها تمثل إضافة مهمة لها، حيث قام أحد سليلي الأسرة القاسيمة محمد فؤاد خليل القاسيمي بوضع فهرس جزئي لنصيب أسرته من مكتبة زاوية الهامل التي تأسست على لبنة

---

[1] R. Basset, Les manuscrits Arabes de la Zaouia D'El Hamel in: Giornal della Società Asiatica Italina.10/1897/43-97, 50/1976/41.

من تركة جد الأسرة الشيخ عبد الرحيم بن سائب بن منصور الشريف الحسني، وبقية مما ترك ابنه الشيخ أبو القاسم. ثم ازدهرت في عهد الشيخ العالم المحقق سيدي محمد بن أبي القاسم الحسني، بعد أن أسس زاويته المشهورة بالهامل. وبعد وفاة الشيخ المؤسس، قسمت على ورثته الخمسة، لينمي كل منهم سهمه، ثم قسمت على الجيل التالي، فهذه الفهرسة التي بين أيدينا اليوم، هي جزء من اثني عشر جزءاً، وهي مجموعة صغيرة إذا قيست ببقية المكتبات، حيث لم تتجاوز 700 عنواناً في نحو ألف ومائتي مجلد.

وقد نشرت أول فهرسة لبعض المخطوطات الموجودة في هذه المكتبة سنة 1897 باللغة الفرنسية وهي من إعداد المستشرق الفرنسي رينيه باسيه، شملت 52 عنواناً، اقتصر فيها على عنوان المخطوط ومؤلفه وذكر وفاته، وعدد نسخه، والنسخ المذكورة منه في فهارس مكتبات أخرى، وتاريخ طبعه إن كان. ثم تعددت الفهارس التي لم تنشر لهذه المكتبة على يد الشيخ محمد بن عبد العزيز الفاطمي سنة 1933، والشيخ محمد بن عزوز القاسمي مراراً، والطاهر القاسمي الحسني رفقة محمد فؤاد القاسمي الحسني 1986، ثم فهرسة نشرت على مستوى الجامعات من إعداد أبو الأنوار دحية ومحمد فؤاد القاسمي الحسني 1986، ثم فهرسة نشرت على مستوى الجامعات من إعداد أبو الأنوار دحية ومحمد فؤاد القاسمي، شملت 300 عنواناً مرتبة على الأرقام. وقد اقتصر مؤلف هذه الفهرسة على ذكر العنوان والمؤلف والناسخ وتاريخ النسخ، والبداية والنهاية والمسطرة والمقاييس، كما اعتمد على مرجعين أساسيين فقط هما الزركلي وكشف الظنون.

ولكن مؤلف فهرسة سنة 2006م بدا له أن يعيد فهرستها بطريقة أدق وصفاً وأكثر ضبطاً للمراجع، مرتبة ترتيباً أبجدياً لتيسير البحث، وجاءت مشتملة على أكثر من ضعف العدد الأول، خاصة وأن وصف المخطوط هو بمثابة البصمة له، التي تدل عليه هو نفسه، ولا يمكن

أن يتكرر نفس الوصف الدقيق لأكثر من مخطوط إلا في النادر والنادر جداً، فإذا اتفقا في المقاييس يختلفان في الخط، وإذا اتفقا في الخط يختلفان في نوع الورق، دواليك حتى لا تكاد تجد نسختين متطابقتين إلا في المطبوع .

كما أن وصف المخطوط ينبني على معلومات ثابتة، بها يكون المخطوط مخطوطاً، وأخرى متغيرة إذ صح التعبير، قد تكون فيه وقد لا تكون. أما الثابتة، فوجود النص المكتوب، بموضوعه وفنه، وبدايته ونهايته مهما كانا، على ورق معين بنوعه وعدده، وبمقاييس ومسطرة وخط ما. أما المتغيرة التي قد تفتقد أحياناً، فهي العنوان والمؤلف والناسخ وتاريخ النسخ ومكانه، وهذه يجتهد المفهرس في التوصل إليها بالمراجع والمقارنة والتحقيق والتدقيق، وربما بثقافته العامة في معرفة الكتب وأصحابها وفنونها، وبخبرته في معرفة أنواع الورق والخطوط وتواريخها التي يقدر بها زمن المخطوط. وعلى هذا، وقد كان وصف للمخطوط في هذا الفهرس الجديد للمكتبة القاسمية يقوم على الآتي:

العنوان :أثبت المفهرس العنوان الذي ورد في نص المخطوط، فإن لم يكن، فالذي في كشف الظنون، ثم إيضاح المكنون، ثم تاريخ بروكلمان، فإن لم يكن فيما سبق تابعه في ما وجد في فهارس المخطوطات العربية الأخرى.

المؤلف: أثبته المفهرس كما ورد في أعلام الزركلي، مع إضافة الكنى والألقاب والنسب التي وجدها في غيره، ملتزما في تاريخ الميلاد والوفاة بالرزكلي، وإذا كان اختلاف معه في غيره لاحظه.

أول المخطوط: إذا كان من الكتب المشهورة أو المنشورة، اقتصر على ذكر كلمتين أو ثلاث من بدايته ولا سيما إذا كان كاملاً، للدلالة على تمامه فقط. آخر المخطوط: ذكر نهاية المخطوط يدل على تمامه بالدرجة الأولى، ثم هو محاولة لتيسير نسبة الكتب إلى مصنفيها، أو

تاريخ كتابتها، فلو كان في فهارس المخطوطات ذكر للنهاية، خاصة إذا كانت النسخة موضوع الدراسة ناقصة الأول .

الناسخ وتاريخ النسخ ومكانه: هذا المجال من المتغيرات، وكثيرة هي المخطوطات التي تفتقر إليه.

الخط: ذكره كما هو موجود كالنسخي والثلث والرقعة والفارسي ونستعليق والأندلسي. المداد: وصفه وصفاً شكلياً بسيطاً مع ذكر الألوان إن لم تتعدد كثيراً. والصمغ، لكن لا يعرفه –وهو غالب في المخطوطات المغاربية– يصنع من الوذح وهو صوف آباط الغنم، ويكون لونه بنياً .

الأوراق: ذكر عدد الأوراق كاملاً، إذ بعض المخطوطات –وقليلة هي– تكون فيها بعض أوراق غير مكتوبة، وأشار إلى ذلك إذا فاق عددها العشر. الكلمات: نذكر العدد التقريبي – طبعاً– للكلمات في السطر الواحد، حرصاً على إعطاء صورة دقيقة عن المخطوط للباحث، بعد مراجعة أكثر من صفحتين في أوله ووسطه وآخره .

التأطير: ذكره إذا وجد.

التجليد: معظم مخطوطات المكتبة القاسمية ذات تجليد مغربي بسيط، فلم يول لها اهتماماً كبيراً.

المراجع: وهي غالبا ما تكون قليلة، لا سيما إذا كان المخطوط بدون عنوان أو اسم مؤلفه، وقد حاول المفهرس القاسمي قدر المستطاع توفير جهد الباحث في التوصل إلى المراجع التي تناولت هذا المؤلف أو هذا الكتاب، ليتفرغ إلى ما هو أهم، من دراسة وتحقيق .

وتأصيلاً للعمل، وزيادة في الفائدة، فقد قام المفهرس بالترجمة لأصحاب المتون المشروحة أو المحشاة، بذكر أسمائهم الكاملة وتاريخ الميلاد والوفاة، مع ذكر المراجع، ثم تليها المراجع

التي تتحدث عن الكتاب، سواء بالتعريف به أو بذكر طبعه، والمعتمد فيها كشف الظنون، وذيله إيضاح المكنون، ومفتاح السعادة، وتاريخ بروكلمان، واكتفاء القنوع بما هو مطبوع لفنديك. وأخيراً المراجع التي تذكر مكان وجود هذا المخطوط أو ذاك في المكتبات التي حزنا فهارسها، كمكتبة الجزائر، وتونس، والرباط، ومصر، والرياض، وصنعاء، وغيرها، مما هو مذكور في قائمة المراجع.

الملاحظ أن غياب مثل هذا الفهرس الموحد لمخطوطات الجزائر بات أمرا ضروريا خاصة وأن هناك مساعي عالمية ودولية لوضع فهرس عالمي لجميع المخطوطات في العالم والذي بدأ العمل فيه فعليا منذ سنوات في لندن ولكن التعويل على الجهود الذاتية لكل دولة في التعريف بمخطوطاتها هو الذي سوف يساهم بشكل كبير في ظهور وإتمام مثل هذا الفهرس المهم.

## التراث الأدبي الجزائري في عمل بروكلمان:

قبل أن نتحدث عن حجم أو طبيعة التراث الأدبي والعلمي الذي أسهمت به الجزائر قديما وحديثا ضمن هذا المجال التاريخي الضخم الممتد عبر القرون والحدود الجغرافية الواسعة، لا بد أن نضع هذه الرقعة المكانية التي أصبحت تعرف اليوم بالجزائر في إطارها التاريخي والجغرافي والحضاري عموما بما يجعلنا نفهم طبيعة القصور العلمي فيها والذي اتسم بضعف المنتوج وقلة الأعمال لهذا البلد منذ فجر التاريخ وحتى العصر الحديث وهو أمر ليس فقط في الجزائر ولكن هناك العديد من الدول العربية والإسلامية بشكلها الحالى لم يكن لها إسهام حقيقي أو حضور ابداعي ضمن مجال الحضارة العربية الإسلامية الواسع جدا والتي ترامت أطراف مملكتها في كل مكان بما جعل العلم أو الإبداع يتركز في نقاط معينة في جسد العالم

الإسلامي القديم الذي تغير اليوم عن سابق عهده جملة وتفصيلا. ولهذا فإن أي معايير لتقييم الإبداع أو العطاء العلمي لهذه المنطقة لا بد أن يوضع في سياقه الجغرافي والتاريخي معا.

فالجزائر الحديثة اليوم وإن عرفت في سابق عهدها علماء عديدون إنما كانوا يمثلون امتدادا لشرقها أو غربها القديم الذي ارتبط بمدود حضارية قديمة لها ظروفها التاريخية والجغرافية كسائر البلاد العربية الأخرى التي تركز العطاء الحضاري والإبداع العلمي لها في نقاط معينة منها كبغداد ودمشق وبعض بلاد إيران ومصر أحيانا، لكون هذه البلاد كانت تمثل نقاطا سياسية قوية بما جعل الابداع العلمي ينساق معها أيضا، ولهذا لا حظنا كيف أن الأندلس القديمة قدمت كل ذلك العطاء العلمي الباهر عندما كانت مملكة سياسية قوية تعدى حكمها ما وراء البحر حتى أقاصي إفريقيا لتشمل بلدا كالجزائر التي كان علماءها يشعون منها إلى هذا الجزء الجغرافي المهم في تاريخ أمتنا العربية الإسلامية التي لم تكن إيديولوجيتها تكرس المكان بقدر ما كانت تكرس الروابط العقدية والفكرية وحتى اللغوية.

ولعل هذا البعد الجغرافي والسياسي هو الذي يفسر ذلك الشح العلمي أو قلة معلوماتنا عن علماء ينتمون إلى الجزائر كبلد جوهري في قلب العالم الإسلامي وأيضا عن الحركة العلمية فيه وهو الأمر نفسه الذي ينطبق على بلاد عربية أخرى كتونس وليبيا والمملكة المغربية، لأنها كانت تمثل في أغلبها كيانا سياسيا واحدا مرتبطا مرة ببلاد ما وراء البحر كالأندلس ومرات قليلة مع أخريات الشرق العربي، ولكن الطابع التاريخي السياسي العام لهذه المنطقة ككل كان يحكمه الشتات السياسي بكل ما تحمل الكلمة من معنى وهذا هو ما يفسر التأرجح السياسي والحضاري وحتى العلمي لبلد كالجزائر لأنها كانت في وسط هذه المنطقة العازلة، التي كانت تونس تمثل شرقها والجزائر وسطها والمملكة المغربية اليوم أقصاها. ورغم هذا

الوضع السياسي والجغرافي المعقد إلا أن الجزائر كانت تسهم بعلمائها وبعطائها العلمي الذي كان يشع في بلاد أخرى كالأندلس والمشرق العربي.

طبعا لا يهم التراث الأدبي والفكري لحضارة العرب مثل هذه المبررات التاريخية أو الجغرافية ولكننا بصدد دراسة تقييمية لطبيعة العطاء العلمي والأدبي لبلد كالجزائر عبر حقب زمنية طويلة وهو الشيء الذي نحتاج معه إلى زيادة بحث وتنقيب وأيضا تفسير تاريخي واجتماعي لهذا القصور العلمي الذي عرفته الجزائر عبر تاريخها القديم وحتى الحديث.

للأسف عندما تتبعنا وضع التراث الأدبي والحضارى عموما للجزائر في عمل بروكلمان لم نجد سوى عينات قليلة جدا جدا عن العلم والعلماء في الجزائر عبر كل المراحل التاريخية التي أحصاها بروكلمان في كتابه الضخم "تاريخ الأدب العربي".

لا شك أن كتب التاريخ خاصة تاريخ الجزائر حافلة بأسماء العلماء والمؤلفين ومجالات الإبداع التي زخرت بها بلاد المغرب الأوسط (أي الجزائر)، لكن معايير بروكلمان في حصر وذكر أي عمل مهما كان مصدره كان يتوقف بالدرجة الأولى على مدى وجوده بيننا اليوم في أي وضعية كان، حتى ولو كان ناقصا وهذا أمر حدده بروكلمان منذ البداية، حيث أخرج من مادته الإحصائية الأعمال المفقودة التي لم تصلنا حتى وإن ذكرتها كتب التاريخ أو وردت الإشارة إليها في مراجع أخرى فالعبرة ببقاء واستمرار هذا العمل الأدبي أو ذاك، وهذا أمر منطقي قياسا على ما أوردته كتب التاريخ عن علماء وكتب ومؤلفين كثر لم يبق أثر حقيقي مما ألفوا أو كتبوا سواء عن طريقهم أو عن طريق تلامذتهم وإن باعد بينهم الزمن نسبيا.

فمثلا هناك الكثير والكثير من المؤلفات التي أشار لها ابن النديم في "الفهرست" لم تعد بين أيدينا ولم يصلنا منها شيء ولهذا لا يمكن بحال من الأحوال أن تمثل شيئا علميا يحسم قولا أو يفصل في مسألة، بل هي تدخل في إطار الإشارة التاريخية البحتة بما يثري مادة البحث.

وهذا ما يكاد ينطبق على الكثير من الموروث الثقافي الجزائري القديم الذي للأسف رغم ثرائه وحضوره التاريخي لم يكد يصلنا منه شيء وأصبح مجرد معلومات تاريخية أو بقايا محشوة في بطون كتب أخرى بما لا يرقى إلى عمل أدبي أو فكري متصل الموضوعات أو ما يمثل وحدة أدبية قائمة وقابلة للنقاش.

ولعل خير مثال على أن الكثير من مشاهير العلماء ممن كانوا ينسبون إلى مدن ودول أخرى كالقيروان وفاس وبعض بلاد الأندلس كانوا من أصول جزائرية ولكن نشأتهم ووجودهم المستمر فيها غلب على أصولهم الجغرافية وهذا لأن العالم الإسلامي لم يكن يعترف بمثل هذه الاهتمامات الأصولية أو التعصب العرقي والجهوي للعلماء. فمثلا نجد أن عالما كبيرا كأبو الحسن علي بن أبي الرجال هذا الرياضي الفلكي قد صنفه كارل بروكلمان على أنه عالم من القيروان، ولكن المؤكد من كتب التاريخ أنه ذو أصول جزائرية من مدينة تاهرت (تيارت). وقد ألف كتبا مهمة في علم الفلك والتنجيم منها كتابه "البارع في أحكام النجوم" الذي ترجمه يهودا بن موشى إلى الإسبانية، كما ترجم فيما بعد إلى اللاتينية على يد عالمين هما بطرس دي رجيو وإغيديوس دي تابلديس حيث طبع لأول مرة سنة 1551م في بازل[1].

وقد ذكر بروكلمان جميع مصادر أعماله ومخطوطاته وأماكن تواجدها في مكتبات العالم دون تفاصيل أخرى كالتي ذكرها مثلا الدكتور شوقي ضيف عن أبي الرجال تتعلق بنشاطه العلمي وتلاميذه والتأثيرات التي أحدثها هذا العالم لاحقا على الأجيال[2].

طبعا بالقياس على ما ذكره مؤرخوا التراث الجزائري لعموم المؤلفات والمؤلفين فهو كثير وكثير ولكنه بمعايير بروكلمان لا يكاد يمثل إلا القليل مما تبقى منه فعليا بين أيدينا اليوم من

---

[1] بروكلمان، ج 4، ص 225.

[2] ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والامارات، الجزائر، ج 10، دار المعارف، الطبعة الأولى، القاهرة، 1995. ص 75.

حيث وجود هذه الأعمال بشكل مطبوع ومدروس أو من حيث كونها مخطوطات بأي وضعية كانت. ورغم أن وضع المخطوطات العربية في الجزائر لا يزال رديئا ومهملا إلا أنه ربما قد ينجلي الكثير من المعلومات عن حقيقة الموروث الأدبي في الجزائر إذا وجدت سياسة علمية ومنهجية جديدة لحصر وضبط وترتيب جميع المخطوطات الجزائرية بما يساعد الباحثين[1] في المستقبل على تقييم هذا التراث بشكل أفضل وأعمق.

ولعله من المحير والمؤسف معا أن لا نجد إشارة في عمل بروكلمان لبعض مشاهير العلماء الجزائريين مثل الونشريسي صاحب "المعيار" وعبد الرحمن الثعالبي كبير المفسرين وابن قنفذ القسنطيني كبير فقهاء المالكية وأحد الشراح المهمين لرسالة أبي زيد القيرواني، وربما يكون بروكلمان قد أدرج هؤلاء ضمن حدود جغرافية وبلاد أخرى أو ضمن أبواب علمية أخرى، ولهذا صعب علينا تحديد هوية مثل هؤلاء في عمله للتشابه الكبير بين الأسماء ومدى الصعوبة في تحديد انتماءاتهم الوطنية، خاصة وأن هذا الأمر لم يكن واضحا مثل هذه الأيام، فرجل العلم وطالبه قديما كانت حدود الدنيا مفتوحة أمامه وحيثما تعلم وارتفع شأنه صار ذلك الموقع هو وطنه الذي يعرفه به الناس ولكن هذا لم يكن ينطبق على كل الشخصيات والعلماء، خاصة المعروفين منهم. هذا فيما يتعلق بالعصور القديمة للأدب العربي والإسهام الوطني الجزائري فيه، أما فيما يتعلق بالعصور الحديثة خاصة بعد ظهور الطباعة فالوضع يكاد يكون نفسه، من حيث قلة ذكر هذا المنتوج في تاريخ بروكلمان، وهو أمر طبيعي بالمقارنة مع حالة التدهور الثقافي والعلمي الذي لم تشهده الجزائر فحسب ولكن العالم العربي أصبح يعرف في القرون الأخيرة شحا كبيرا ونقصا في المجال العلمي بل ووصل به الأمر إلى درجة الإهمال والتضييع والتفريط حتى في منجزاته القديمة، حيث خرج ميراثه الأدبي والثقافي من بين يديه

ليصبح في أيدي قوى أخرى استعمارية وغازية، فمنذ أن دخل الاستعمار بلاده واستولى على كل شيء فيه بما فيه تراثه المعنوي ومقدراته الأدبية أصبحت البلاد العربية تعيش قطيعة مع تاريخها وأدبها وعلومها حتى رجعت كأنها غريبة عنه.

طبعا هذا العموم الثقافي المتدهور لم يكن ليمنع صمود بعض المدافعين والمحاربين من أجل هذا الموروث الكبير، بل لم يكن ليمنع ظهور بعض الأعمال الجديدة فيه وإن استمرت بنفس القالب الفكري والأدبي لها ولم تتجدد في شيء رغم حالة التطور العلمي الهائل الذي بدأ يشهده العالم ككل والذي ما زال يتطور بنفس الوتيرة، في حين لم تزل البلاد العربية على نفس الجمود والتأخر والتخلف الفكري رغم الغزو الحضاري التكنولوجي الذي تعيش عليه اليوم.

ورغم أن المعايير التي وضعها بروكلمان لتصنيف معلوماته التاريخية عن الأدب العربي في العصر الحديث اقتصرت في مجملها على الأدب الصرف بخلاف المراحل التاريخية السابقة التي ذكر فيها بروكلمان جميع الأعمال مهما كان نوعها وسواء كانت تمت للأدب العربي أو غيره من العلوم، إلا أننا وجدنا أنه لم أهمل بعض الأعمال المهمة فيما يتعلق باسهامات العلماء والشعراء الجزائريين في العصر الحديث وأشهر نموذج لذلك هو أعمال الأمير عبد القادر وإن كانت في الحقيقة بعيدة قليلا عن الأدب البحت إلا أنه أهمل ذكره بالكلية رغم شهرته ورغم ذكر أعماله في بعض المصادر الحديثة التي اعتمد عليها بروكلمان مثل "اكتفاء القنوع بما هو مطبوع من أشهر التآليف العربية في المطابع الشرقية والغربية" من تأليف إدوارد فانديك المطبوع بالقاهرة سنو 1897م والذي ذكر صاحبه بعض الأعمال الخاصة بالأمير عبد القادر الجزائري الذي طبعت بعض أعماله في باريس على حجر القاعدة المغربية ككتاب "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل" والمذيل بعنوان "الحكم الشرعي للعسكر المحمدي" والذي

كما ذكرنا تم طبعه في باريس سنة 1848م، وربما يكون بروكلمان قد طبق بصرامة معياره في تصنيف تاريخيه للعصر الحديث بما يتعلق فقط بالأدب العربي ولهذا أخرج هذا العمل وغيره من دائرة الأدب الحديث لبلاد العرب ولكننا نجده في بعض الحالات الأخرى قد ذكر لبعض مشاهير العلماء في العصر الحديث كل أعمالهم بما فيها ما هو خرج عن دائرة الأدب الصرف خاصة في التأريخ لمصر وبعض البلاد الأخرى مثل الشام الحديث كما فعل مع محمد عبده والأفغاني ورشيد رضا وغيرهم كثير وربما جاء هذا الذكر في معرض السرد فقط ولكن في الحالة الجزائرية الشحيحة لم يذكر بروكلمان سوى عملين فيما بتعلق بأدب العصر الحديث تحت فصل المغرب وهما للهادي الزاهري صاحب كتاب "شعراء الجزائر في العصر الحديث" الذي طبع في تونس سنة 1926م والآخر السيد توفيق المدني صاحب كتاب "الجزائر" المطبوع في المطبعة العربية في الجزائر سنة 1350 هجرية. وبهذا يكون بروكلمان قد أهمل بعض الأعمال الأخرى التي طبعت في فرنسا على القاعدة الحجرية والتي ورد ذكرها في مراجع ومصادر المطبوعات الفرنسية التي كان بروكلمان على علم بها لأنها كانت واحدة من أهم مصادره.

# الـخـاتـمة

لقد كانت الفكرة الأساسية لهذا البحث هي الوقوف على مدى جدية عمل بروكلمان التأريخي وأيضا استكشاف مدى صمود واستمرار هذا العمل الببليوغرافي الضخم بعد مرور أكثر من قرن على بداية صدوره وحتى قيام مشروع الترجمة العربية له منذ ما يزيد على نصف قرن والتي لم تتحقق بشكل كامل ونهائي حتى وقت قريب.

فكان الهدف الرئيسي محاولة فهم المنهج التاريخي الذي قصده بروكلمان من عمله غير حرصه على الجانب المعلوماتي المضني، حيث رأينا كيف بدأ مشروعه التنقيبي الكشفي عن جميع الأعمال العربية منذ بدايات التأليف العربي وحتى العصر الحديث، وما هي الخطة الفضلى لترتيب وتبويب كل تلك المادة على ضخامتها وما هي المعايير الناجحة والعملية لصياغة تاريخ عام للأدب العربي دون إخلال أو تداخل أو عجز عن تغطية كاملة له، حيث وقفنا في هذا البحث

على مدى الجهد والإصرار الذي كان عليه المؤلف طوال خمسين عاما وهذا شيء ملموس وواضح من خلال تلك الملاحق الثلاثة الكبرى التي أضافها المؤلف لعمله الأصلي، فهو لم يكتفي بمحاولته الأولية التي نشرها أول مرة عام 1889م، فبعد أن تهيأت له مادة جديدة وكثيرة، قرر أن يواصل العمل بنفس الوتيرة، فأصدر الملحق تلو الآخر حتى كاد أن ينجز تاريخه بما لم يعد في حاجة إلى إضافات حقيقية بعده، وحتى الإضافات المهمة والجيدة التي أضافها فيما بعد المؤرخ التركي فؤاد سزكين لم تظهر الاعتوار الكبير فيه، كما لم تقدح في أصالة وجدية عمل بروكلمان، بل مثلت ملحقا من نوع آخر لعمل بروكلمان رغم أن المؤرخ سيزكين توقف عند مرحلة زمنية محددة(القرن الخامس الهجري)، حيث يعود عمل بروكلمان من جديد إلى دوره الأساسي في تعريف الباحثين على اختلاف درجاتهم وأولوياتهم بباقي التاريخ الأدبي للعرب.

من خلال بحثنا ونقدنا لهذا الكتاب التاريخي الممتد عبر جميع المراحل الزمنية فإنه يمكننا القول أنه حتى الآن لم يتحقق للمكتبة العربية الحديثة عمل أكبر وأوسع منه للتاريخ الأدبي العربي بما فيها الموسوعات الكبرى التي لها منهج وخط تاريخي غير خط المؤرخين الفولوجيين من أمثال بروكلمان والذين نظروا إلى الأدب العربي نظرة أعم وأدق وأكثر إرتباطا بالمدارس النقدية للأدب عامة، خاصة فيما يتعلق بالمراحل الزمنية الأولى للأدب العربي والتي تعتبر من الناحية

العلمية والتاريخية أهم مراحل الأدب لكونها كانت النواة الحقيقية له كما أنها مثلت القاعدة الأساسية التي انبنى عليها كل تراث العرب فيما بعد وهذا ما يجعل عمل بروكلمان وسيزكين معا حتى حدود القرن الخامس الهجري أهم وأعمق وربما أدق الأعمال التاريخية التي تمت حول الأدب العربي خاصة ما تعلق منها بالنظرة الغربية لهذا الأدب.

أيضا من أهم النتائج التي يمكن الخلوص إليها هو روح التعميم والخلط الذي نلمسه عند الباحثين بين بروكلمان وباقي المؤرخين للأدب العربي، خاصة من المؤلفين العرب، حيث نجدهم ينظرون إلى عمل بروكلمان بنفس النظرة التاريخية الأدبية مع الفارق الواضح بين هذا العمل التاريخي المتواصل والموثق والمتطور إلى حد كبير وبين باقي الأعمال التي انتهجت أسلوبا تاريخيا كلاسيكيا إلى حد كبير، فهناك اعتبارات كثيرة لا بد من أخذها بعين الجدية ونحن نعالج أو نتعامل مع تاريخ بروكلمان، فهذا العمل لم يكتب باللغة العربية هذا من حيث الشكل التقني للكتابة والذي يمثل فارقا جوهريا مع باقي الأعمال التاريخية الأخرى المكتوبة باللغة العربية وقد نلمس تلك الفوارق ونحن نراجع الترجمة العربية لعمل بروكلمان.

أيضا ما يميز عمل بروكلمان هو كونه العمل التاريخي الوحيد الذي ركز على الرؤية التاريخية الغربية الاستشراقية للأدب العربي منذ البدايات وحتى العصر

الحديث لكونه يكنتز بأهم الأعمال والدراسات والرؤى التاريخية الفيلولوجية لهذا الأدب من قبل دارسين غير عرب وغير مسلمين، وهو ما يمثل علامة أو فرقا جوهريا كبيرا بينه وبين سائر الأعمال العربية التي اعتمدت بالشكل الأساسي على المصادر والمراجع والنظريات العربية الكلاسيكية للأدب العربي البحتة بخلاف بروكلمان الذي ركز في عمله التاريخي والتسلسلي على مصادر غربية ونظريات جديدة بما يجعله إلى حد كبير تاريخا أكثر تطورا وحداثة وشمولا خاصة وأنه جمع بين المنهج التاريخي الكلاسيكي التقليدي وبين المناهج الغربية الجديدة آنذاك. ونحن إذ نذكر هذا فإنما نتكلم عن محاولة تاريخية للأدب العربي عمرها أكثر من قرن ولكنها ما تزال محاولة جادة ومهمة بل ومتطورة ومتقدمة بمراحل وبخطوات عن كثير من الأعمال اللاحقة لعمل بروكلمان، ورغم أن بروكلمان أشار في مقدمة كتابه إلى حاجة الأدب العربي خاصة الحديث منه إلى خطة ومنهج جديد إلى أننا نجد أن هذا الأمر لم يكد يتحقق حتى الآن، بما يعني أن هذا الأدب ما يزال فقيرا من حيث الجانب التاريخي والرؤية المعمقة له ولمراحله الزمنية ومدارسه الأدبية خاصة القديمة منها.

طبعا في الأخير يمكن أن نجمل القول في ما يتعلق بهذا العمل وباقي الأعمال الصادرة بعده ولاحقا في بعض الملاحظات أو التوصيات:

1-أولا لا بد من العمل على وضع موسوعة لتاريخ الأدب العربي تشمل عمل كل المؤرخين اعتمادا على آخر المعلومات المتوفرة خاصة ما تعلق منها بالمخطوطات التي ما تزال ضحية الاهمال والضياع في بعض البلاد العربية.

**2-** توعية الباحثين العرب بأهمية عمل بروكلمان وخصوصيته وأيضا بكيفية التعامل معه أولا ثم بكفية التعامل مع عمل سزكين، لارتباطهما الوثيق والتكامل الحاصل بينهما والضروري أيضا.

**3-** أخيرا ينبغي التنويه والتأكيد على ضرورة الانتهاء من وضع فهارس عامة وعالمية لجميع المخطوطات في العالم، ولا بد من إزالة جميع العقبات أمام الباحثين للتعريف أكثر ببقايا المخطوطات المهملة في بعض بلاد العرب كالجزائر واليمن مثلا، وهذا حتى يمكن إثراء وتنقيح أعمال ضخمة مثل عملي بروكلمان وسزكين للانتهاء من هذه المباحث التاريخية كلية والتفرغ لصياغة تاريخية كاملة ومتطورة ومتقنة للأدب العربي منذ بداياته وحتى عصرنا هذا.

# مصادر الدراسة

## بروكلمان


- بروكلمان، كارل، ***تاريخ الأدب العربي***، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993.
- ---------، ***تاريخ الشعوب الإسلامية***، ترجمة منير البعلبكي ونبيه فارس، دار العلم للملايين، بيروت، 1968، طبعة 5.
- ---------، ***فقه اللغات السامية***، ترجمة رمضان عبد التواب، منشورات جامعة الرياض، السعودية، 1977.


## المصادر والمراجع


- إبن خلدون، عبد الرحمن، ***"المقدمة"***، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- إبن رشيق، ***العمدة***، تحقيق محمد محي الدن عبد الحميد، بيروت، الطبعة 4، 1972
- إبن سلام، ***طبقات فحول الشعراء***، شرح محمود شاكر، مصر.
- إبن طولون، شمس الدين محمد بن علي الصالحي، ***مفاكهة الخلان في حوادث الزمان***، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.

- إبن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد، ***بدائع الزهور في وقائع الدهور***، ج5، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1983.
- إبن منظور، محمد بن مكرم، ***لسان العرب***، دار الصادر، بيروت، لبنان، 1979.
- إبن قتيبة، ***الشعر والشعراء***، مكتبة بريل، ليدن، 1902.
- إبن النديم، ***الفهرست***، تحقيق فلوجل، ليبزيغ، 1872.
- الأصفهاني، ***محاضرات الأدباء***، تحقيق المويلحي، القاهرة، 1287 هـ.
- أبو خليل، شوقي ، ***كارل بروكلمان في الميزان***، دار الفكر، 1987.
- أركون، محمد، ***الإسلام، أوروبا، الغرب: رهانات المعنى وإدارات الهيمنة***، دار الساقي، بيروت، لبنان، 1999.
- --------، ***الفكر الإسلامي قراءة علمية***، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ط 2، 1996.
- --------، ***قضايا في نقد العقل الديني***، ترجمة هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1998.
- بدوي، عبد الرحمـــــن، ***دور العرب في تكوين الفكر الأوربي***، بيروت، 1965.
- ----------، ***دفاع عن القرآن ضد منتقديه***، ترجمة كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب والنشر.
- ----------، ***دفاع عن محمد ضد المنتقصين من قدره***، ترجمة كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب والنشر.
- ----------، ***موسوعة المستشرقين***، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، 1993.
- ----------، ***الأدب الألماني في نصف قرن***، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1994.
- ----------، ***دراسة المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي***، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1، 1979.
- بن الخوجة، محمد بن مصطفى، ***مجموعة الأعمال***، منشورات جامعة الجزائر، الجزائر، 2012.
- الأسد، ناصر الدين، ***مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية***، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، 1988.

- بن نبي، مالك، ***إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث***، دار الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1969.
- بغدتلي، إسماعيل باشا، ***إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون***. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1966.
- التلمساني، أحمد بن محمد المقري، ***نفح الطيب من غُصن الأندلس الرطيب***، تحقيق، يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت 1986، ج2.
- جورافسكي، أليسكي، ***الإسلام والمسيحية***، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1996.
- جيرا، يوسف، ***تاريخ دراسة اللغة العربية بأوروبا***، القاهرة 1929.
- حلاق، حسان، ***الأرشيف والوثائق والمخطوطات***، دار النهضة العربية.
- خليفة، حاجي، ***كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون***، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1966.
- دائرة المعارف البريطانية.
- الرافعي، مصطفى صادق، ***تاريخ آداب العرب***، ج 1–2، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، 1997.
- روبنز روبرت هنري، ***موجز تاريخ علم اللغة في الغرب***، ترجمة أحمد عوض، منشورات عالم المعرفة، الكويت 1997.
- زغلول سلام، محمد، ***أثر القرآن في تطور النقد العربي*** ، الطبعة الأولى ، مصر ، مكتبة الشباب.
- زقزوق، محمود حمدي، ***الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري***. دار المعارف، القاهرة. 1997.
- الزيات، أحمد حسن، ***تاريخ الأدب العربي***، دار نهضة مصر، القاهرة.
- زيدان، جورجي، ***تاريخ آداب اللغة العربية***، 4 أجزاء، دار الهلال، مصر،1957.
- سامح، موسى ربابعة، ***الأنواع الأدبية والشعر الجاهلي في دراسات بعض المستشرقين الألمان***، مجلة جامعة أم القرى، سنة 9، عدد 11، 1416 ه.
- السباعي، مصطفى، ***السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي***، دار الفكر، دمشق، 1980.

- ----------، ***الاستشراق والمستشرقون***، دار الوراق، المكتب الإسلامي.
- سزكين، فوت (فؤاد)، ***تاريخ التراث العربي***، ترجمة محمود فهمي حجازي، 10 أجزاء، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية، 1991.
- سعيد، إدوارد، ***الإستشراق***، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1980.
- سلمان الجبوري، كامل، ***معجم الأدباء***، من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2003.
- السيد عبد العزيز، سالم، ***تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس***، دار النهضة العربية.
- السيد، رضوان، ***المستشرقون الألمان***، بيروت.
- شاخت جوزيف وكلفورد لوزورث، ***تراث الإسلام***، ترجمة حسين مؤنس، ج 2، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978.
- شوقي رضوان، أحمد، ***مدخل إلى الدرس الأدبي المقارن***، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 1990.
- الشايب، أحمد، ***تاريخ الشعر السياسي***، القاهرة، ط 4، 1955.
- الطناجي، محمود، ***مدخل إلى نشر التراث العربي***، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- الطويل، توفيق، ***في تراثنا العربي الإسلامي***، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، 1985.
- ضيف، شوقي، ***تاريخ الأدب العربي***، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية والعشرون، 2003.
- --------، ***التطور والتجديد في الشعر الأموي***، دار المعارف، القاهرة، 1959.
- --------، ***النقد***، طبعة 5، دار المعارف، مصر، 1954.
- --------، ***في التراث والشعر واللغة***، دار المعارف، مصر، 1987.
- --------، ***البحث الأدبي***، دار المعارف، طبعة 7، مصر 1972.
- عبد القادر، ماهر، ***التراث والحضارة الإسلامية***، دار النهضة العربية.
- عبد السلام الترمانيني، *الزواج عند العرب*، منشورات عالم المعرفة، الكويت، 1984.
- علوش، سعيد، ***مفهوم تاريخ الأدب في أعمال المستشرقين***. مؤتمر النقد الأدبي الرابع في جامعة اليرموك، إربد،1992/7/8.

- العقيقي، نجيب، ***المستشرقون***، دار المعارف، مصر، 1964.
- العطاوي، عبد الرحيم، ***الإستشراق الروسي***، دار النهضة العربية.
- فروخ، عمر، ***تاريخ الأدب العربي***، دار العلم للملايين، بيروت 1969.
- ف. ف. بارتولد، ***الإسلام والخلافة العربية***، موسكو.
- فؤاد عبد الباقي، محمد، ***المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم***، دار المعرفة، بيروت، 1994.
- القلماوي، سهير، ***أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية***، فصل الأدب، القاهرة 1970.
- القوسي، عطية، ***دراسات في التاريخ الإسلامي***، دار النهضة العربية.
- كرباج، يوسف، منفريد كروب، ***تأملات في الشرق: تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضره***، ترجمة عدنان حسن، محمد صبح، قدمس للنشر والتوزيع، لبنان، 2006.
- المجاوي، عبد القادر، ***إرشاد المتعلمين***، منشورات جامعة الجزائر، الجزائر، 2012.
- ----------، ***شرح منظومة سيدي محمد الإمام المنزلي في آداب الموردين***، منشورات جامعة الجزائر، الجزائر، 2012.
- ----------، ***المرصاد في مسائل الاقتصاد***، منشورات جامعة الجزائر، الجزائر، 2012.
- المنجد، صلاح الدين، ***المنتقي من دراسات المستشرقين***، القاهرة 1955.
- المقداد، محمود، ***تاريخ الدراسات العربية في فرنسا***، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، 1992.
- مؤنس، حسين، ***الحضارة***"، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،1978.
- مومزن، كاتارينا، ***جوتة والعالم والعربي***، ترجمة عدنان عباس علي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،1995.
- ---------، ***جوتة ألف ليلة وليلة***، نشرت في مجلة الاجتماعات الأكاديمية الألمانية للعلوم، قسم اللغات والأدب والفن، رقم 2 سنة 1960، برلين.
- نصار، حسين ، ***المعجم العربي تطوره ونشأته***، القاهرة، 1968.
- نالينو، كارل، ***تاريخ الآداب العربية في الجاهلية حتى عصر أمية***، دار المعارف، مصر.

- عوني عبد الرءوف، محمد، **ريكرت عاشق العربية**، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1986.
- البيان، مجلة أدبية كويتية، العدد 356/ مارس/ 2000، ص 64-72.(حوار مع المستعرب الألماني توماس باور).
- يوليوس فلهاوزن، ***تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية***، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، مصر، 1968.
- --------، ***أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام: الخوارج الشيعة***، ترجمة عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر 1958.

**مراجع أجنبية**

# Bibliography

- Abiad, Malak, "***Origine et développement des dictionnaires biographiques arabes***". BEO, xxxxi, 1979.
- Anderson, Margaret, ***Arabic Materials in English Translation***. Boston: G. K. Hall. 1980.
- Andrew Rippin, ***The Qur'an, Formative Interpretation***, Ashgate Publishing Aldershot, 1999
- ʻAli, Abudulah, Yusuf, ***The Holy Qur'ân: Translation of the Meanings and the Commentary***, Printing Complex, Al-Madîna al-Monawwara, 1410.A.H
- Arnold, T., and A. Guillaume, eds**.** ***The Legacy of Islam***, Oxford: Clarendon Press, 1931.
- Ayoub, Mahmoud M, ***The Quran and Its interpreters***, Vol. I, Albany: State University of New York Press, 1984.
- Al-Azmeh, Aziz**.** ***Ibn Khaldun in Modern Scholarship: A Study in Orientalism***. London: Third World Center for Research and Publishing, 1981.
- Behn, Wolfgang H. ***Arabic Book Review Index***. Berlin: Adiyok. 1982.
- ----------. ***Index Islamicus***. 1665-1909. Millersport, PA : Adiyok, 1989.
- Bertold Spuler, ***Handbuch der Orientalistik***. Leiden, E. J. Brill, 1952.

- Bosworth, C.E. ***Islamic Dynasties: a Chronological and Genealogical Handbook***. Edinburgh University Press. 1967.
- Brockelmann, Carl, "***Geschichte der arabischen litteratur***", Original edition:2 vol, (GAL), Brill, 1943. S. I.
- ----------, "***History of the Islamic peoples***"; translated by Joel Carmichael and Moshe Perlmann, (Routledge, 2000) Publié : 2000, Routledge (London, New York, NY)
- ----------, "***A précis of Semitic linguistics***", (Asiatic Society, 1999)
- ----------, "***Arabische Grammatik***", (Verlag Enzyklopa□die, 1965)
- ----------, "***Histoire des peuples et des états islamiques depuis les origines jusqu'à nos jours"***.(Payot, 1949)
- ----------, "***Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen***".(Reuther & Reichard, 1908)
- ***Encyclopaedia of Islam*** CD-ROM Edition v. 1.0 © 1999 Koninklijke Brill NV, Leiden, The Netherlands
- Encyclopaedia of Islam and the Muslim World, Richard C. Martin, Macmillan Reference USA America, 2004.
- E. Tyan. ***Extract from the Encyclopaedia of Islam*** CD-ROM Edition v. 1.0 © 1999 Koninklijke Brill NV, Leiden, the Nederland.
- Fück. J., "***Carl Brockelmann als Orientalist***," *Wissenschaftliche Zeitschrift der Martin Luther Universität, Halle* VII, 1957, pp. 857-76, with complete bibliography. R. Sellheim, ed., "***Autobiographische Aufzeichnungen und Erinnerungen von Carl Brockelmann***," *Oriens* 27-28, 1981, pp. 1-65.
- Grat, Georg, ***Geschichte der Christlichen Arabischen Literatur***, Vatican City, 1944.
- Goldziher, Ignaz, ***Muhammedanische Studien*** (first published 1890) 2 vols. Halle, trans. Into English by S.M. Stern, London.1967-71.
- ----------, ***A Short History of Arabic Literature***. Translated from Croatian into Hebrew by *P.* Shinar. Jerusalem, 1952.
- Hans, Wehr: ***A Dictionary of Modern Written Arabic*** (ed)
- Humphreys, R. Stephen, ***Islamic History: A Framework for Inquiry***, London, 1995.
- Lewis, Bernard, ***Islam and the west***, New York and Oxford: Oxford University Press, 1993.

- Meiseles, Gustav, ***Reference Literature to Arabic Studies***, Tel Aviv: University Publishing Projects, 1978.
- Minorsky, V., "***Marwazî on the Byzantines***", in *Annuaire de l'Institut de Philologie et d'Histoire Orientales et Slaves*, 1950, 10 (Mel. H. Greg) 2, pp.457-469.
- Minorsky, V., ***Sharaf al-Zamân Tâhir Marwazî on China, the Turks and India***, London, the Royal Asiatic society, 1942.
- Muhammad Nizâm al-Dîn, "***the Introduction to the Jawâmi'u al-Hikâyât wa Lawâmi'u al-Riwâyât of Shadîdu al-Dîn Muhammad al-'Awfi***". London, Luzac & Co. 1929.
- ***Oxford Advanced Learners Dictionary of Current English***, ed. A.S. Hornby and others, third edition, 1974.
- Pearson, J.D., et al. ***Index Islamicus***. London : Mansell, 1977.
- Pedersen, Johannes, "***The Arabic Book***", Princeton University Press, 1984.
- R. Talman: «***An Eight century Grammatical School in Madina: The Collection and Evaluation of the Available Material***», Bulletin of the School of Oriental and African Studies, vol. 48, 1985.
- Rosenthal, Franz, "***The Technique and Approach of Muslim Scholarship***", Rome, 1947.
- Sezgen, Fuat, "***Geschichte des Arabischen Schrifttums***", 9 vols, Leiden: E.J. Brill, 1967 in progress.
- Ullmann, Manfred, ***"Die Natur und Geheimwissenchaften im Islam"***, E.J. Brill, 1972.
- ----------,***Worterbuch der Klassischen Arabischen Sparche***. ***(WKAS)***.
- Waldman, Marilyn R, "Toward a Theory of Historical Narrative", Columbus, Ohio state University Press, 1980.
- Watt, W.M, "***The Formative Period of Islamic Thought***", Edinburgh University Press, 1973.
- Wehr, Hans, "***A Dictionary of Modern Written Arabic***" NY: Cornell University Press, 1961.
- Y.D. Nevo: «***Towards a pre-history of Islam***», Jerusalem Studies in Arabic and Islam, vol:17, 1999.
- Zwettler, Michael, "***The Oral Tradition of Classical Arabic Poetry***", Columbus, Ohio state University Press, 1978.

**ملحق رقم 1** الترجمة وعمل والمترجمين (مخطط مقارن بين النص العربي والأصل المترجم)

| محتويات النسخة الألمانية الأصلية | محتويات النسخة العربية المترجمة |
|---|---|
| تتكون هذه النسخة من جزأين أصليين وثلاثة أجزاء كملاحق.<br>**الجزء الأول**<br>قسم بروكلمان الأدب العربي في هذا الجزء إلى مرحلتين:<br>**الكتاب الأول**: الأدب العربي من أوليته إلى سقوط الدولة الأموية.<br>أقسام الكتاب الأول:<br>*1-من أوليته حتى ظهور محمد*<br>*2-زمن محمد*<br>*3-مرحلة بني أمية*<br>**الكتاب الثاني**: الأدب العربي الإسلامي<br>أقسام الكتاب الثاني:<br>المرحلة القديمة من حوالي 750 م حتى 1000م<br>عصر النهضة من حوالي 1010 م حتى 1258م<br>تعامل بروكلمان مع أدب كل مرحلة من هذه المراحل حسب الموضوعات الآتية: - الرسائل - التاريخ - الكتابات الدينية (حديث / فقه / تفسير القرآن / علم الفلك والتنجيم / الموسوعات)<br>تم ترتيب أسماء المؤلفين والأعمال ضمن كل فن من هذه الفنون حسب التسلسل الجغرافي.<br>**الجزء الثاني**<br>نظم الجزء الثاني بدرجة أقل ترتيبا من الجزء الأول حيث تم تقسيم مراحله كالتالي:<br>**الكتاب الثالث**: مرحلة انحطاط الأدب الإسلامي وهي مقسمة كما يلي:<br>منذ حكم المغول حتى حملة السلطان العثماني سليم الأول على مصر سنة 1517م.<br>منذ سنة 1517م حتى حملة نابليون على مصر سنة 1798م<br>منذ سنة 1798م حتى الاحتلال الانجليزي أي حوالي سنة 1900م (عصر المؤلف)<br>تم ترتيب الأعمال في هذا الجزء في كل مرحلة من مراحله حسب المناطق الجغرافية كما هو الحال في الجزء الأول. زيادة على ذلك هناك ترتيب عام للموضوعات. الزيادات والتصحيحات المضافة تظهر في آخر الجزء الثاني.<br>**الملاحق**<br>**الجزء الأول**: ملحق يضم إضافات وتصحيحات للكتابين الأول والثاني في الجزء الأول الأصلي. | لقد تمت ترجمة هذا الكتاب بطريقة المزج والتأليف بين الكتاب الأصلي وملاحقه، وكان الهدف الحصول على كتاب موحد النسق متصل الموضوعات. وهي الطريقة التي أوصى أو نصح بها بروكلمان المترجمين لعمله قبيل وفاته.<br>كما أضاف المترجمون بعض الزيادات من المعلومات الجديدة التي لم يكن بروكلمان قد اطلع عليها.<br><br>**الجزء الأول:**<br>الكتاب الأول: أدب اللغة العربية / من أوليته إلى سقوط الأمويين سنة 132 هـ / 750م<br>الباب الأول: أدب الأمة العربية من أوليته إلى ظهور الإسلام<br>الباب الثاني: عصر النبي -صلى الله عليه وسلم-<br>الباب الثالث: عصر الأمويين<br><br>**الجزء الثاني والجزء الثالث والرابع** (18 باب):<br>الكتاب الثاني: الأدب العربي الإسلامي<br>القسم الأول: عصر النهضة العربية / منذ نحو 750م حتى 1000م<br><br>**الجزء الخامس والسادس** ( 7 أبواب):<br>الكتاب الثاني:<br>القسم الثاني: عصر ما بعد الفترة القديمة للأدب الإسلامي<br>منذ نحو 1010م حتى 1258م<br><br>**الجزء العاشر والحادي عشر:**<br>القسم السابع: منذ سنة 1258 (سقوط بغداد بيد المغول) حتى سنة 1517 (سقوط مصر |

| | |
|---|---|
| **الجزء الثاني**: ملحق للكتاب الثالث الموجود في الجزء الثاني الأصلي. يضم إضافات تتعلق بأمكنة وأزمنة المؤلفين الذين تم التحقق منهم مجددا، وهي مرتبة حسب الأبجدية الأوروبية ضمن الموضوعات المدرجة حسب الجزء الأول الأصلي.<br>**الجزء الثالث**: تم إضافة كتاب رابع في هذا الجزء اشتمل على الأدب العربي الحديث حتى الحرب العالمية الثانية (1945م)، رتب حسب الأوطان العربية والفنون الأدبية الحديثة.<br>أما مفاتيح العمل ككل فقد تم تصنيفها ضمن ملاحق كالآتي:<br>فهرس المؤلفين 2- فهرس العناوين 3- فهرس الكتاب الأوربيين. | بيد العثمانيين)<br>**الجزء الثاني والثالث والرابع عشر:**<br>القسم الثامن والتاسع: منذ الفتح العثماني حتى الحملة الفرنسية سنة 1798م |

## ملحق رقم **2** مادة بروكلمان / **دراسة إحصائية**

### مصادر تاريخ الأدب العربي والكتب السابقة التي تناولته

1 – كتب تراجم المؤلفين وطبقاتهم (أحصى 3 مراجع)
2 – تراجم الكتب وفهارسها (أحصى 17 مرجعا)
3 – فهارس المخطوطات (أهم مصادر الأدب العربي الخطية) (أحصى 168 دليلا مفهرسا للمخطوطات العربية في العالم)
لمحة عن المحاولات الأولي لوضع إما كتاب تاريخي مفصل عن الأدب العربي (بورجستال) أو كتاب تعليمي وصفي عام (الرافعي، أحمد أمين).
التقسيم الزمني لمراحل الأدب العربي:
مبدأ جديد لفواصل زمنية مهمة في تحديد مراحل الأدب العربي، بين ما هو عربي جاهلي وعربي إسلامي.

| الكتاب الأول |
|---|
| الباب 1- أدب اللغة العربية من أوليته إلى سقوط الأمويين |
| ؟ ---- حتى 750م (132 هـ) |

**مقدمات بروكلمانية مهمة جدا:**
تاريخ وأصول اللغة العربية / أولية الشعر / قوالب الشعر العربي / طبيعة الشعر الجاهلي / رواية الشعر العربي
مصادر الشعر الجاهلي (أحصى 12 مصدرا للشعر القديم)
الشعر: (أحصى 6 شعراء من أصحاب المعلقات / أحصى 22 من شعراء جاهليون آخرون / أحصى شاعرين: يهودي، ونصراني / أحصى لبيد والأعشى من المخضرمين / أفرد حسان بن ثابت، كعب بن زهير، متمم بن نويرة، الخنساء، أبو محجن والحطيئة / أحصى في الطبقة الثانية من الشعراء المخضرمين 9 شعراء / أدب علوي منحول / أفرد عمر بن أبي ربيعة / أحصى 12 آخرين من شعراء العصر الأموي / أفرد الأخطل، الفرزدق، جرير، ذو الرمة / أحصى 8 من شعراء الرجاز / أحصى 33 شاعرا من شعراء الطبقة الثانية للعصر الأموي)
النثر: (أحصى للعصر الأموي 20 مؤلفا نثريا في فنون عدة كالأمثال والحكم والطب والكيمياء)

| الكتاب الثاني / الأدب العربي الإسلامي |
|---|
| القسم 2- عصر النهضة العربية / أدب إسلامي (الدولة العباسية)<br>750 م – 1000م |

**الشعر:** ( أحصى في بغداد 38 شاعرا أشهرهم بشار بن برد، أبو نواس، أبو العتاهية، ابن الرومي و البحتري/ أحصى 2 من شعراء العراق والجزيرة "الفراتية" / أحصى 9 من شعراء الجزيرة العربية والشام أشهرهم أبو تمام / أحصى 6 من شعراء سيف الدولة أشهرهم المتنبي وأبو فراس الحمداني/ أحصى 6 من شعراء مصر أشهرهم ابن هانئ الأندلسي / أحصى 1 من شعراء المغرب / أحصى 2 من شعراء الأندلس)

**النثر:** ( أحصى 15 عملا في مجال النثر بين خطب ورسائل ملوكية، أشهرها بديع الزمان الهمداني)

في علم اللغة العربية: مدرسة البصرة (أحصى 33 عالما في اللغة، أشهرهم الخليل، سيبويه، الأصمعي والمبرد)

مدرسة الكوفة (أحصى 18 عالما في اللغة، أشهرهم الكسائي، الفراء ونفطويه)
مدرسة بغداد (أحصى 21 عالما في اللغة، أشهرهم ابن قتيبة، ابن جني )
فارس وبلدان المشرق (أحصى 12 عالما في اللغة، أشهرهم الجرجاني)
مصر، اليمن والأندلس (أحصى 10 علماء لغويين)

**التاريخ:**

السيرة النبوية (أحصى 9 أعمال في السيرة، أشهرها لابن إسحاق، ابن هشام و الواقدي) / تاريخ المدائن (أحصى 14 عملا) / تاريخ العرب القديم (أحصى 5 أعمال) / تاريخ الأمم والدول (أحصى 20 مؤرخا، أشهرهم الطبري والمسعودي) / تاريخ الحضارة والثقافة (أحصى 9 مؤلفين، أشهرهم الأصفهاني وابن النديم) / تاريخ مصر وشمالي إفريقيا (أحصى 10 أعمال) / تاريخ اليمن (أحصى 2 عملين) / تاريخ الأندلس (أحصى 7 أعمال)

**أدب السمر وكتب الثقافة العامة:**

(أحصى 30 عملا، أشهرهم لابن المقفع، الجاحظ وابن عبد ربه)

**علم الحديث:**

(أحصى 39 عملا، أشهرهم أصحاب الكتب الستة الصحيحة)

**علم الفقه:**

فقه الحنفية (أحصى 18 فقيها حنفيا) فقه المالكية (أحصى 10 فقهاء) فقه الشافعية (أحصى 12 فقيها) مذاهب أخرى (أحصى 9 فقهاء، أشهرهم أحمد بن حنبل) مذاهب الشيعة (أحصى للزيدية 14 فقيها، الإمامية 17 فقيها، أحصى 16 فقيها ما بين القرامطة والإسماعيلية والعلوية )

**علوم القرآن:**

علم القراءات: (أحصى 10 أعمال) تفسير القرآن (أحصى 22 عملا) العقائد (أحصى 28 عملا، أشهرها لأبي الحسن الأشعري) التصوف (أحصى 30 عملا) المترجمون (أحصى 20 مترجما، أشهرهم قسطا بن لوقا، إسحاق بن حنين) الفلسفة (أحصى 8 فلاسفة، أشهرهم الكندي وإخوان الصفا) الرياضيات (أحصى 28 عالما) علم الفلك والتنجيم (أحصى 36 عالما) الجغرافيا (أحصى 24 عالما) الطب (أحصى 33 عالما) العلوم الطبيعية والخفية (أحصى 15 عالما) الموسوعات (أحصى 3 أعمال موسوعية)

| عصر ما بعد الفترة القديمة |
| --- |
| 1010م – 1258م<br>400 هـ - 656 هـ |

**الشعر:**

بغداد والعراق والجزيرة (أحصى 21 شاعرا) / إيران (أحصى 13 شاعرا) / سوريا (أحصى 28 شاعرا) / شعراء الجزيرة العربية (أحصى 11 شاعرا ) / مصر (أحصى 18 شاعرا، أشهرهم ابن الفارض و البوصيري: صاحب البردة) / شمالي إفريقيا وصقلية (أحصى 10 شعراء ) / الأندلس (أحصى 27 شاعرا، أشهرهم المعتمد العبادي)

**النثر الفني والبلاغة:** (أحصى 22 عملا)

**علم اللغة:**

العراق (أحصى 30 عالما، أشهرهم ابن الأنباري والزنجاني) / فارس والبلاد المجاورة (أحصى 32 عالما، أشهرهم الثعالبي، عبد القاهر الجرجاني "من أعظم علماء اللغة وصاحب كتاب أسرار البلاغة" والزمخشري) / سوريا (أحصى 10 علماء) / جنوبي الجزيرة العربية (أحصى 5 علماء) / مصر (أحصى 12 عالما) / شمالي إفريقية وصقلية (أحصى 7 علماء) / الأندلس (أحصى 16 عالما، أشهرهم

ابن سيده)

**التأريخ:**

السير المفردة: (أحصى 17 عالما) / تواريخ الدول (أحصى 13 عالما) / تواريخ الرجال وكتب الأنساب (أحصى 20 عالما، أشهرهم ابن خلكان)

تواريخ المدن و الأمصار : بغداد (أحصى 4 علماء، أشهرهم الخطيب البغدادي) / دمشق (أحصى 4 علماء، أشهرهم ابن عساكر) / بيت المقدس (أحصى 3 علماء) / حلب (أحصى عالما) / المدينة (أحصى عالما) / دينسر (أحصى عالما) / ميافارقين (أحصى عالما) / جنوب الجزيرة العربية (أحصى 2 عالمين) / فارس (أحصى 4 علماء) / مصر (أحصى 10 علماء) / المغرب (أحصى 9 علماء) / الأندلس (أحصى 10 علماء، أشهرهم ابن بشكوال).

تواريخ الخلفاء وتواريخ العالم: (أحصى 30 عالما، أشهرهم ابن الأثير صاحب "الكامل")

تواريخ الأنبياء: (أحصى 5 علماء)

أدب السمر في النثر: (أحصى 36 عالما، أشهرهم أبو محمد السراج صاحب "مصارع العشاق")

**علم الحديث:**

العراق والجزيرة و سوريا والجزيرة العربية (أحصى 49 عالما) / فارس (أحصى 27 عالما) / الهند (أحصى عالما) / مصر والمغرب (أحصى 6 علماء) / الأندلس (أحصى 18 عالما).

**ملحق رقم 3** الترجمة وعمل والمترجمين (مخطط مقارن بين النص العربي والأصل الألماني المترجم)

| تاريخ الأدب العربي (النسخة المترجمة) | *Geschichte der arabischen litteratur* |
|---|---|

تتكون هذه النسخة من جزأين أصليين وثلاثة أجزاء كملاحق

## Volume 1

**EINLEITUNG:**
- **I. Die Aufgabe der Literaturgeschichte**
- **II. Quellen und frühere Darstellungen der arabischen Literaturgeschichte**
- **III. Einteilung der arabischen Literaturgeschichte**

**1. Buch Die arabische Nationalliteratur**
- ***1. Abschnitt Von den Anfängen bis zum Auftreten Muhammeds***
- ***2. Abschnitt Muḥammed und seine Zeit***
- ***3. Abschnitt Das Zeitalter der Umaiyaden***

**2. Buch Die islāmische Literatur in arabischer Sprache**
- ***1. Abschnitt Die klassische Periode von ca 750 bis ca 1000.***
- ***2. Abschnitt Die nachklassische Periode der islāmischen Literatur von ca 400/1010 bis ca 656/1258***

## Volume 2

**3. Buch Der Niedergang der islāmischen Literatur**
- ***1.Abschnitt Von der Mongolenherrschaft bis zur Eroberung Ägyptens durch Sulṭ ān Selīm i. J. 1517***
- ***2. Abschnitt Von der Eroberung Ägyptens durch Sultan Selīm i. J. 1517 bis zur Napoleonischen Expedition nach Ägypten i. J. 1798***
- ***3. Abschnitt Von der Napoleonīschen Expedition nach Ägypten 1798 bis zur Gegenwart***

NACHTRÄGE UND BERICHTIGUNGEN
INDICES
NACHWORT

## Supplement I

**EINLEITUNG:**
**1 Die Aufgabe der Literaturgeschichte**
**II Quellen und frühere Darstellungen der arabischen Literaturgeschichte**.
**III Einteilung der arabischen Literaturgeschichte.**
1. **Buch Die arabische Nationalliteratur**
2. **Buch Die islāmische Literatur in arabischer Sprache**

## Supplement II

3. **Buch. Der Niedergang der islṭ mischen Literatur.**

## Supplement III

4. **Buch. Die modern arabische Literatur.**

الجزء 01: العصر الجاهلي والأدب العربي الإسلامي:

الكتاب الأول: أدب اللغة العربية من أوليته إلى سقوط الأمويين سنة 132هـ/750م.
الكتاب الثاني: الأدب العربي الإسلامي: القسم الأول (1-2)
الجزء 02: الأدب العربي الإسلامي: القسم الثاني (3-4)
الجزء 03: عصر ما بعد الفترة القديمة للأدب الإسلامي: من سنة 400هـ/1010م إلى سنة 656هـ/1258م: القسم الثالث (5-6)

الجزء 04: عصر ما بعد الفترة القديمة للأدب الإسلامي: من سنة 400هـ/1010م إلى سنة 656هـ/1258م: القسم الرابع (7-8)

الجزء 05: عصر ما بعد الفترة القديمة للأدب الإسلامي: من سنة 400هـ/1010م إلى سنة 656هـ/1258م: القسم التاسع (9)

الجزء 06: التراث العربي من حكم المغول حتى فتح السلطان سليم لمصر سنة 1517م: مصر والشام: القسم السابع (10-11)

الجزء 07: التراث العربي من حكم المغول حتى فتح السلطان سليم لمصر سنة 1517م: العراق- شمال شبه الجزيرة العربية- جنوب شبه الجزيرة العربية- إيران وطوران- الهند- الترك والعثمانيون- شمال أفريقيا- الأندلس:القسم السابع (12)

الجزء 08: العصر العثماني (من فتح مصر 1517 م حتى الحملة الفرنسية 1798 م: (الجزء الثاني عشر يبدأ من فتح السلطان سليم الأول لمصر، الجزء الثالث عشر يبدأ من الجزيرة والعراق والبحرين : القسم الثامن : (12ب-13أ)

الجزء 09: العصر العثماني (من فتح مصر 1517 م حتى الحملة الفرنسية 1798 م) : القسم التاسع : ب-14

الجزء 10: (من فتح مصر 1517 م حتى الحملة الفرنسية 1798 م) : القسم العاشر 15

# مـوجـز عـن الـبـحث

إن كتابة تاريخ للأدب العربي يواجه إلى الآن تحديات عديدة وكبيرة حتى بالنسبة للمتخصصين والمتعمقين في هذ المجال بسبب صعوبات منهجية وتقنية لتغطية وسد جميع ثغرات هذا المجال التاريخي الواسع، إلى جانب صعوبة تكوين صورة واضحة عن جميع الحيثيات والإشكالات والمفاهيم المتعلقة بهذا الموروث الأدبي قديما وحديثا والتي يصعب على الباحث والمؤرخ لها الربط بينها وبين مجالات عديدة في هذا الأدب لم تتطور بعد ولم تكتمل رؤاها التاريخية والعلمية.

منطلقا من هذه التحديات التاريخية فإن عمل بروكلمان "تاريخ الأدب العربي" مثل منذ أزيد من قرن كامل خطوة عظيمة ومهمة في أدبنا العربي ربما لم يسبقه إليها أحد سوى بشكل متقطع أو جزئي، بل إنه كان بلا شك أو من قدم محاولة جادة ورصينة لوضع تاريخ متكامل ونقدي لجميع مراحل الأدب العربي منذ أوليته وحتى العصر الحديث.

الهدف الأول لهذه الدراسة الخاصة عن عمل بروكلمان هو الوقوف على الجانب المنهجي في هذا الكتاب الموسوعي الكبير لبروكلمان والذي ما يزال يمثل مرجعا حاسما وضروريا ليس فقط بالنسبة للباحثين المستجدين في مجال الأدب العربي ولكن حتى بالنسبة للخبراء من الباحثين الطلاب والاساتذة وعلماء العربية عموما.

كما أن الهدف منها أيضا معرفة المعايير العلمية التي اعتمدها بروكلمان في هذه التغطية التاريخية الواسعة جدا بدء من العصر الجاهلي وحتى عصر وفاة المؤلف والتي تمثل عملا شاقا ومعقدا معا.

لقد تم تقسيم هذه الدراسة إلى ثمانية فصول تحاول كلها معالجة عمل بروكلمان من جوانب عدة إلى جانب تقييم الرؤية التاريخية له وما هي الفلسفة التاريخية الجديدة التي عمل بروكلمان فيها على تطوير هذا المنحى الأدبي المهم.

في الفصل الأول تقديم لهذا الدراسة والدواعي الأساسية لها إلى جانب المسار التاريخي لوضع كرونولوجيا عامة للأدب والتراث العربي عموما منذ البدايات وحتى عصر الموسوعات الكبرى والضخمة التي شهدها العصر الحديث.

أما الفصل الثاني فقد خصص لدور المدرسة الألمانية في تطوير علم الفيلولوجيا العربي وتحريره من النير الاستشراقي الدوغمائي الذي تكرس لقرون في خدمة المقدس الديني العبراني، كما تضمن هذا الفصل مبحثا خاصا عن بروكلمان ومساره العلمي إلى جانب أهم أعماله الأخرى وأهم النزعات الأيديولوجية فيها غير تلك التي عالجناها في الكتاب الأساسي محل الدراسة "تاريخ الأدب العربي".

في الفصل الثالث تم تناول تاريخ الأدب العربي قبل بروكلمان وأهم الإسهامات السابقة عنه ضمن هذا المجال الواسع، كما تم الحديث عن الدوافع الأساسية لعمل بروكلمان والغايات التي سعى المؤلف إليها لوضع خطة تاريخية محكمة لهذا الأدب خاصة ضمن المراحل القديمة على وجه الخصوص التي شملت جميع الأعمال العربية بما فيها تلك التي خرجت عن دائرة الأدب مستثنيا بذلك فترة العصر الحديث التي أصبحت في حاجة إلى رؤية تاريخية أدق وأوسع وأكثر تطورا بالنظر إلى الثورات المنهجية التي حدثت في الحقل المعرفي العام في العصر الحديث بما يجعله عصرا مستقلا عن جميع العصور.

أما فيما يتعلق بأهم محاور هذه الدراسة وهو التصور المنهجي لكتاب بروكلمان فقد جاءت ضمن الفصل الرابع، الذي احتوى أربعا من المباحث كان أولها عبارة عن تصور تاريخي عام لعمل بروكلمان حتى يستطيع القارئ أن يملك رؤية أوسع وأشمل لفهم منهج بروكلمان وطريقته الأساسية، أما المبحث الثاني فقد زكرت فيه على معايير بروكلمان العلمية والتاريخية العامة (زمان ومكان) لكتابة تاريخ للأدب العربي والتي توسعت فيها مقارنة مع بعض الأعمال التاريخية الأخرى لتوضيح الفروق المنهجية بين بروكلمان وسائر المؤرخين المعاصرين للأدب.

في المبحث الثالث من الفصل الرابع تم مناقشة خطة بروكلمان الأساسية في كتابة عمله ككل والتي تركزت في عمومها على المنهج الإحصائي في عرض بروكلمان مواده العامة.

أما المبحث الرابع فهو عبارة عن عرض عام لمجمل كتاب بروكلمان بجميع أجزائه مستقى من النسختين الألمانية والعربية وهذا حتى يملك القارئ فكرة عامة عن هذا الكتاب الذي لم تنته ترجمته الكاملة حتى الآن.

في المبحث الخامس تم التركيز على دراسة عامة لمصادر بروكلمان في كتابة تاريخ الأدب العربي باعتبارها أهم مفاصل العمل ككل كما أن مشكلة المصادر في المعالجة التاريخية على وجه الخصوص تمثل أكبر المشكلات العلمية لأي دراسة فيها، حيث جاء هذا الفصل ليقف على مدى قوة وأصالة مصادر بروكلمان وقربها من الموثوقية التاريخية الناجحة.

في الفصل الخامس تعرضت إلى النزعة الاستشراقية في عمل بروكلمان وهذا من خلال عرض لأهم آرائه الواردة في هذا العمل خاصة ما تعلق منها بمسائل شائكة ومهمة في الأدب العربي منذ القديم وحتى عصر الاستشراق الذي أحدث أكبر الهزات والتحولات في بعض هذه المسائل.

أما الفصل السادس فقد خصصته للترجمة وطريقة عمل المترجمين في ترجمة هذا الكتاب الموسوعي الكبير من الألمانية إلى العربية وما مدى التقارب الفعلي بين النسختين خاصة وأنه عمل مغرق في المعلومات الدقيقة والتشابه والتشابك التاريخي، إلى جانب طبعا مراحل الترجمة والتعثر الكبير الذي عانت منه بما حرمنا حتى وقت قريب من الاستفادة بشكل أفضل وعملي بهذا العمل خاصة وأنه صدر منذ عقود طويلة جدا.

في الفصل السابع تم رصد جوانب من مدى حضور الأدب والتراث الجزائري في عمل بروكلمان خاصة على صعيد العصر الحديث، ذلك أن العصور المتقدمة لم تكن تميز فعليا بين الأوطان ولا نعرف حقيقة أجناس الكثير من العلماء بخلاف العصور المتأخرة التي تكرست فيها فكرة الوطنية والشعوبية أكثر.

من هنا ارتأيت أن أخصص فصلا أكشف فيه عن جوانب من حضور الإسهام الجزائري في خريطة هذا الأدب المتنوع والشاسع جدا.

# *Abstract*

***History of Arabic literature present severe challenges even to an experienced specialist because of the difficulty of grasping the subject as a whole, and developing a clear sense of the broad themes concepts through which this sprawling and underdeveloped field of study can be bound together.***

***The first goal of this study, then, is to find out the methodological side of the great historian carl brockelmann in his famous book "Geschichte Arabischen Litteratur", which still very remarkable work and necessary guide not only for those just entering the field of Arabic literature but even to an experienced students and scholars.***

***In this study I focus on brockelmann's methodology side to writing a comprehensive history of all Arabic writings, from the beginning until the modern time. Even within these wide limits, however the field before us in this work is vast complex and it has thus an extremely hard task.***

***I have done this work into eight chapters, which are trying to give a comprehensive survey of brockelmann's book, and I have tried to evaluate most of its topics, to point out the best shapes and also the gaps of this work.***

***The first three chapters in this study deal primarily with the role of German studies on the Arabic and Islamic legacy in general and the efforts of German philologists to liberated the Arabic language form the dogmatic method of studies through many centuries, in chapter two I have tried to make a long approach to the life of carl brockelmann and his general works, then I focused my study to criticize his great book.***

***In chapter four I discussed the most critical strategies and methodological writing of brockelmann. This chapter consist four sections, the first one gives a general historical view of brockelmann's work and the chronological boundaries of his study, the second section focused on the arrangements and norms of writing a historical study to Arabic literary by borckelamann and his specific new ideas and concepts about Arabic literature. Also this section***

***discussed wildly the general plot of brockelmann and its features and finally made a general description of all the items of book.***

***Also this Chapter is based to point out the range of borckelmann's sources and try to identify the kind of sources that brockelmann used in his work and which of them are available or not. I have made a special effort to include in this study important studies in non-Arabic language that listed by brockelamnn's book to find out the physical contributions of orientalism studies by decades.***

***Chapter five tries to explorer the real point views of brockelmann and his deep opinions about very complex and distinguished issues in Arabic Literature, especially old time and its problematic notions, namely, old poems, narrative and literary texts …etc.***

***Chapter six looks at the process of interpretation of the German Version of Brockelmann's book to Arabic and the deferent methods of translators from the beginning to the end of interpretation and to what extant does this work has finished and completed correctly and honestly by matching between the German text and the new Arabic text.***

***Because my study is intended to offer to the Algerian University, I made a special chapter (chapter 7) about the Algerian works in Brockelmann's book. So, Chapter eight then examines the body of thought produced by the Algerian scholars, and so many other chapters, this one tries to find out the most contributions of this part of Arab World and how much does brockelmann cited to them.***